ابو العلاء المعري

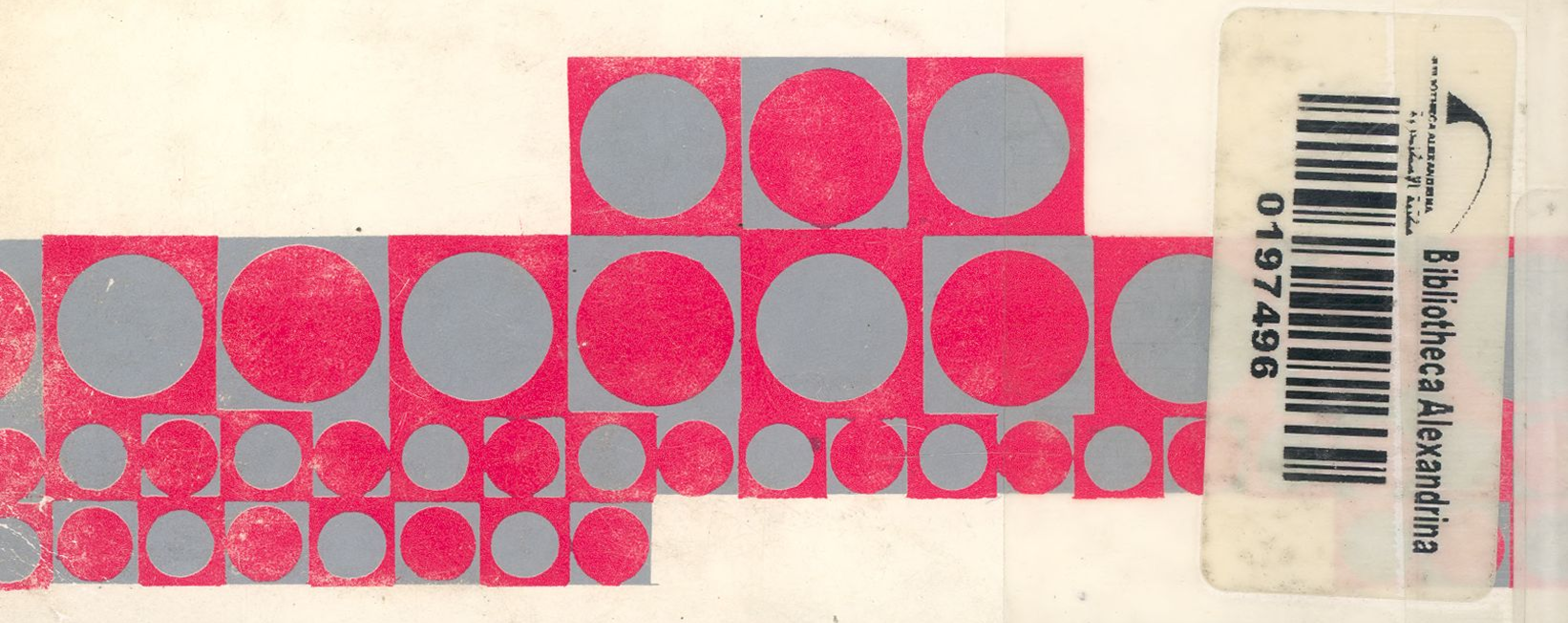
المنتخب من اللزوميات

نقد

الدولة والدين والناس

اختاره و قدم له بدراسة عن المعري

هادي العلوي


Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
01197496

مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

المنتخب من اللزوميات

نقد
الدولة والدين والناس

المنتخب من اللزوميات

نقد

الدولة والدين والناس

اختاره و قدم له بدراسة عن المعري

هادي العلوي

حقوق الطبع محفوظة لمركز الأبحاث
والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

ص. ب: ٧٢٣٦٦ دمشق، ٧٠٢٥ نيقوسيا، ١١١

تلكس NAHJ 412410 SY

الطبعة الأولى

١٩٩٠

فاتحة

اللزوميات أو لزوم ما لا يلزم هي ديوان لابو العلاء احمد بن عبدالله المعري التنوخي بناه على قافيتين وسمي لذلك لزوم ما لا يلزم، اذ اللازم في العروض هو قافية واحدة يختم بها البيت وتتكرر في بقية الابيات. وعلى هذا جرت كل نصوص الديوان. وقد حمله عليه مزاجه الخاص به في تحمل ما لا يتحمل سواه من التزامات كالعزوبة وعدم أكل اللحم والاسراف في البساطة.

واللزوميات هي احد ديوانين فلسفيين ثانيهما بعنوان: «استغفر واستغفري» ويتألف من عشرة آلاف بيت روعيت فيها القافية الواحدة. وهو من كتبه المفقودة. ويقول المؤرخون الذين اطلعوا عليه انه على غرار اللزوميات في المضمون أي انه يحمل افكاره بخصوص الدين والسياسة وامور الحياة والوجود. ولابو العلاء ما بين ٥٥ و٦٧ كتاب فقد معظمها في اجتياح البيزنطيين لمعرة النعمان بعد وفاته بزمن واحراقهم مكتباتها ومنها

مكتبته الشخصية التي كانت في منزله وتضم مخطوطات فريدة لمؤلفاته. وقد ضيعت علينا هذه الهجمة البيزنطية تراث هام لواحد من اعلام مثقفينا.

مذاهب المعري الفلسفية تؤخذ رئيسياً من لزوم ما لا يلزم. أما ديوانه الآخر الذي وصلنا وهو «سقط الزند» فيتألف من شعره الخالص وليس فيه إلا القليل من النظرات الفلسفية. وقد بث في كتبه النثرية بعض افكاره التي في اللزوميات واهمها «رسالة الغفران»، «الصاهل والشاحج»، و«الفصول والغايات». وتختلط في هذه الكتب موضوعات الادب واللغة والفكر ويغلب عليها الاسهاب والاستطرادات. وللاولين طبعة علمية وافية الشروح اجرتها الكاتبة الكبيرة بنت الشاطىء. أما الاخير فطبع الجزء الاول منه، وهو الوحيد المتبقي منه، بعناية محمود حسن زناتي عام ١٩٣٨ في القاهرة. والطبعة مضبوطة ولو انها اقل شرحاً من الكتابين الآخرين.

طبعت اللزوميات عام ١٩١٥ في القاهرة باعتناء امين عبد العزيز الذي ارفقها بشروح مبتسرة لا تغني. وهذه الطبعة هي المتداولة اليوم ولكن في اوساط المعنيين بالادب القديم على الاكثر. واللزوميات لوعورة الفاظها لاتزال اقل انتشاراً بما لا يقاس من بقية دواوين الاقدمين التي تحظى بالرواج بين عامة المتعلمين وليس الادباء وحدهم. ومسؤولية ذلك تقع على صاحبها الذي حصنها بالمعمّى والمجهول فجاءت عسيرة القراءة لاسيما على القارىء المعاصر.

وفي خطة تهدف لاعادة اللزوميات الى الناس صنعت هذا المختار منها. وقد قصرته على الامور التي تهم المعاصرين ويتشوفون اليها بقطع النظر عن زمانها ومكانها، فأخذت من الديوان ما يحتوي على نقد للدين والدولة والمجتمع مع ما يلحق ذلك من آراء حول الطبيعة والحياة ونظام العالم. وبالجملة: ما تتألف منه فلسفة هذا المثقف الكبير في جانبها الاكثر

اشراقاً. ويقع المختار في حوالي الف بيت. وأنا أعلم ان هذا الاختيار لن يحسم مشكلة التواصل الكامل مع النصوص بسبب وعورة اللغة. وقد خطرت لي خاطرة للتصرف في المفرادت الغريبة بوضع ما يقابلها من مفردات مفهومة للمعاصرين من نفس النص بدلاً من المفردات الاصلية. ولاضرب هذا المثال من اللزوميات:

وما ادب الاقوام في كل بلدة ... الى المين إلا معشر ادباء

هذا البيت غير مفهوم. ومضمونه الهام جداً يقتضي ان يتلقاه القارىء الحديث دون واسطة. فيأخذ مثلاً هذه الصيغة:

وما وجه الاقوام في كل بلدة ... الى الكذب إلا معشر ادباء

وهذه الصيغة ركيكة ولا تعكس اسلوب اللزوميات لكنها تنقل الفكرة الى القارىء بصورة اسهل وافضل. ولتلافي الاشكال يمكن ان نكتب الصيغة الاصلية وتحتها المحورة. وهذه كما قلت ليست اكثر من خاطرة وتطبيقها ليس سهلاً لاسيما في اللزوميات. وانما مرت على الذهن كأمنية لكثرة ما مررت به من النصوص الشعرية الهامة عند المعري وغيره والتي تستحق ان تنتشر بين جمهرة القراء فيمنع منها وعورة مفرداتها.

مهما يكن فقد مشيت على المتبع في شرح المفردات بعد ايراد النص. وفي محاولة لتقريبه الى القارىء وضعت لكل ما اخترته عنواناً مستمداً من مضمونه. كما اني وزعت المختار على ابواب حاصرة لكل مجموعة متماثلة من النصوص. وختمتها بباب يحتوي على شوارد اللزوميات ونوادرها.

اللزوميات في اغلبها مقطعات أو قصائد غير مطولة. والكثير منها لا

يلتزم بموضوع واحد، فالمعري فيها لا يراعي تسلسل منظوماته بخلافه في سقط الزند. وكثيراً ما يفاجىء القارىء بالفكرة دون ان يمهد لها ومن دون ان تكون لها صلة بما قبلها أو بعدها، وكأنه يسترقها من الرقباء، أو يتذكرها في اللحظة فيدسها في المنظومة ثم يمضي بعيداً عنها. وربما ختم بها منظومة بطريقة تبعث على الاعتقاد انها كتبت لاجل البيت الاخير. وفي اختياري لهذه النصوص لم اتابع المعري في عشوائيته هذه لئلا اربك القارىء بأمور متروكة للباحثين في اسلوب اللزوميات. واكتفيت بالتقاط ما احتوى على فكرة نقدية في القضايا التي ذكرتها اعلاه. أما اللزوميات المتسلسلة وذات الموضوع الواحد فقد اثبتها كلها أو معظمها. والكثير من هذه مقطوعات من بضعة أو عدة ابيات والقليل منها قصائد.

قدمت لهذا المنتقى من شعره الفلسفي بدراسة عنه: مفكراً تنويرياً ومثقفاً من طراز خاص، شغلت القسم الاول من هذا الكتاب. والقسم الثاني مخصص للمختارات مع ما يلزمها من شروح وتعقيبات..

١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م — **هادي العلوي**

تنبيه: جريت في هذا الكتاب على طريقتي في النحو الساكن الهادف الى تيسير اللغة وتقريبها من لغة الكلام دون الاخلال ببنيتها الاساسية.

القسم الاول

ابو العلاء المعري

مع توطد المجتمع الاسلامي باقتصاده المديني ـ التجاري، الذي ربط المدن الاسلامية مع بعضها ومع الخارج، كان الفكر الاسلامي ينشط متساوقاً مع النمو في المجالات الاخرى، ومن خلال الصراع الذي استعر مبكراً بين الفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة.

وللفكر الاسلامي جذور تبتدي من القرآن ـ كتاب العرب الاول، وبمعيار اوسع: كتاب الحضارة الاسلامية الاول. والحضارة الاسلامية من طراز الحضارات المثقفة، وهو طراز محدود بين الحضارات القديمة يضم رئيسياً حضارة الصين والاغريق والهند. ويتصل الفكر الاسلامي من جانب بالمنطق السجالي للقرآن، ومن جانب آخر بالصراع الاجتماعي الذي اشرنا اليه. وقد اتسمت فعاليته الاولى، التي ترجع الى عهد الخليفة الراشدي الثالث، بسمة معارضة ذات منحى سيا ـ عسكري استهدفت اول الامر الخليفتين الثالث والرابع ثم الخلافة الاموية في لحظة اعلانها. ويكشف تاريخ نشأة الفرق والمدارس الفكرية في الاسلام عن الاصول السياسية لنشأة أي فرقة أومدرسة. مما يفسر بدوره تلك الضراوة التي جابه

بهـا الامويين نشاطات الفرق حتى في منحاها الالصق بالفكر؛ حيث كان القتل نصيب النسبة الاكبر من مؤسسي علم الكلام .

تطور الفكر الاسلامي في شعاب متباينة . فكان هناك الفكر الديني الخالص لاهـل الحـديث والمفسرين والفقهاء. والى جانبه الاستذهان الديني المعقلن. والقائم بهذا اللون من الاستذهان هو علم الكلام . ومن علم الكلام انبثقت الهرطقة بتـلاوينهـا الشتى، التي دفعت حراس العقيدة الى الاعلان ان من طلب الدين بالكلام ألحد . ثم ساعد الاتصال بالفكر اليوناني على ظهور المذاهب والاتجاهات الالحادية في اوساط الفلاسفة كما في اوساط المفكرين من سائر الاصناف .

والفكر الاسلامي ، شأن أي فكر آخر في أي من الحضارات المثقفة ، هو فكر خلافي ، غير منمّط ويتعذر ادغامه في وحدة تامة الانسجام . ولا يتيسر لهذا السبب تصنيفه في منظومة متمايزة يقال عنها انها هي الفكر الاسلامي دون غيرها ، أو يُستنـد اليهـا للحـديث عن خواص نوعية يفترق بها عن سواه في الحضارات الاخرى. فالاسلام يشترك مع اوربا القروسطية في ممارسة الايمان الديني الخالص والفكر الديني المعقلن. والفكر الفلسفي في الاسلام متباين وله مدارس متنوعة كما هو الحال في سائر الحضارات . وتبايناته الشقاقية كثيرة الشعب وذات طبيعة توالدية مكثار. ونجد في الحضارة الاسلامية هرطقات ومذاهب الحادية كتلك التي نجدها بالخصوص لدى اهل الصين والاغريق واوربا القروسطية في طورها الرشدي ، مع تميز بكثـافـة الحضـور، مشتـرك مع اوربـا القـروسـطية، ناتج عن وجود الدين السماوي . والاديان السماوية اكثر تسبيباً للصراع الفكري بنتيجة الطبيعة الخاصة لبنيانها اللاهوتي المستند الى الوحي .

وتباين الفكر الاسلامي ناشىء من تباينات شتى :

١ ـ في الوضع الاجتماعي لافراد المفكرين . فالانسان ابن بيئته الاجتماعية بمركباتها المعبرة عن الطبقة أو الفئة ، كما عن المعشر community والاسرة . .

٢ ـ وفي تعدد مصادر الفكر الخارجية والمحلية . وهو سبب هام في اختلاف

الافكار لانها توفر المادة الاساسية للتفكير الذي يخلق الافكار من مادته المتباينة هذه وليس من العدم أو الواحد.

٣ ـ وفي مزايا الافراد ومواهبهم وخياراتهم الواعية. والفكر في النهاية هو نتاج صاحبه، الذي تتكرس فيه اوضاعه كذات مفكرة.

٤ ـ وفي المناشىء التعليمية للفرد، فمن هذه يتخرج رجل الدين ان كانت دينية والفيلسوف ان كانت فلسفية. وقد يتفارق الشقيقان بسبب المعلم فيتفلسف احدهما ويتدين الآخر.

هذه العوامل تؤثر منفردة أو مجتمعة، كما تتفاوت في درجة التأثير. ومن حيث الوعاء المحيط للفكر، تطور الفكر الاسلامي، كما اشرنا، مع اتساع المجتمع الاسلامي. ونظراً لقيام هذا المجتمع على اقتصاد مديني في الاساس، فقد ساعد على توجه مفكريه الى المباحث المعقدة التي الجأتهم الى استخدام منطق معقد هو المنطق اليوناني. وهذا المنطق نشأ في بيئة امصارية/ تجارية مماثلة ـ مما لا نجد له سابقة في هذه البقاع لقصور تطورها الاقتصادي في الاطوار التي سبقت طور الحضارة الاسلامية، ولا في الصين والهند حيث البيئة الزراعية هي الغالبة.

ورغم ان الفكر الاسلامي ولد مكبلاً بالدين، فان وجهته السجالية وفرت له وتيرة نمو كافية لاخراجه من دائرة التقليد. وهذه العناصر كما قلنا مدينة لبيئتها الصراعية. وهي مع ذلك ذات جذور تصل الى عمق المنشأ. وقد اشرت في البدء الى المنطق السجالي في القرآن الذي دعا الى التأمل والتفكر وندد بالتقليد (مما جعل الاصوليين فيما بعد يقولون بعدم جواز اخذ الدين بالتقليد رغم اقرارهم انه يؤخذ بالوراثة: الولد عن الوالد) ومن المحفزات القوية في هذا المقام تناقضات بعض النصوص القرآنية واحتواء القرآن على المتشابه، أي الآيات التي يحتاج فهمها الى التأويل. وفي القرآن ايضاً اعتداد بالحكمة والعقل ينم عن الاتجاه الى جعل التعلم من مقومات شخصية المسلم. وهكذا تزامن الفكر مع الدين منذ البدء وتطورا في خطين متوازيين شغلت بهما العصور الاسلامية حتى نهايتها.

انفتاح كوى التفكير للمسلم منذ البدء كان من الامور المساعدة في التجاوز.
وباحتساب العوامل الاخرى التي ساهمت في تكييف الفكر الاسلامي يمكن ان نفهم تبلور تيار تنويري يبدأ مبكراً على يد المتكلمين الاوائل ويستمر فاعلاً طيلة العصور الاسلامية. وهو تنويري بمقدار ابتعاده عن الدين. وانما يتطور الفكر البشري عبر النضال ضد اليقينيات التي هي جوهر الدين وأي منظومة اديولوجية اخرى. وقد اخذ الابتعاد عن الدين في الاسلام اشكال مختلفة نرجىء البحث عنها الى كتابنا المكرس لتاريخ التنوير في الاسلام ونود الاشارة الآن الى ان هذا التيار التنويري لم يقتصر على حقبة معينة ولا موقع جغرافي معين، وان كان قد نضج بعد الاطلاع على الفلسفة اليونانية في غضون القرن الثالث الذي اخرج لنا مقامات الحادية في غاية التبلور تمثلت في ابراهيم النظّام وابن الراوندي وابو بكر الرازي وغيرهم. ولم يخلو قرن لاحق من معبرين عن هذا التيار، فلاسفة كانوا أم متكلمين أم ادباء أم متصوفة. والفلسفة نقيض تأريخي للدين. ويصعب لذلك اعتبار أي من فلاسفة الاسلام مؤمن بالمقاس التقليدي. وهو ما يصدق على اقطاب المتصوفة الذين خاضوا غمار التفلسف. اما علم الكلام فهو مزيج من اللاهوت والفلسفة اللذين كانا يتجاذبان المتكلم فتنحو به الفلسفة نحو الالحاد أو الهرطقة على الاقل (مثال النظّام وابن الراوندي) أو ينحو به اللاهوت نحو السلفية (مثال ابو الحسن الاشعري). أما الادباء فهم ابعد عن التفلسف نظراً لطبيعة نشاطهم القائم على الخيال الفني. لكن ادباء العصور الاسلامية كانوا في جملتهم مثقفين، لاسيما الذين نشأوا في المدن الكبرى، واظهر الكثير منهم نزعات الحادية سوف نتناولها في حينها.

والآن الى أي صنف من هؤلاء ينتمي ابو العلاء المعري؟

المعروف عنه انه شاعر وقد خاض الكثير من اغراض الشعر التقليدية كأي شاعر، فوصف ومدح وافتخر ورثى. وافتخاره من نزوات الشباب، (هذا الفخر ينقلب في اللزوميات ـ شعر الكهولة والشيخوخة الى تقريع للذات ليس من السهل

صدوره عن شاعر) ومدحه كان في معظمه من نمط الاخوانيات. وما يتضمنه من مدائح قليلة لبعض الامراء فهو من باب التقية. وسيأتي انه كان يتملق ارباب السلطة ليس ليكسب منهم ولكن ليتقي شرّهم.

لا إنكار ان المعري شاعر. هذا ما يتفق عليه الاقدمين. وهو كذلك بمعيار الحداثة الادونيسي. والمعري عند أدونيس شاعر حقيقي. وبهذا الصدد يمكن تصنيف الشعراء العرب الاسلاميين الى صنفين: الاول شاعر شاعر والثاني شاعر مفكر. ومن الصنف الاول معظم الشعراء المعروفين كالفرزدق والاخطل وجرير وبشار وابو نواس والبحتري وابو تمام والمتنبي. ومن بين هذا الصنف شعراء كان لديهم حظ وافر من الثقافة أو الوعي الاجتماعي اعطى لشخصياتهم الاجتماعية أو الشعرية معنى متميز يؤهل احدهم لتبوء موقع ما في الوسط السياسي والفكري. اذكر منهم مثلاً كل من الفرزدق وبشار بوعيهما المعارض/ مع تميز الثاني بثقافة ذات بعد فلسفي وكلامي اوصلته الى الاستخفاف بالدين. ويعرف ابو تمام والمتنبي بنفس القسط من الثقافة، وقد صنفهما بعض النقاد الاقدمين في عداد الحكماء من الشعراء. والحكمة متداخلة مع شخصية المتنبي، دون ابو تمام الهابط في سلّم القيم الانسانية والوعي الاجتماعي.

الصنف الثاني يصح، رئيسياً، على المعري. ويصعب العثور على مثال آخر في تاريخ الشعراء. وهذا لان المعري شاعر ومفكر في آن واحد. وبهذا المعيار لا يمكننا ان نعتبر شاعراً صاحب اختصاص ينظم بعض افكاره شعراً. ابن سينا مثلاً بقصيدته الجميلة عن النفس، أو الرازي بالبيتين المؤثرين اللذين كتبهما في آخر ايامه يتساءل فيهما عن مصيره بعد الموت. فهؤلاء فلاسفة خُلّص، وقدرتهم على النظم ـ وهي الى حد ما مشتركة في العلماء العرب ـ لا تجعل منهم شعراء بمعيار الحساسية الشعرية. والمعري يشاركهم التفلسف ويشارك الشعراء في حساسيتهم الشعرية. كتب شعراً حقيقياً يجعل منه شاعراً حقيقياً. وتوغل في التفكير فأضفى على نتاجه الشعري صبغة فلسفية عميقة. فهو شاعر بقيد الفكر ومفكر بقيد الشعر.

وفي كليهما كانت صفته نابعة من جوهر ممارسته. وانا اعطيه وصف المفكر الى جانب وصف الشاعر دون ان ابلغ به الى وصف الفيلسوف، لان فكره لا يرقى به في أي حال الى مرتبة الفلسفة الخالصة. فالشاعر مهما تفلسف يبقى مشدود لمزاجه الشعري فيتعذر عليه التمنهج وكذلك التمذهب. ولو انه يظل قادر على ان يعطي فكراً فاعلاً ومعقلناً حينما يشتمل على ثقافة محيطة.

والمعري متعمق في معارف زمانه من ادبي وفقهي الى علمي وفلسفي ويتمتع الى ذلك بموهبة كبيرة مكنته من الدمج بين هذه المعارف في موقف ثقافي لا يفتقر الى التكامل.

ومن هذه الثقافة بمركباتها المتفاعلة صنع لنفسه كيان متفرد يستند الى درجة خاصة من الوعي هي وعي الارادة. ان كثير من الناس يمتلكون نفس رصيده الوافر من الثقافة دون ان يستطيعوا الانتقال الى موقعه ليمارسوا من فوقه ارادتهم الخاصة بهم. ومعجزة الفعل الثقافي تكمن هنا؛ أي في ان يتجاوز المثقف ما خلق عليه في البدء لكي يعيد خلق نفسه. والمثقف اذ يصل الى ذلك لا يوافق على قيد المخلوقية. لا اعني انه يكون خالقاً لنصه الابداعي. فهذا متاح للكثير من البشر. انما كونه خالق لنفسه. وهذه القدرة المتعالية تنشأ لدى فريق من المثقفين في اطوار الحضارة الناضجة:

حالات يتجاوز فيها المثقف مجرد خلق النص الى خلق النفس، الى الخروج من صفة المخلوق السلبي المحكوم بقانون الحتمية ليصبح خالقاً بمفهوم الصفة الموجبة الخارجة عن حد السلب والمتمتعة بوعي الاختيار.

ومع بلوغ هذه المرتبة تنشأ لدى المثقف قوة خاصة يستطيع بها اعادة ترتيب الضرورات وفقاً لمتطلبات الفكر. وفي طليعة ما يتحقق له بفضل هذه القوة السيطرة على الهموم اليومية التي تشغله عن التفكير أو تضع فواصل بينه وبين نصوصه. والشرط الاولي لذلك هو الخروج من قيد الامتلاك. وكان عليه مدار التصوف القطباني. وهو ليس مجرد شيمة من شيم الزهاد، لان المتصوف القطب مثقف بلغ مرتبة الخالق

التي يتجرد فيها من هواجس المخلوقين. والزاهد فرد متدين يتطلع الى العوض في الآخـــرة. ان المثقف من هذه المـرتبـة يبحث عن سلطتـه بازاء سلطة الاغيار. والخروج عن سر الامتلاك رياضة اولية تهدف الى شطب الاحتياج للغير. وهو مؤدى قول المتصوفة ان المتصوف هو من لا تكون له حاجة الى احد: انسان كان أم إلَه. والمقصود في النهاية الاستغناء عن السلطان بما يكون المثقف قد وطده لنفسه من سلطة الثقـافـة. والسلطان ليس هو الحـاكم فقط، ولو انه مركز الصراع بالنسبة للمثقف، فهنـاك ايضاً مصادر تحدي لاختبار سلطة المثقف في مرحلة الخلق. وتتصل هذه عندهم بمطلبين اساسيين: السيطرة على الحاجة التناسلية، والخلاص من وهم الشهرة. وقد نظر المتصوفة الى الزواج على انه: «انحطاط من اوج العزيمة الى حضيض الرخصة». أي انه وهن في الارادة يدفع صاحبه الى الاستسلام ليقبل بالرخصة. والرخصة فعل من افعال السعادة الحسية يجوز اتيانه دون ان يترتب عليه اثم، وانما يثاب من اشاح عنه. ولا يدخل الزواج في هذا الحد، لانه سنة وليس رخصة. والسنة في الشرع ممارسة يثاب صاحبها على ادائها وتنقص من حسناته اذا تركها. واذ ينتقل الزواج من السنة الى الرخصة يصبح نقيض للارادة. . ومع التأكيد على مقاومة الزواج فلا شك ان مقاومة العلاقة الجنسية خارج مؤسسة الزواج هي مطلب اكثر الحاحاً.

مطلب الخلاص من الشهرة يعني ان يتخلى المثقف عن هاجس التمجيد لذاته. وتحسب الشهرة عندهم في عداد الشهوات، ومقاومتها من جانب المثقف في مرحلة الخلق هي مثل مقاومة حاجات الجسد الزائدة عما يتطلبه البقاء حياً. واعتبر ابو يزيد البسطامي هذا المطلب من اشراط الوصول الى رتبة القطبانية. وهو مرتبط عندي بمسألة استكمال سلطة الثقافة. ذلك ان بعض المثقفين بينما يمكن ان يتخلوا عن حاجـات الجسـد يفشلون في مواجهـة هاجس الشهـرة والمجـد الشخصي. وكثيراً ما تنفذ السلطة السياسية من هذا الباب لاستلحاق المثقف.

استطاع المعري بريادة معارفه العميقة المتنوعة تأصيل وعي الذات، وصولاً

الى وعي الاختيار الارادوي، ان يتكامل في هذا الموقع الذي شغله من تاريخ الثقافة الاسلامية، صانعاً لسلطة الثقافة واحد من اميز غراراتها. واذ قد تحقق له الاستغناء عن السلطة السياسية صار بمقدوره ان ينقدها نقد الند للند. وبتأثير وعيه الفلسفي وقف وقفة مماثلة من السلطة الدينية فانتقد الدين كاديولوجيا وشعائر وندد بسلوك المتدينين ورجال الدين. وبفضل افقه الواسع الذي ابتعد به عن التحزب لفئة، أو دين، أو امة كان بوسعه توجيه النقد لجميع فئات الناس من شتى الامم والملل وان يكون هجومه على الاديان شاملاً، فهو قد وصل الى القناعة بان الفساد ساري في جميع الامم وان الكذب مشترك بين جميع الاديان.

على ان وعي المعري بالاشياء هو وعي كوني. فالمفارقات التي بدت له في نظام المجتمع البشري قد رآها ايضاً في نظام الطبيعة. ان عدوان الانسان على الانسان يتكامل مع عدوانه على الحيوان، كما هو مع عدوان الحيوانات على بعضها. ومصدر هذه المفارقات واحد هو تلك القوة التي جعلت كل شيء في الوجود مسيّر لا مخيّر وحكمت بقانون القضاء الازلي على الافلاك والحيوانات والبشر ان تتحرك بغاية مجهولة نحو غاية معلومة هي الهلاك المحتوم للجميع.

هكذا يتداخل نقد الدين والدولة والناس والطبيعة في شمولية تسمح بجعل الاشياء في الوجود الطبيعي والاجتماعي موضع للسؤال. ان هذا المثقف الخالق لذاته الفكرية قد امتلك الحق في الاتهام بعد ان خرج هو بريئاً من محكمة النقد باثبات وعي الخلق ضد المخلوقية، بوصوله الى كنه الاشياء في رؤية صافية لا تكدرها الرغبة. فان تكدرت فبعوامل اخرى تأتي من خارجه. وسنسايره لنعرف كيف تعامل مع هذه الجملة الكبيرة من الاهداف التي اشتملت عليها لزومياته.

في نقده للدين دار على محورين:

الايديولوجيا

والسلوك الديني

نقد الدين كأديولوجيا يطال عنده: الالوهية ـ النبوة ـ مفردات اصول الدين والعقائد ـ والعبادات والشعائر.

في الالوهية يميل المعري الى انكار وجود الاله تارة والطعن بعدالته وحكمته تارة اخرى. هناك لزومية من ثلاث ابيات فُهمت على انها تعني انكار وجود الاله وهي:

قلتــم لنــا خالــق حكيم   قلنــا صدقــتــم كذا نقــول

زعــمــتــمــوه بلا مكــان   ولا زمــان الا فقــولــوا

هذا كلام له خبــيءٌ   معــنــاه ليســت لنــا عقــول

تنفي هذه اللزومية وجود شيء خارج الزمان والمكان، أي خارج العالم. فلو تصورنا وجود اله فلا بد ان يكون داخل العالم وهو محال فلسفياً، لانه يقتضي اثبات الجهة، كما انه يقتضي اشتمال الاله على مادة حتى يصح له وجود داخل عالم مادي مشتمل على الزمان والمكان. وعندئذ يصبح الاله واحد من هذه الكائنات الداخلة في العالم. وهذا ابطال لمعنى الالوهية كمصدر للخلق مباين للعالم.

وفي لزومية اخرى ينظر الى الالوهية كافتراض ناتج عن الجهل بسر الخلق. يقول:

صنـعـة عزت الانــام بلطف   وعـزتهـا الى القـدير العـوازي

عزت الانام أي اعجزتهم عن معرفتها. ويشير بالصنعة الى العالم. ويشتمل هذا البيت على احد اهم الافكار الاساسية التي تعامل بها الفلاسفة مع منشأ فكرة

الاله. ولعل المعري اول من صرح بها اذ لم اجدها فيما اطلعت عليه من مذاهب فلاسفة الصين واليونان. أما في العصر الحديث فنجدها في الماركسية التي عرفت الدين بانه انعكاس وهمي للعالم، ناشيء من العجز، في الادوار المبكرة للوعي البشري، عن فهمه بطريقة علمية. وقد اعيدت صياغة الفكرة من جانب الشاعر العراقي المتفلسف جميل صدقي الزهاوي بالاستناد، كما ارجح، الى اللزوميات اذ لم يكن له اطلاع على الماركسية. قال الزهاوي يخاطب الانسان في بيتين من اطرف واعمق ما نظمه:

لمـا جهلت من الـطبيعة سرها   واقمت نفسـك في مقام معلل
صورت ربـاً تبـتـغـي حلاً به   للمشكلات فكان اعظم مشكل

ان انكار ابو العلاء لوجود الاله يتضح من هاتين اللزوميتين. وسنرى انه لا يزيد عليهما شيئاً أو يكرر مضمونهما بخلاف عادته في اللزوميات لاسباب سنبينها في حينها.

من المـذاهب الفلسفية المنـافية للدين القـول بقدم العالم وعدم تناهيه، وبالتالي كونه غير مخلوق. لان القديم واللامتناهي ليس له بداية في الزمان والمكان خلافاً لحال المخلوق. وفي اللزوميات نصوص تصرح بقدم العالم واخرى بعدم تناهيه. من الاولى:

ومولد هذي الشمس أعياك حده   وخـبّـر لب انـه متـقـادم

تبعاً للمشائية؛ الافلاك خالدة والعالم الازلي هو هذا العالم الذي تتوسطه الشمس، الازلية مثله، وحدوده هي حدود مجموعتنا الشمسية بعد ادخال النجوم الثوابت فيها. وفي الفلسفة الحديثة: الخالد هو المادة فقط دون الاجزاء المركبة منهـا. أمـا مجموعتنا الشمسية فهي مركبات غير خالدة من المادة الخالدة. وقد تناولت اللزومية ازلية العالم من خلال ازلية الشمس فأصابت في الكلي واخطأت في الجزئي.

وعن عدم تناهي العالم ترد هذه اللزومية الجميلة:

ولـــو طار جبـــريل بقـــية عمـــره
عن الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

على ان القـول بأزلية العـالم لا يرتبط عند المشائين بانكار الالوهية وإنما يفضي الى الاصطدام بعقيدة الآخرة. فما هو ازلي لا يزول. أما عدم تناهي العالم فيتعارض مع التصور الديني له. فالعالم حسب الاديان السماوية محدود ومتناهي وهو ينتهي من اعلاه بالسماء السابعة التي يوجد فيها العرش. كما ان القول بعدم تناهي العالم يشوش عقيدة الخلق، اذ المخلوق متناهي: له بداية في الزمان وله مدى مكاني معلوم لا يمكن تجاوزه. وقد وقعت المشائية في تناقض حين قالت بعـدم تنـاهي العالم ونصت في نفس الآن على وجود محرك اول له. اذ وجود المحـرك يقتضي ان يكـون العالـم مخلوق أي متنـاهٍ. ويبدو ان المعري تقبل مذهب ازلية العالم ولا تناهيه بدلالته المنافية للدين لا للالوهية.. وقد مر بنا انه اقتصر في تبيان مذهبه في الالوهية على لزوميتين مما يدل على ان مشكلة الالوهية لم تشغل باله كثيراً. وفي المقابل نجده يظهر اهتمام كبير بمسألة العدل الالهي. وهناك ميل واضح عنده الى انكاره باطلاق، مستنداً الى غلبة الشر والفساد على الطبيعة. وعندما نضع في الاعتبار الاقرار بفكرة الخلق سيكون الشر والفساد من مسئولية الخالق نفسه.

ويمشي المعـري على الايديولـوجيا السـائـدة بعـد ان يضع جانباً مذهبه الفلسفي في الالوهية، فيحمل الخالق، المعترف بوجوده في هذه الايديولوجيا، مسئولية هذا الخلل:

جبـــلّة بالـفـــســاد واشـجـــة إن لامها المـــرء لام جابلهـــا

الجبلّة: الخلقة الطبيعية.

والله إذ خلق المعادن عالم ان الحِداد البيض منها تُجعل
سفك الدماء بها رجال أعصموا بالخيل تُلجم بالحديد وتُنعل

لما كان الخالق عالم بما يخلق، فهو الذي زوّد الناس بالمادة التي يصنعون منها السلاح ليسفكوا به الدماء. ولا ترتفع المسئولية إلا بمذهب الفلاسفة القائل بان الله يعلم الكليات دون الجزئيات. يعني انه خلق المعادن دون ان يعرف لاي شيء تستعمل. وليس في اللزوميات ما يشير الى هذا القول لان الله فيها معروض كما في الاديان السماوية: لايخفى عليه شيء. . ومنطلقاً من هذه المصادرة تساءل عن هذا العليم: كيف ترك الناس مهملين هكذا على الارض؟ تساؤل من ينكر العناية الالهية، التي يؤدي الى انكارها مذهب عدم العلم بالجزئيات نفسه. أما هو فاستند في انكارها الى المشاهدة الحسية؛ فالعالم لا يجري وفق مطلوب العدل والسلام وليس فيه موقع يستدل منه على اثر الغناية. على العكس، هناك ما يدل على الانحراف في الحكمة الالهية. ففي «الفصول والغايات» نقرأ هذا النص: ما اعظم نعمك على المخلوقين! رُب نخيل جعلتها في ملك بخيل الفقير عنده حقير والمسكين غير مكين. «١/ ٢٠. وفي ١/٣٦»:

ان ناقة وجملاً غبرا في الزمن هَمَلاً حتى اذا صار الجمل عوداً (مسن) والناقة ناباً (مسنة) لا تتبع ذوداً (قطيع الابل) سُلط عليهما رب مِدْية لا ينشط لاخذ فدية فنحرا بعلم الله والقدر وصُير لحومهما تقدر (تطبخ) وصُنع من جلودهما خفان مسح عليهما.

السخرية في النص الاول مكشوفة. أما النص الثاني فهو بريء في الظاهر لكنه في قياس من يحرم ذبح الحيوان تنديد خفي بحكمة الله وعدله وبالشعائر الدينية.

وفي لزومية على النون والسين يقول لو انه كان كلباً لادركته الحمية على جروه من ان يلقى ما يلقى الناس على الارض. وهذا التعريض يراد به ان الله لا يحس بآلام البشر.

وتـدخلنـا هذه النصـوص في باب نقـد نظام الطبيعة الذي سنتحدث عنه لاحقاً. ويعنينا الآن تأكيد ما قلناه من انه لا يعطي اهتمام كبير لمشكلة الالوهية وإنما لمشكلة العدل الالهي، وهذه تتعلق بدورها بالموقف من مصادرات الاديان السماوية التي يتجه في نقدها بعيداً عن مسألة وجود الخالق أو عدمه. وهنا نقف على اتجاه ربوبي -رازوي يتهم الانبياء بالكذب على الله في ادعائهم الوحي ويعتبر الاديان باطلة كلها. وفي اللزوميات دلائل يسوقها على مذهبه نجملها فيما يلي:

١ ـ **اختلاف الاديان**: ويتكرر الحديث عنه كثيراً في اللزوميات. ويترتب عليه ان مصـدرهـا ليس واحـداً، وإلا لمـا اختلفت، فاختلافها دليل على تعدد واضعيهـا. وهـذا الاختلاف يرده المتكلمون المسلمون الى النسخ الذي يتصل عنـدهم بقـاعـدة تغير الاحكام مع تغير الازمان. لكن المعري ينص على وقوع الاختلاف ليس في الاحكام وحدها بل وفي العقائد. وهذه لا يعمها النسخ.

٢ ـ **التعارض الشديد بين العقل والدين**: يقول في لزومية عن دعوة القرآن الى التفكير في الخلق:

وقـد أُمـرنـا بفكر في بدائعـه   وان تفكـر فيه معشـر لحـدوا

ويُستخلص من اللزوميات ان استخدام العقل يؤدي الى الخروج عن الدين لا محالة.

٣ ـ اكتشافه من قراءة الكتب المقدسة الثلاثة ان المسلمين اخذوا دينهم عن اليهود. وان اليهود كذبوا على الله:

في لزومية رائية يرد هذا البيت:

كل الـذي تحكون عن مولاكم   كذب اتـاكم عن يهـود يحبّـرُ

مولاكم: ربكم. يهود، اليهود، يرد الاسم في النصوص الاسلامية معرف بال وغير معرف.

وهذه خلاصة مركزة لمقارنة محتويات الكتابين المقدسين نعتبرها مبكرة، اذ لم يتجه البحث العلمي الى استطلاع العلاقة بين الاديان السماوية الثلاثة إلا في

القرن الماضي*

٤ ـ **تناقض النص الديني**. وفيه يقول:

اخبــرتني بأحــاديث منــاقضـةٍ فرابـنـي منــك قول غير متفق

وفي هذا القول رد على الآية ٨٢/ نساء: «افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً». وقد رأى هو فيه اختلافاً كثيراً لم يكن بوسع معاصريه الجاهليين ادراكه لبساطة وعيهم.

٥ ـ **ولاحظ اخيراً ان في الكتب المقدسة اخبار يكذبها الواقع**. فقد تساءل في لزومية على الخاء والسين بعد ان ذكر رواية دينية تفيد ان بعض اليهود مسخوا قردة أو خنازير: لماذا لا نرى في هذا العصر وقائع مسخ مماثلة؟

ويرد المعـري نشـأة الـدين الى مصـالـح فردية محدودة حيث يقوم بعض الاذكياء المحتالين بصياغة عقائد وشعائر تلف الناس حولهم وتمكنهم من استغفالهم ليكونوا سبب لجمع المال. وهذا من نمط التفسير البوليسي التآمري للتاريخ. وهو كما عرفناه حتى الآن لا يرى أي دور ايجابي للدين في التاريخ البشري اذا استثنينا ما ذكرناه من قبوله بالتعاليم الاخلاقية التي تتفق مع ميوله الشخصية ونهجه في العيش.

ويستند هذا التفسير الى اوضاع الوسط الديني كما عايشها بنفسه حيث الدين

---

* تخدم هذه الدراسات الحاجة الى تعرف منشأ الاديان الثلاثة. والعلاقة فيما بينها. إلا ان بعض الكتاب الغربيين أراد منها فقط نفي الاصالة عن القرآن/. في تجاهل لوحدة هذه الاديان التي انشأتها شعوب تنتمي الى اصل واحد وجغرافيا واحدة وعالم حضاري واحد. ويستفاد من آراء الغربيين في هذا الشأن ان العهدين القديم والجديد هما نتاج غربي خارج عن تخوم الحضارة السـاميـة وان القـرآن اقتُبس منهما بنفس الطريقة التي يقتبس فيها الشرق من الغرب... والحقيقة ان ثمة خط يبدأ باليهودية ويمر بالمسيحية وينتهي بالاسلام وهو خطٌ سامي خالص في جغرافيته سبق لي ان جمعته في منحوتة اصطلاحية تضم الاطوار الثلاثة: اليهمسلامية.

وسيلة للكسب لا تختلف عن وسائل السوق الاخرى الرائجة. ولعله لم يجد ما يدعوه الى الاعتقاد بان السابقين افضل من اللاحقين لاسيما وان حوافز الناس متماثلة عنده مهما اختلفت ازمانهم واماكنهم.

واتهم المعري الاديان بالتسبب في الحروب والعداوات بين الناس. وهذه تهمة مستقاة كما يبدو من الرازي، الذي لا شك ان المعري قد قرأه بامعان. وبالنسبة للاسلام فان ما يعج به تاريخه حتى عصر المعري من صراعات دامية إنما نتج عن حروبه الاولى:

وان القتل في أحد وبدرٍ جنى القتلين في نهر وطف

نهر: يقصد معركة النهروان. والطف: معركة كربلاء.

ومن الثمرات المرة للحروب استرقاق النساء، وقد حدث وفقاً لاحكام النبوات، التي اباحت فروجهن للمقاتلين بمجرد ان يقعن في الاسر:

وهل ابيحت نساء القوم عن عُرُضٍ للعرب إلا باحكام النبوات؟

وهذه سنة غابرة في التاريخ واصلها الاسلام الذي اباح التسري، أي النكاح بدون مهور كما يسميه في لزومية اخرى على الراء.

واتهمها بالقيام على التفاوت الطبقي:

بالخلف قام عمود الدين: طائفة تبني الصروح واخرى تحفر القُلُبا

القلب: جمع قليب وهو البئر.

وادانها بسبب سماحها بالعبث بالحيوانات ناهيك عن اكلها. واختص الاسلام بالنقد في كتاب الصاهل والشاجح (ص ١٣٧) لانه جرى على سنة الجاهلية في هذا الشأن.

وتتبع الخرافات الدينية بالتكذيب فأنكر صلاة الاستسقاء مبيناً ان المطر لا

ينـزل لاجـل النـاس ولا ينقطع بسببهم. ونفى تأثير الادعية في نص طريف من «الصاهل والشاحج» يقول فيه البعير للبغل وقد هدده بالدعاء عليه (ص ٣٧٥):

«أما تخويفك اياي بدعائك فان الوحش الراتعة تبتهل على الاسد منذ كانت الخليقة وما لقي من دعائها الا خيراً. وكذلك خَشاس الطير (صغارها) يدعون على الباز والاجدل (الصقر) وما يزدادان بذلك إلا رغبة في صيدهن. والظباء والسُماسم (ثعالب صغار) يرغبن الى الله في هلاك الذئب والكلب الصائد فما سمع منهن دعاء».

عدم استجابة الدعاء سبق عن ابيقور تأكيداً لمذهبه في عدم تدخل الآلهة في شئون البشر. وسفهه الفيلسوف الصيني وانغ تشونغ (الاول للميلاد) مستنداً الى عدم معرفة السماء باللغة الصينية مع بعدها الشاسع عن الارض!

وكذب خبر الرجوم الذي ورد في القرآن ـ سورة الجن الآيتين ٨ و٩، وسورة الصـافـات الآية ١٠ ـ والخبـر يقـول ان الجن كانوا يسترقون السمع في السماء وينقلون اخبارها الى اوليائهم من اهل الارض. فلما بعث النبي محمد منعوا من ذلك ومن لم يمتنع منهم قصف بالشهب والنيازك. . . يقول المعري:

ولست اقـول ان الشهب يومـاً لبعث محمـد جعلت رجومـا

وخبراً في السيرة يزعم ان العرش اهتز لموت سعد بن معاذ بعد اصابته في معركة الخندق:

لا يكـذب النـاس على ربهم ما حرك الـعـرش ولا زُلـزلا

وكـذب معجزة المشي على الماء المنسوبة الى المسيح واستخف بأخبار طيران بعض الصوفية في الهواء.

وتحدث عن خرافات تأريخية فسفه القائلين بها: خرافة سواد الزنوج بوصفهم ابنـاء حام بن نوح وخـرافـات الاعمـار الـطويلة والقامات المديدة التي استقاها المسلمون من مصادر يهودية ويمنية ـ جاهلية، مثل عمر نوح الذي زاد على الالف

سنة وطول عوج بن عنق الذي كان ينزل في البحر ولا يغرق، وما شاكلها من قصص العماليق والاقزام. واستعرض الخرافات الشعبية ـ الدينية المزدوجة حول النجوم والحيوانـات والجن والملائكة ومعتقدات التطير والتيمن فسخفها جميعاً. وركز على التنجيم والعـرافة فكتب عدد من اللزوميات عبرت عن انزعاجه الشديد من رواج هذه السلعة، وطالب السلطة بالتدخل لمنعها. . وفي مبادرة عملية ضد الوعي الخرافي دعا لاجراء امتحانات للقصاص الشعبيين، وكانوا مصدر «تثقيف» رئيسي للجمهور، بحيث لا يسمح بالقص إلا لمن يمتلك ثقافة ادبية وتاريخيه كافية تحول دون اسـرافـه في سرد الخـرافـات وتسميم الجمهور بالمعتقدات الغيبية. ونستكشف في هذه الدعوة خيارات مصلح اجتماعي يرى السلطة، مهما تكن ماخذه عليها مؤهلة لتبني بعض اصلاحاته. ولعله لم يسرف في ذلك، فالسلطان الظالم لا يكون متخلف بالضـرورة. وكـان للسلطة الاسـلامية في شتى عصـورهـا موقع مركزي في بناء الحضارة، هو نفس الموقع الذي شغلته السلطة في الحضارات الشرقية الكبرى.

وانكر حكاية آدم مشيراً الى ان تسلسل البشر يمتد الى ابعد من هذا الاب واعتبـر قولهم «ابن آدم» مجـرد اصـطلاح لغـوي كقولهم «ابن عرس». والاصل الحقيقي للبشر مجهول عنده*

وتبنى مذهب الاسماعيلية في نسخ الشريعة (الغائها). ولتمرير هذا القول صاغ اللزومية على النحو التالي:

وجـدنـا اتبـاع الشـرع حزمـاً لذي النهى

ثم قال في الشطر الثاني:

ومـن جرب الايام لم ينـكـر الـنـسـخـا

---

* الظاهر انه لم يطلع على أو يستوعب المسلسل الارتقائي لسابقيه اخوان الصفا ومعاصره ابن مسكويه حتى تثير مخيلته تلك المقارنات التي اجروها بين الانسان والنسناس والقرد.

ولا جامع بين الشطرين سوى حرف الواو كاستهلال للجملة الاستئنافية. وسنبحث في فصل قادم اسلوبه هذا في التعمية.

والاقرار بالنسخ اداه الى التنبؤ بزوال مكة:

سيسأل ناس: ما قريش ومكة كما قال ناس: ما جديس وما طسم

جديس بفتح الجيم وطسم بفتح الطاء من القبائل العربية البائدة.

واعترض على العقوبات الشرعية التي تتضمن القطع للايدي والارجل بسبب السرقة. ولم يتناول عقوبات الجلد والرجم التي تفرض على الزنا وشرب الخمر. ولعل السبب هو انه لم يكن ضد السرقة اذ الاموال كلها مسروقة على رأيه بما فيها اموال التجار الذين اتهمهم بقطع الطريق في لزوميتين. وهو في المقابل كان يتشدد فيما يخص السلوك الاجتماعي وينفر من العلاقة الجنسية وشرب الخمر. واعترض على مادة في المواريث تعطي الأم حصة اقل من البنت والزوجة. والأم أرأف بالولد من بنته وزوجته. ولم يعترض على نقصان حصة المرأة عن الرجل، ربما بسبب كرهه للنساء. على انه اعترض على تعدد الزوجات ودعا الى الاكتفاء بزوجة واحدة خلافاً للشريعة.

في نقد الشعائر والعبادات؛ انكر الحج. ولم يحج هو نفسه الى مكة وانما حج الى بغداد للاتصال بأوساطها الثقافية. وفي اللزوميات قصيدة طويلة افتتحها بتوجيه نصائح الى النساء بان لا يذهبن الى مكة بسبب سوء اخلاق اهلها. وابدى عدم تحبيذه لطقوس الدفن وفضّل الاحراق على طريقة الهنود مبيناً ان النار اكثر تطهيراً للجسد من الماء والكافور. واستغل الحديث عن حرق الموتى ليطعن بعقيدة عذاب القبر. ولم ينتقد العبادات الاخرى لملاءمتها لمزاجه أو سلوكه الشخصي فالصلاة كانت تتيح له وقتاً يتفرغ فيه للاتصال بالمطلق. إلا انه كان لا يصلي الجمعة، لانها صلاة جماعية ينتفي بها غرضه من الصلاة. والصوم تكريس لحياة التقشف التي عاشها. وكان لا يقتصر على رمضان وإنما يصوم معظم شهور السنة.

وبالطبع فهو مع اداء الزكاة وقد حبذ فيها مذهب ابو حنيفة الذي يفرضها على مواد كثيرة تعفيها منها المذاهب الاخرى:

زكوا على مذهب الكوفي ارضكم وجانبوا قوله في مسكر طُبخا

يشير في الشطر الثاني الى اباحة ابو حنيفة شرب النبيذ.

من اصول الدين، جحد المعري عقيدة القيامة في عدد كبير من اللزوميات وشكك بها في عدد آخر. واستند في انكارها الى برهان حسي من شاكلة برهان ابن سينا في «رسالة المعاد» اذ بين ان الموتى لو بعثوا كلهم لما وجدوا مكان يكفيهم على الارض. كرر هذا البرهان في لزوميتين. وفي لزوميات اخرى عبر عنه بالنظم العادي كقناعة دون ان يتوسع بالبراهين التي لا تسمح بها طبيعة التعبير الشعري، لاسيما المقفى الموزون. واشهر لزومياته في هذا المعنى:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
يحطمنا ريب الزمّان كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقد سعى بعض محاميه لتأويل هذه اللزومية لصالح الاقرار بالقيامة فقالوا انه ميز البشر عن الزجاج بكون الاخير لا يعاد سبكه اذا انكسر. قال الشيخ العراقي طه الراوي في كتيب لطيف عنوانه «ابو العلاء في بغداد ـ بغداد ١٩٤٤»: «نقل عن بعض الفضلاء انه يريد ان الانسان يتحطم بيد الزمان كما يتحطم الزجاج ولكن الزجاج لا يمكن اعادة سبكه واما الانسان فمعروض لاعادة السبك. وقد شك بعض الناس بهذا التأويل وقالوا ما يدرينا ان الاوائل كانوا لا يعيدون سبك الزجاج بعد تحطمه؟ فأجيبوا: ان على الشاك ان يثبت ذلك. ص ٥٠» وسأثبته انا. ويؤسفني ان افعله في غياب المرحوم طه الراوي. ولو اني اجد بعض العذر في اني استجيب لتحديه، كما ان ادلتي تقتصر على اللزوميات، التي لا بد انه قرأها بحكم عنايته بصاحبها. ولعلها فاتته عند القراءة. وهذه هي:

١ ـ يسبك الصانع الزجاج ولا يستطيع سبكاً للدر ان يتشظى
٢ ـ وللسبك رُد كسير الزجاج ولا يسبك الدر إن ينكسر
٣ ـ ان الزجاجة لما حُطمت سبكت وكم تكسر من در فما سبكا

يجدر بالتنويه ايضاً ان اللزومية بتفسير المحامين تصبح ركيكة لان الاستدراك في الشطر الاخير للبيت الثاني يكون عندئذ جارياً على طريقة السجال المبتسر الذي يتم بين الصبيان في لعبهم. والمعري بادائه المتماسك الرصين لا يرتكب مثل هذا الاسفاف.

غطى نقد الدين عند المعري الاديان السماوية الثلاثة وكلاً من الزرادشتية والصابئة، مع تسامح تجاه الاخيرة التي حظيت بتنديد أقل. وهناك لزومية تتضمن تبريراً لعقائدها كما كانت معروفة في زمانه. قال:

الشهب عظمها المليك ونصَّها للعالمين فواجب اعظامها

وفيها تلميح لعبادة الصابئة للنجوم. ولعل تساهله مع هذه الملة يرجع الى قلة اتباعها وعدم ارتباطها بدولة تتبنى عقائدها. وهي ملة صغيرة مسالمة كانت لها مشاركة ملحوظة في العلوم الاسلامية. وابدى تحبيذاً لاديان الهنود. ومن المحتمل انه لم يطلع عليها اطلاعاً كافياً، وإلا لكانت موضوعاً لنقد مماثل. وكانت للهند حرمة روحية عند بعض المثقفين المسلمين نتجت عن بعض المعلومات التي تلقوها عن حكمة الهند وما في البوذية من تسامح نظري.

وهاجم الفرق الاسلامية الارأسَ. وله في الشيعة لزومية مطولة سخر فيها من عقائدهم واتهمهم بارتكاب المحرمات اتكالاً على شفاعة علي يوم القيامة. وانتقد غلاة الشيعة من الاسماعيلية والباطنية مكذباً قولهم بالتفسير الباطني للنصوص. ووجه للاثني عشرية ضربة موجعة بانكار ان يكون الامام علي مدفون في النجف، مما يعني نسف الاساس الذي قامت عليه حاضرتهم الكبرى. قال في لزومية على الراء:

وما صح للمرء المحصل انه بكوفان قبر للامام يزار

كوفان : الكوفة .

وذم المعتزلة دون ان يتعرض لشيء من آرائهم . ويفترض انه كان موافق عليها في جملتها فتجنب المساس بها . ويمكن حمل ذمه لهم على السلوك العملي . وكان المعتزلي الاكبر في زمانه وهو القاضي عبد الجبار ثرياً كبيراً ومخالطاً للحكام . ولا شك انه لم يكن يحترمه . وهاجم الاشاعرة واهل السنة وتحدث عن صراعهم مع الشيعة بشأن الصحابة والخلفاء فسفه الفريقين . على انه اظهر احتراماً لكل من عمر وعلي . وللاخير في المقام الاول . وفي اللزوميات ورسالة الغفران ما يدل على ميله الشديد اليه . وقد وظف بعض الكتاب الشيعة والاسماعيلية ما ورد عنه بهذا الخصوص لترسيمه شيعياً . والميل الى علي لا يعني التشيع بالضرورة فهو من امثاله تقييم شخصي لمزايا شخصية تاريخية . ولم يتبنَّ المعري أي عقيدة للشيعة إلا في مسألتين وردت احداهما في لزومية رائية تقول :

لما تولى يزيد الامر هان على معاشرٍ كونُه من قبل في عمر

وفيه اشارة الى ان حكم الامويين قد مُهد له في السقيفة . وهو قول الشيعة . ولو انه لا يقتصر عليهم فقد ذهب ابو حيان التوحيدي في «الامتاع والمؤانسة» الى انه من نتائج فتح مكة وان التمهيد للامويين تم على يد النبي نفسه (٢/ ٥٧٤) والتوحيدي من خصوم الشيعة ، وانما عبر عن رأي شخصي في قضية من قضايا التاريخ . وهذا هو شأن المعري . الثانية هي مسألة الجفر وهو جلد جذْي يزعم الشيعة انه يحتوي على علم اهل البيت وما اطلعوا عليه من اسرار العالم بالالهام الالهي . تقول اللزومية عن ذلك :

لقد عجبوا لاهل البيت لما اتاهم علمهم في مسك جفر

ومرآة المنجم وهي صغرى ارته كل عامرة وقفر

مسك بفتح الميم : الجلد المدموغ .

ومن الملحوظ استدلاله في اللزومية بمرآة المنجم. وهو كما عرفناه لا يقر بالتنجيم فكيف يستمد منه برهان على صحة حكاية الجفر؟ من المحتمل انه لم يكن جاداً في الاستدلال. وفي تقديري انه اراد ان يتقرب بها للفاطميين الذين عاش في مجال نفوذهم، اذ ليس لدينا ما يدل على انه كان معجباً بأحد من شخصيات اهل البيت بعد علي بن ابي طالب.

في نقده للسلوك الديني يعتمد المعري فرضية اولية هي ان الحافز المادي يحكم مجمل خيارات الفرد الايديولوجية. ويعبر عن هذا الحافز في ادبيات الاسلام بمصطلح «دنيا». وقد استعمل هو علاوة عليه مفرادت: كسب، جمع الحطام، اكل الاتاوة، وغيرها مما يقتضيه سياق النظم الذي يتطلب الانسجام الوزني والموسيقي للكلمة وليس مدلولها الدقيق.

والدنيا مراد الانبياء ومؤسسي الاديان كما هي مراد عامة الناس. وفي ثلاث لزوميات اتهمهم في شخص النبي داود بقوة الحافز الدنيوي، فهذا النبي يحب الدنيا كغيره وبسبب حبه لها كان يتلو الزبور، كتابه المقدس عند المسلمين. وفي لزومية على الهمزة اعلن ان الاديان هي مصيدة من قدماء كانوا مدفوعين بمصالح فردية جعلتهم يبحثون عن وسيلة لخدع الناس فوجدوها في الدين.

كما ينطبق ذلك على الرهبان المسيحيين والاتقياء المسلمين. ومع انه اظهر اعجابه بالرهبنة، ربما بسبب مبدأ العزلة، فهو يتهم الرهبان بحب الدنيا ايضاً ويندد بهم لاعتمادهم في العيش على الغير. وقد ذكرهم بان المسيح لم يترهب وإنما ساح في الارض. . وهاجم اتقياء المسلمين في شخص أويس القرني (بفتح القاف والراء) وهو رجل، يفترض ـ اذ وجدوه مشكوك فيه ـ انه من التابعين عرف بمسلك وعر في الزهد فرفعه المسلمين الى مصاف الاولياء. وصنعوا له تاريخ مشحون بالمعجزات والغرائب. وقد وظف المعري اسمه وهو مصغر أوس الذي يعني الذئب فكتب لزومية على الباء اعتبر فيها هذا الولي مجرد ذئب بشري كغيره من المتدينين. .

وحـذر اليهـود من احبـارهم (حاخاماتهم) مبيناً لهم ان رجال دينهم هؤلاء يتعمدون خداعهم والكذب عليهم لاخذ الاموال من فقرائهم حتى لو كانوا عرجان وعميان. . وفي نفس المساق، حذر النساء المسلمات من الوعاظ والمسيحيات من القسس، ودعاهن الى عدم الاصغاء اليهم. ونصح المسيحية بعدم الذهاب الى الكنيسـة. ولم اعثـر على نص في اللزوميات بخصـوص ذهـاب المسلمـة الى المسجد. وانما نهى النساء في لزومية سبقت الاشارة اليها، عن الحج وحذرهن من فسـاد اهـل مكـة وسدنة الكعبة. وفي احدى اللزوميات فضّل الكلاب على المصلين وفي اخرى بائية اعتبر الدين قد اصبح «كلب صيد» هكذا بالنص. وفي ثالثة رائية قال انهم قد وضعوه في المزاد العلني. واشار الى ما يجري في المساجد فقـال انهـا لم تعـد تختلف عن المواخير. اما القرآن فمجرد مزامير للغواة الذين يصلون والسيوف مشهورة في ايديهم، ليس ضد العدو الخارجي بل ضد الرعية. واتهم المسلمين عموماً بالتسوق بالقرآن. وحذر اهل الاديان جميعهم من الانخداع بالمظهر المتواضع لرجال الدين. قال:

ومـا انخفضـوا كي يرفعوكم وإنما　　　رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا

والمتدينين عنده صنفين: تجار أو بهائم. الصنف الاول اذكياء عرفوا طريق الكسب ورأوا ان الدين يوصلهم الى الدنيا فتمسكوا به. والصنف الثاني جهال لم يرزقوا حظاً من العلم. والدين يقوى مع الجهل. وهذه الاقوال مرجعها الى ابن الـراونـدي والرازي. ويتفق المعري مع الرازي في تحميل رجال الدين مسئولية التجهيل لان النـاس اذا تعلمـوا سألـوا ولا يعـودون يقبلون ما يلقى عليهم دون تمحيص. وللمؤسسـة الدينية في الاسلام شعار معروف هو قولهم: «من تمنطق تزندق»، استدل به الرازي على مسلكهم في التجهيل.

وفي لزومية عينية شدد هجومه على رجال الدين المسلمين الى حد تفضيل النصارى واليهود عليهم. قال:

ما جار شمــاسـك في حكمـه ولا يهــوديك بالـطامــع
فالــقس خير لك فيمــا ارى من مسلم يخـطب في الجامع

وقـد لا يكون هذا مجرد رد فعل تمليه حالة انفعال. ان الصفات السلبية لرجال الدين تظهر اكثر عند تمتع رجل الدين بسلطة تنفيذية. ومع ان المؤسسة الدينية في الاسلام لم تحكم مباشرة فان نفوذها لدى السلطة وفي المجتمع كان يوفـر لهـا اداة للتـأثير تمارس بها القمع ضد المخالفين، كما تمكنها من حماية مصـالحها وتوسيعها. أما المسيحية واليهودية فلم تتمتعا بهذه الفرصة في العالم الاسلامي، مما ساعد رجال الدين فيهما على الاحتفاظ بسمة سلام مع الرعية. ويبدو لي ان المعري لاحظ هذا الفارق في سلوك رجال الدين من الاديان الثلاثة. ولا شك انه لم يكن يعرف ما كان يجري في اوربا من جانب الكنيسة التي كانت تتمتع بسلطة زمنية واسعة هناك.

وهاجم المسلمين في عمومهم، وعيّرهم بقتلهم عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب:

همُ قتــلوا حيدراً ساجــداً وحسـبك من عمــر اذ طُعـن

وذكّرهم بقتل الحسين على يد قريش، حاملة راية النبوة والخلافة، وكيف تولى خلافتهم شخص مثل يزيد بن معاوية:

أرى الايام تفــعــل كل نكــر فمـا انـا في العجـائب مستزيد
ألـيس قريشكم قتلت حسينــاً وصـــار على خلافـتـكم يزيد؟

على ان تشـدده في نقـد الـدين لم يمنعـه من الـدعوة الى حربه الاديان والمساواة بين اتباعها في المجتمع الاسلامي. وقد استنكر اضطهاد دين لآخر لان النـاس متساوين في الاصل. وهذه عنده حقيقة جوهرية لا تغيرها الحروب التي تثيرهـا الاديان. ودعـا في لزومية على الفـاء الى تقبـل الاختـلاف ما لم يقترن

بالاعتداء، لان الناس مختلفون بالطبع. وعبر عن مسلكه الشخصي في هذا الشأن في نص منثور من «الصاهل والشاجح» بين فيه انه لا يبغض الناس بسبب عقائدهم لانها بين الانسان وربه (ص ٦٨٢) ومرتبطاً بهذا المسلك، أبعد نفسه عن الصراعات بين الاديان والطوائف. وقد ندد كثيراً باختلاف الفرق الاسلامية لاسيما الشيعة واهل السنة. وكانت الاخيرة قد تمايزت في زمانه كفرقة واخذ اتباعها بالازدياد. وكان قد ظهر واضحاً من اول القرن الرابع ان الصراع العتيد بين الشيعة والسلطة قد آل الى صراع بين الشيعة - في فرعها الامامي الاثني عشري - وبين اهل السنة. وفي عدد من اللزوميات قارب موضوعات الخلاف فاستخف بها واتهم الفريقين بالغباء لاصطراعهم على امور صغيرة لا تدخل في صميم حياتهم الفعلية.

وكما ابتعد عن صراعات الطوائف تجنب خلافات المذاهب الفقهية ودعا الناس الى عدم اتباع الفقهاء والاكتفاء بعقولهم. على انه اساء فهم الاختلاف في الفقه حين وضعه على نفس ملاك الصراع بين الاديان والطوائف. وميدانه مغاير تماماً، لان الفقه يعني التشريع، والاختلاف فيه هو اختلاف في الاحكام وليس في العقائد. وقد ساعد الاختلاف بين الفقهاء على تطور التشريع الاسلامي وظهور مواد فقهية تشكل مروقاً على السنة وتعكس تعقدات البنية الاجتماعية في عصور نضج الفقه.

في نقده للدولة والسياسة. طرح المعري امور شتى وردت في تضاعيف اللزوميات ومنشورات كتبه. وقد ردد في الكثير منها نفس الافكار المتداولة في اوساط المعارضة والحركات الاجتماعية، كما انفرد عنها بطروحات يتكرس فيها وعيه السياسي والاجتماعي الخاص به.

رأيه المبدئي في الحكام المسلمين يستند الى نظريته في كون الانسان شرير بالطبع. فالحاكم المسلم ظالم بالطبع، فاسد بالطبع ولا يختلف عن حكام الملل الاخرى في ظلمه وفساده واهماله مصالح الرعية. وتناول بسخرية القاب الملوك

والخلفاء المسلمين التي شاعت مع بداية العباسيين واستنكر مدائح الشعراء فيهم ودعاء الخطباء في صلاة الجمعة لهم بطول العمر والنصر. ولاحظ ان علاقة الحاكم بالمحكوم هي من نفس علاقة رجل الدين برعيته المؤمنة؛ علاقة خادع بمخدوع.

وفي بعض اللزوميات نقـرأ وصفـاً لاوضاع البلدان الاسلامية يكشف عما كانت تعانيه من صراعات دموية ومظالم واضطهاد للناس ونهب لاموالهم. ويلقي المعري نظرة شاملة على هذه الاوضاع ثم يكثفها في هذه المفردات التي تنطلق مدوية من داخل تلك البلدة الصغيرة:

ظلم مستضعف واخـذ مكـوس	وحـياة في عالـم منـكـوس
ان العـراق وان الشـام مذ زمن	صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الانـام شياطين مُسلَّطة	في كل مصر من الوالين شيطان

وفي لزومية مشهورة يتحدث عن علاقة الاجارة التي تربط الحاكم بحكمه فيهـاجم الحكـام لظلمهم الـرعية واهمال مصالحها رغم انهم اجراء لها. ولهذه الالتفاتة المثيرة سابقة في رواية ترجع الى صدر الاسلام عن تابعى يدعى ابو مسلم الخولاني من اهل اليمن قيل انه دخل على خليفة اموي فخاطبه بعبارة: ايها الاجير. ولمـا استنكـرهـا الخليفـة بين له: «نعم انت اجير. استـأجـرك رب هذه الغنم لرعايتها». . والفكرة في اللزوميات تخرج من لغة الدين الى لغة السياسة وتجعل الحاكم اجير للرعية وليس لله. والمعروف ان هذه الفكرة ظهرت في شكل نظرية عند جان جاك روسـو هي نظرية العقـد الاجتمـاعي. . ولعـل منشأها العملي يتصل بالرواتب التي كانت تعطى للخلفاء الراشدين لقاء تفرغهم لشئون الخلافة وتركهم اشغالهم التي كانوا يعتمدون عليها في معيشتهم.

ويذكـرنـا مفهـوم عقد الاجارة هذا بمفهوم حقوق دافعي الضرائب. وهو مفهوم حديث بلوره الفكر السياسي الرأسمالي. وقد ألمّ به في لزومية جاء فيها:

وأرى ملوكاً لا تحوط رعية　　　فعلى م تُجبى جزية ومكوس؟

تحوط: ترعى.

والملوك ليسوا من الكرام، فهؤلاء في المعارضة لا في السلطة، وهم، أي الملوك في حاجة الى التأديب وليس الناس. ومن اهداف التأديب اعطاؤهم عقول حتى يحكموا على اساس السياسة العقلية. ومن يحتاج الى التأديب لا يصح تكريمه ناهيك عن السجود له كما يفعل اهل الحاشية. واطلق دعوة لمقاطعتهم:

توحد فان الله ربك واحد　　　ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

والراجح انه يخاطب المثقفين اذ هم المعنيين اساساً بصحبة الرؤساء.

وحاسب حكام زمانه الفاسدين حساباً واقعياً. فقال لهم ان انشغالكم بالنساء لا يمنع من اداء ما عليكم من التزامات للمجتمع وامنه، وكان يتحسس هذه الحاجة لوجوده قريباً من الحدود البيزنطية، وذكرهم بالمهلهل بن ربيعة ومن على شاكلته من فرسان الجاهلية الذين امتلكوا قلوب رقيقة تعشق الجمال دون ان يتخلوا عن سيوفهم، فكانوا يزورون الحرب كما يزورون معشوقاتهم.

وفكّر كما يبدو طويلاً في سبب تمادي الحكام في استهتارهم فرآه في غياب القيادة الكفوءة التي تقود الضعفاء في ثورة على الذئاب الحاكمة. وهو مؤيد للثورة المسلحة. ولو انه من جهة اخرى يكره الحرب. ويحتوي عدد من اللزوميات على وصف لمآسي الحرب يشمل الاسر والاسترقاق والترمل والتيتم والافقار.

واستغرب كيف يجمع الناس بين حرصهم الشديد على الحياة واصرارهم على اشعال الحروب؟ واطلق دعوة لنزع السلاح. ودعا الناس الى الاشتغال في اعمال منتجة بدلاً من التعيش بالحروب. وفرق بين الحرب الدفاعية والهجومية فأقر الاولى وانكر الثانية. واستهجن ان تكون الحرب وسيلة الى السلطة والتوسع. كما ندد بالفتوحات من جهة ما يترتب عليها في حكم الشرع من استرقاق النساء واباحتهن لآسريهن. وتكلم في بعض منشوراته بلغة مسيحية (نسبة الى المسيح)

فقال في الفصول والغايات (ص ١٢٩) «اذا غمس القوم ايديهم في الدم. فاغمس يدك في ماء الغدير» على ان شدة تحسسه لكرامة الفرد حملته احياناً على مناقضة نفسه فدعا الانسان الى تفضيل الموت في ساحة حرب على الموت مريضاً في الفراش يتوجع ويتشكى لعواده. وهذه دعوة جاهلية تعبر عن قيم الفرسان. وان يكن من الممكن الاستنتاج انه تبناها لتشجيع امراء الشام على خوض الحروب مع البيزنطيين لدفعهم عن البلد. ومما يقوي ذلك استعمال صفة «المسوّد» أي المؤمّر لتأكيد المقصود بدعوته وقال: إن الموت على الفراش لا يليق بمثل هؤلاء الناس.

وتحدث في احدى اللزوميات عن تآزر المؤسستين السياسية والدينية ضد الرعية مشيراً الى ان الملوك يحكمون ويضطهدون الناس وهم محاطون برجال دين قساة يزينون لهم افعالهم.

وكرس بعض اللزوميات لتبيين التفاوت الشديد في مستوى العيش بين الحكام والرعية. وكذلك داخل الرعية بين الاغنياء والمحرومين. واختص الشحاذين بلزومية وصف فيها معاناتهم بنبرة انسانية موجعة. واطلق دعوة لتسبيل المال. والتسبيل مصطلح اسلامي يفيد اشاعة المال، مأخوذ من السبيل باحدى قرينتين: اعطاؤه لابن السبيل وهو المتشرد أو بقرينة تركه في الطريق حتى ينال كل واحد نصيباً منه. واقر استعمال السيف لارغام من عندهم المال من حكام أو رعايا على توزيعه لذوي الحاجات. واعلن عن موقعه في معمعان الصراع الطبقي فقال انه يقف مع المقْترين الصعاليك. وبالتكامل مع هذا الانتماء ابدى ميلاً الى الجاهلية في لزومية لمح فيها الى افضلية الدين الوثني على الدين السماوي من هذه الجهة:

وان رجالاً كان نسر لديهم   الهاً، عليهم قبلنا طلع النسر

نسر الاولى من آلهة الجاهلية ذكر في القرآن (٢٣/ نوح) والنسر الثانية نجم.

وقال ان هؤلاء الذين كانوا يعبدون الاله نسر:

عاشوا يرون اليسر إفضال مكثر على مقتر . .

ثم جاء الدين السماوي : فانقضى الناس واليسر.

واستطرد يصف طريقتهم في الحياة :

لهم سُنّــة ان لا يُضَيِّع معــدم اذا سنـة ازرى بانجمهـا الاسر

وكانت الجاهلية من الاوضاع القليلة التي استثناها من ذمه في اللزوميات وغيرها .

وصدرت منه دعوة للاستغناء عن الدولة . ففي لزومية ميمية من بيتين نصح الناس بالتحوط لمنع تدخل الولاة في شئونهم ودعاهم اذا تمكنوا من تدبير امورهم بانفسهم ان لا يسلموها لغيرهم .

ان نقد المعري للدولة لم يمنعه من نقد المعارضة . وقد مر بنا انه لم يوفر أي فرقة اسلامية من ذمه حتى لو كانت فرقة يشاركها في مجمل طروحاتها القائمة على العقل كالمعتزلة . ومن هنا يأتي نقده للقرامطة والزنج . وقد اختص القرامطة بعدة لزوميات وهاجمهم مع الزنج في لزومية اتهمهم فيها بالخضوع لمطامع رؤسائهم، ودعا بدلاً من اتباع الرؤساء الى امامة العقل. ويستند نقده للقرامطة الى اعتبارين : الاول عقيدتهم التي تشتمل على غيبيات تحدث عنها في رسالة الغفران والثاني شدة سفكهم للدماء. والاخير هو ما ركز عليه في نقده لهم في اللزوميات. وهو ايضاً مأخذه على الزنج . ولم يكن في نقده للقرامطة من هذه الوجهة ما يخالف وجه الحق بقدر ما يتعلق بقرامطة شرقي العربيا فقد ارتكبوا مذابح مجانية ضد المدنيين ليس لها من المبرر سوى تعبيرها عن همجية البدو، الذين كانوا يشكلون نسبة كبيرة في هذا الفريق من القرامطة. وافعال القرامطة هذه ثابتة لا مجال للتشكيك فيها . غير انه تجنى على الزنج من وجهتين : الاول انه تبنى انطباعات عامة نتجت عن دعاية رسمية نسبت اليهم الاسراف في سفك الدماء ولم يبحث عن روايات اخرى تضمنت مدلـولات معـاكسـة عن افعال الزنج . فعندما نرجع الى الطبري الذي

عاصرهم وسجل اخبارهم بتحيز شديد ضدهم نقف على اتزان ملحوظ في سياسة صاحب الزنج العنفية. فقد روى الطبري في سرده لبداية حركته انه اكتفى بتشليح السادة مالكي الزنوج من اموالهم واملاكهم والقى فيهم كلمة ذكّرهم فيها بجرائمهم ضد هؤلاء المساكين ثم ابلغهم انه قرر الافراج عنهم وعدم معاقبتهم. فردوا عليه: «ان هؤلاء الغلمان أبّاق (جمع آبق للعبد الهارب من سيده) وهم يهربون منك فلا يُبقون عليك ولا علينا فخذ منا مالاً واطلقهم لنا». فغضب وسلم كل مالك الى عبيده المحررين ليضربوه خمسمئة شطبة. ثم عاد فأفرج عنهم. ويذكر من افعال الزنج هجومهم على البصرة وتدميرها. وهنا ايضاً يستفاد من الطبري ان خطة الهجوم لم تنفذ إلّا بعد ان صارت البصرة مركز التحريض والتعبئة ضدهم. وكانت البصرة مدينة اثرياء فكان من الطبيعي ان تواجه حركة الزنج بالعداء الدموي وان يبادلوها هم نفس العداء. (يراجع تاريخ الطبري حوادث ٢٥٥).

من جهة ثانية لم يلتفت المعري الى الاضطهاد الشنيع الذي كان يلقاه الزنج في جنوب العراق. ويصعب القول انه لم يكن يعرف شيئاً عن ذلك. وان المرء ليتساءل باستغراب مُمِضّ كيف ان رحمته التي اتسعت للبرغوث لم تتسع لهؤلاء المعذبين من البشر؟

في هذا الصدد لدينا بعض النقاط:

فهو اولاً لم يستنكر الرق. بدا وكأنه يساير ارسطو في اعتبار الرق من عمل الطبع، أي ان العبد عبد بالطبيعة. افترض هذا مع الاخذ في الحساب ان ارسطو كان راضياً بنظام الطبيعة والمعري معترض عليه. وليس في اللزوميات ما يدل على انه اعتبر الرق حالة غير انسانية. سوى انه استنكر استباحة النساء في الحروب، ولو دون ان يبين ان كان يقصد استرقاقهن. كما احتوت بعض اللزوميات على قواعد بشأن معاملة العبيد مأخوذة من تعاليم الاسلام. وفي «الصاهل والشاحج» عبارة يستفاد منها ان علاقة الرق لا تشترط تفوق المالك على المملوك: «رب عبد هو أزكى من سيده وامة (عبدة) افضل من الحرة» (ص ١٦٧). وكان يمكن لمن

يتوصل الى هذه النتيجة ان يتساءل عن عدالة هذا النظام . . .

مهما يكن فهذا الموقف من الرق مشترك عند القدماء. ولم يطرح مطلب الغائه من جانب أي حركة اجتماعية مهما بلغت جذريتها بما فيها الاسماعيلية والقرامطة. غير ان الفقه أعطى تعليل للرق يخرجه من تحديد ارسطو، اذ اعتبره الفقهاء في الاصل جزاء على الكفر أي انه ليس صفة لاصقة بالعبد. وقدم الفخر الرازي تفسير للرق يجعله منافي للطبيعة اذ افاد في تفسيره للآية ٩٢/ نساء التي عالجت جريمة القتل الخطأ ففرضت على القاتل الدية مع تحرير رقبة أي اعتاق عبد «ان التحرير يعني جعله حراً، والحر هو الخالص. ولما كان الانسان في اصل الخلقة خلق ليكون مالكاً للاشياء فكونه مملوكاً يكون صفة تكدر مقتضى الانسانية وتشوشها فلا جرم سميت ازالة الملك تحريراً أي تخليصاً لذلك الانسان عما يكدر انسانيته (التفسير الكبير ١٠/٢٣٣).

هذا الفكر متقدم كثيراً على فكر المعري/ وارسطو/ بشأن الرق. ولعله لم يستوعبه بسبب استخفافه بالدراسات الفقهية والكلامية. .

ثمة كذلك التباس بخصوص دعوته الى امامة العقل. وهي مبدأ لازم في قضايا الفكر يضع الانسان المفكر في مواجهة الدين والايديولوجيا والمأثورات ويوفر له شروط التحرر من التبعية الفكرية وما يرتبط بها من الدوغما المعطلة للنشاط الذهني. وهذا في الفكر. اما في العمل السياسي فامتثال هذا المبدأ مختلف تماماً. فالعقل لا يقود حركة سياسية وإنما يقودها زعماء يتمتعون بكفاءات مناسبة لاداء مثل هذا الدور، المختلف جذرياً عن دور المثقف. ومادة الحركة، اعني جمهورها لا تتشكل في الغالب من العقلاء لان اعتمادها في التعبئة يكون على الايديولوجيا وليس على العقل. وبقدر ما تكون الحركة الفكرية محتاجة الى العقل، تكون حاجة الحركة السياسية الى الايديولوجيا. ان ظواهر التاريخ معقدة وشديدة التنوع ولا يمكن تنميطها في غرار. ولكل فصل منها شروطه التي تتم مراعاتها وفق مبدأ وضع الشيء في مواضعه، تبعاً لتعبير عربي قديم. وكثيراً ما يقع

خلط بين مستلزمات الاشياء نتيجة تفكير احادي يدفع المشتغل في مجال ما الى التعميم بالاعتماد على المعايير المتبعة في مجاله. ولم يفلت المعري من هذه الاحادية حين اعتبر العقل، اللازم للفيلسوف، لازم بنفس الدرجة لفلاح يقاتل المالك بوعي طبقي بسيط ضمن حركة سياسية تسيرها قيادة تعرف من شئون الدنيا ما لا يعرفه الفلاح.. العقل لا يصلح اماماً إلا في النشاط الفكري، وهو الامام الاوحد هنا، لان الفكر لا يؤخذ بالاتباع وإنما بالتعقل وهو كذلك حتى في حالة الارتباط بفلسفة أو فكر فيلسوف أو مفكر معين، اذ ان متابعة الفيلسوف أو المفكر تتم بناء على تفكير عقلي، والمتبع قد يكون هو نفسه فيلسوف أو مفكر. ومعروف ان اتباع الفلاسفة لا يكونون إلا من المثقفين العقلانيين، بخلاف اتباع الانبياء أو المصلحين أو القادة السياسيين. وقد انكر الرازي مبدأ الامامة في الفلسفة وبنفس الاعتبار انكر الدين لكونه مرتبط بالامامة: لا يفكِّر ولا يمارَس إلا بها. لكن هؤلاء الفلاسفة يفهمون حركة العقل ولا يفهمون حركة المجتمع. فهذه الاخيرة لا تستغني عن قيادة. ان أي نشاط سياسي أو اجتماعي يتطلب لكي ينتج اهدافه اطار منظم. ويعني التنظيم وجود قيادة، فردية أم جماعية، ذات مركز آمر، مع جمهور من الاتباع ينفذون الاوامر طوعاً أو كرهاً. وبهذه الطريقة وحدها يتوصل البشر الى تحقيق إرادتهم في أي مفصل من التاريخ.

* * *

يتلمس الفيلسوف الشاعر تراجيديا الطبيعة النافية لعقلانيتها في مظاهر شتى من حياة الانسان والحيوان والنبات. وتتخذ مفارقة الموت والحياة موقع ناشز في تفكيره فيتساءل عن الارض التي تُغذينا ثم تتغذى بنا وهي المسماة أمًّنا. وينظر الى الموت باعتباره الغاية الوحيدة للحياة، فالانسان من لحظة ميلاده محكوم بالاعدام يعيش وهو ينتظر التنفيذ/ المؤجل الى امد قد يطول وقد يقصر دون ان يكون قابل للالغاء. وكان قد اطال الوقوف عند هذه المفارقة منذ وقت مبكر يسبق نضجه

الفلسفي. ونجد امثلة على ذلك في مراثيه التي يضمها «سقط الزند» حين يتابع بخياله الممض صورة الخد الذي تصونه صاحبته عن التقبيل لانها لشدة حسنه ولطافته لا ترى مخلوقاً جديراً بالاقتراب منه ولمسه ولو باللثم. ثم ينتهي هذا السر المصون الى التراب ليكون غذاء لامه الارض. ويجنح به الخيال في اللزوميات فيتصور مفاصل البناءين وقد صارت طلاء للجدران. والعالم عنده متداخل ينشأ بعضه من بعض.. ولا يكفي الكلام المقدس لاعطاء هذه المفارقة حكمة غائبة عن عقل الانسان المحدود، فالعقل القلق لا يمنعه شيء عن السؤال. وهو لا يستريح لتعليل الفلاسفة ان الموت مكمل لطباعنا؛ فطبيعة الدماغ الذي ينتج الفلسفة هي ليست طبيعة الدماغ المستحيل تراباً.

وما بين الحياة والموت مسلسل محن مصدرها الطبيعة والمجتمع على السواء. ففي كليهما لا مكان للعدل، والعدوان هو السمة المشتركة للعالم بكل اجزائه وبجميع كائناته. حتى النبات المسالم يصبح مصدر عدوان.ويلتفت الى تلك الثمرة الانيقة اللذيذة، العنب، فيتذكر انها تتحول الى خمر يفسد العقل. وهو عدو للخمر لانه ضد كل ما يعطل عمل العقل أو يعطيه ساعة راحة. (الطبيعة التي يكمن عدوانها حتى في العنب كيف يرجى صلاحها؟).

السلم مستحيل في الطبيعة مادامت بعض الحيوانات لا تستطيع العيش إلا على البعض الآخر. والخلل كامن في نظامها وليس في الحيوان نفسه. فهي التي خلقت لبعض الطيور مناسر تفترس بها الطيور الصغيرة وجعلت للذيب انياب يأكل بها الغزلان والنعاج. وعندما يُفترض خالق للطبيعة فهو يتحمل هذه التبعات. وليست قدرته المطلقة مانعة من الطعن في حكمته:

ولو لم يرد جور البزاة على القطا　　　مكونها ما صاغها بمناسر

والحكم في الطبيعة هو نظير الحكم في المجتمع. ان النظام الذي سلط الاسود على الظباء هو نفسه الذي يحرم الفقير المريض من حاجة يشتهيها ويعطي

للظالم كنوز تفيض عن حاجته:

أتعلم الارض وهي أم ... خف زمان فما ازدهاها
بأي جرم وأي حكم ... سُلط ليث على مهاها
وعُذِّرت حاجة بعسر ... على عليل قد اشتهاها
وظالم عنده كنوز ... من أم دفر ومن لُهاها

أم دفر: الدنيا.

وهو نفسه الذي حكم بانتصار معاوية بن ابي سفيان ومقتل عمار بن ياسر، حكماً يبعث على الاقتناع بان تاريخ الاسلام جرى على الضد من العقيدة التي تقول ان الله ينصر اولياءه ويخذل اعداءه ـ هذا وهو بعد لم يشهد هزائم المسلمين في الاندلس واندحاراتهم امام جحافل المغول الوثنيين. . .

في هذا النظام يجب ان لا يلام احد على شيء مادام الجميع محكومين بالطبع. وان كانت المسئوليات تتفاوت؛ فالاسود والذئاب معذورة لانها جبلت هكذا وليس لها عقول. اما الانسان فان وجود العقل عنده يجعله مسئول عما يفعل، حتى يفقد عقله فيستريح الى عذر. ولذلك يجب ان لا نلوم القاصر العقل:

وهل ألوم غبياً في غباوته ... وبالقضاء اتته قلة الفطن

وحتى مسئولية الانسان العاقل تبقى محدودة بحكم خضوعه لتلك القوة الجابلة. وقد قال ان اخلاقنا لم تفسد باختيارنا. على انه ما ان يصطدم بظلم الحكام حتى يتخلى عن اتهاماته للطبيعة ليتهم الانسان بتعمد الشر والاساءة. ولذلك لا يصح اعتبار تشخيصه للخلل في نظام الطبيعة كموقف جبري، فمذهبه هذا لا يأتلف مع العقيدة الدينية التي تقول ان ظلم الحكام قضاء من الله يجب الصبر عليه. وان كان لا بد من تسميتها جبرية فهي جبرية احتجاج لا اقرار، اعني جبرية متمردة قد تصبر على حكم الطبيعة ولا تصبر على حكم الانسان، وتعتبر ظلم الحكام من صنع انفسهم وتجعل الثورة عليهم تبعاً لذلك ممكنة ومشروعة.

ان حكم الجبر في الطبيعة يجعل المخلوقات سجينة الفلك. ولعله كان ينظر الى تحدي القرآن للبشر والجن: «يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا..». وسجن المخلوقات في الفلك ليس مجرد انصياع جغرافي فهي محكومة بدكتاتورية النظام الكوني الذي يتولى تحديد موقعها في الوجود وتبعاً لذلك مصيرها:

ما باختياري ميلادي ولا هرمي ولا حياتي فهل لي بعدُ تخيير؟

والفلك نفسه: هل يجري على الصواب؟ ان تماثل اجزاء العالم وخضوعه لقانون مشترك لا تسمح بالاستثناء. ولعله قد ساح في محيط الفلك باحثاً بغريزته الناقدة عن خلل ينظمه في لزومية فلم يوفق. اذ ان حكم الافلاك ليس كحكم الاحياء. ثم لما عاد خائباً ألقى نظرة على المجموعة الشمسية فاستنتج وجود ظلم في ترتيب السيارات وهو علو زحل على المشتري. وتساءل عندئذ أي ذنب جناه المشتري حتى يكون ادنى من زحل؟ والمشتري كوكب ابيض جميل يحبه الشعراء فجدير به ان يكون في المحل الاعلى.. واللزوميات على أي حال لا تنسى ان النجوم ستزول يوماً ما، فهي كالمخلوقات الاخرى محكومة بقانون الموت. ولا يخضع زوال النجوم عنده لدوغما القيامة وإنما لفكرته عن موقوتية الاشياء.

والغاية من العالم مجهولة:

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة أي المعاني بأهل الارض مقصود؟

أرى جوهراً حل فيه عرض تبارك خالقنا: ما الغرض؟

فالمعري خارج عن منطق الغائيين. ومع افتراض وجود خالق فان غرضه من خلق العالم غير معروف. وهو لا يمكن ان يكون لغاية خيرة لان العالم غير متوجه نحو الخير. فهل كانت للاله نوايا شريرة؟ ان الرازي ـ وهو كما رأينا من شيوخ المعري في الزندقة ـ كان يرى غلبة الشر في العالم ويعتقد في نفس الوقت بوجود اله، بقناعة فلسفية لا يشوبها شيء من قلق تلميذه. وكان يرى ان الله مريد

للخير. أما الشر الذي في العالم فقد حدث خلافاً لرغبته. ويفهم من منظومته الفلسفية ان الله لم يكن يرغب في خلق العالم، ثم نزل على رغبة النفس المطلقة التي اشتهت ان تتجبل في مادة فخلق لها العالم وهو كاره. وبهذا المعنى يكون اله الرازي غير مطلق القدرة ولا الارادة رغم انه يحب الخير أما اله المعري فانه، مع افتراض وجوده عنده، فاعل للشر ومسئول مباشر عن عدوانية الطبيعة.

يبدو نقد المعري لنظام الطبيعة كظاهرة متميزة في حياة الفكر الفلسفي. ان معظم الفلاسفة وكافة اهل اللاهوت والدين اجلّوا نظام الطبيعة واعتبروه صنعة متقنة ابدعت على احسن ما يمكن. واستخلص اللاهوتيون من هذا دليل على ان للعالم صانع، اذ لا يمكن ان يكون مثل هذا النظام العقلاني الدقيق المتقن قد وجد بالصدفة. وتنقل مصادر الفلسفة الاسلامية عن جالينوس انه قال ان من درس التشريع ازداد ايمانه بالله. يشير بذلك الى التركيب المعقد للجسد، الذي جعله الفلاسفة المسلمين صورة للعالم فقال احدهم يخاطب الانسان:

وتحسب انك جرم صغير — وفيك انطوى العالم الاكبر

وتبعاً للاديان السماوية فالعالم قائم على العدل، ويفسره المسلمون بالتوازن والتكافؤ في ظواهره بحيث لا تجور ظاهرة على اخرى. ومنه قولهم: بالعدل قامت السماوات والارض. ويستخلص مؤدلجو التفاوت الطبقي من ذلك دليل على عدالة المجتمع القائم على التفاوت مادام المجتمع جزءاً من ملكوت الطبيعة، أي السماوات والارض.

يلاحظ ان التمسك بعقلانية الطبيعة وانسجامها يشيع فضلاً عن الاوساط الفلسفية، لدى الحركات الاجتماعية والمصلحين الاجتماعيين بوجه عام. أما المذهب المعاكس فيصدر عن افراد الفلاسفة والمفكرين. وهو أقل شيوعاً من المذهب الاول. وقد استخدم من بعض فلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر في مجرى حملتهم على الكنيسة ومعتقداتها، حيث تمسك الفكر الدينى بعقلانية نظام

الطبيعة للاستدلال على القوة العاقلة التي اوجدته ورد عليهم التنويريون بالبحث في مفاسد الطبيعة وما فيها من ظلم وعدوان ولا معقولية. وتترتب على المذهب الاول نتائج ايديولوجية توظف للتحكم في حركة المجتمع الذي يصبح عندئذ جزء من كل منسجم ومتوازن ومعقول بما يضمن توجيه نشاط الافراد وجهة منتجة محكومة بالانضباط الكوني. لكن وجود هذا النظام العادل المتقن الصنعة يقلص من دائرة الحرية لحساب دائرة الضرورة، وتبعاً لذلك من الفكر الطليق لحساب الايديولوجيا.

ان انكار عدالة الطبيعة وعقلانيتها يقود كما رأينا الى انكار الدين ويساعد بالتالي على التحرر منه. والدين من اشد القيود على حرية الانسان وعقله. على ان التحرر من الدين قد يقترن بالمذهب الاول القائل بعقلانية الطبيعة. ويحصل هذا غالباً في الايديولوجيات الثورية التي تكافح لاصلاح المجتمع بمنظور فلسفة إلحادية وتتمسك في نفس الوقت بهذا المذهب لانه يخدمها كما لاحظنا في السيطرة على / وتوظيف نشاط جمهورها. وهنا تصطدم الايديولوجيا بأشكال يتعلق بالتوفيق بين الحاجة الى امتلاك ادوات الفعل المنتج للجماهير وبين السعي في الاصل للتحرر من الدين. وهذا الاشكال واجهته الايديولوجيا البروليتارية المعاصرة واشتد بالخصوص في حالات صيرورتها ايديولوجية سلطة حيث برز اتجاه الى الكليانية الفكرية من خلال سيادة منطق منمط يوحد بين نظام الطبيعة ونظام المجتمع الجديد من جهة ان كلاً منهما كلي الكمال، مصمّت لا ينخرق، وعقلاني لا يقبل الغلط*.

قد يكون نقد نظام الطبيعة قابل للتكامل مع نقد المجتمع بقدر ما يكون

---

* ان تسجيل هذه النقطة من جانبي لا يعني الموافقة على النقد الجاري للستالينية، لاني مع نقد الستالينية لحساب اللينينية، وفي ضوئها، وليس لحساب السيد زخاروف وتلامذته.

اعتبار عدالته في الفكر الديني، والى حد ما اعتبار عقلانيته في الفكر الحديث، مانع منه. ومرجع هذا الامر الى ان التعامل الحر مع الوجود يضع الفكر في سياحة خارج الثوابت المنطقية ويجعله من ثم ابعد عن التنميط الملازم، أو الموصل، لليقينيات. والفكر الناقد للطبيعة يؤدي وظيفته في منأى عن الدين بوصفه محصلة مسلمات ايمانية وعن الايديولوجيا بوصفها منظومة افكار مستقرة، ومتفاهمة بفضل استقرارها مع قوانين العالم الازلية. ويغلب هذا المنحى النقدي المضاد لليقين على فكر المعري الذي امضى حياته محروماً من راحة العقل، ومستعداً من ثم لاخضاع كل شيء في الطبيعة أم في المجتمع لادواته النقدية.

كما يتضح حتى الآن، فان نقد نظام الطبيعة لم يؤدي به الى رأي قاطع بشأن وجود الاله، وانما الى انكار قاطع للدين. وتصوراته في هذه المسألة ملتبسة. اذ كيف يصح ان نتصور قوة كونية مطلقة القدرة وتحمل كل هذه الافكار الشريرة والخطط العدوانية التي تجعل الطبيعة في حالة حرب ابدية وكائناتها في شقاء دائم؟ ان انكار وجود هذه القوة اسهل منطقياً، بل هو في الحقيقة استنتاج يترتب حتمياً على الاقرار بوجود الشر في العالم. وقد تمسك به كما مر من قبل بعض ملاحدة القرن الثامن عشر. ومن لوازم هذا الاستنتاج انكار الغائية والقول بالصدفة واعتبار حركة الطبيعة خاضعة لقوانين عمياء. والمعري ينكر الغائية بهذا المفهوم. إلا انه يقودنا الى غائية معاكسة حين يجعلنا نعتقد بوجود تصميمات عدوانية تقف وراء خلق العالم على هذه الصورة. وهذا الاعتقاد لا يأتلف مع النقد الفلسفي الذي ينتهي في المعتاد إما الى ابطال الغائية وما يلزم عنها من عقلانية الطبيعة أو الى القول بعقلانية الطبيعة مع انكار الغائية. وفي كلتا الحالتين انكار لوجود اله مريد للخير أو للشر. وليس في تاريخ الفكر الفلسفي تصور اله يخلق العالم بنوايا شريرة. ثمة فقط اله الظلمة في الزرادشتية وهو اقرب الى ان يكون شيطان من طراز شياطين الاديان السماوية التي تمتلك قدرات خارقة دون ان ترتقي الى مرتبة

الآلهة. واله المعري هو الاله الذي ارسل الانبياء واوجد الاديان الثلاثة. أي انه الاله المشترك في الفلسفتين الاسلامية والغربية وهو اله واحد وقدراته مطلقة وكلية.

هذا التصور في تقديري قد يرجع الى اسقاط سياسي واجتماعي: فكما ان الشر في المجتمع البشري ناشيء عن وجود الحكام الفاسدين الطغاة فينبغي ان يكون الشر في الطبيعة من فعل قوة حاكمة عليا.. ويأخذ التصور هنا صيغة اتهام تندرج في لائحة المعارضة للنظام السياسي والاجتماعي دون ان يفقد طبيعته الاصلية كنتاج لوعي فلسفي. ونصوص اللزوميات في هذا الجانب تختلط فيها عناصر شتى من الحس الاجتماعي والسياسي وروح المعارضة والمزاج الشعري، علاوة على الفلسفة. ونجد لهذه الاسقاطات امثلة لدى بعض المعاصرين من ذوي النزعة المعارضة للنظام السياسي والاجتماعي. كقول الرصافي:

اذا كنت عن رب البرية سائلاً فلا هو موجود ولا هو عادل

فنفى وجوده وعدله. وقول عبد المعين الملوحي.

سميت عبداً للمعين وانني لم احظ يوماً للمعين على اثر

وغرضه ان ينكر وجوده وعونه للناس. وهذا موقف سياسي واجتماعي في المقام الاول.

مهما يكن، فالمرء يشعر اذ يعيش مفاسد هذا العالم بطرفيه الطبيعي والاجتماعي ان شيخ المعرة اقرب الى الحقيقة في فهمه للوجود مع انه قد يكون في هذه النقطة بالذات ابعد عن اداء المهام المنشودة للتغيير الاجتماعي.. لقد تعامل هذا الاعمى مع طبيعة عمياء رآها تختلف عنه في سمة العدوان واللامعقولية ووضع يده على نقاط مشخصة من عدوانيتها ولامعقوليتها، فقدم الادلة الملموسة، وليس النظرية، التي تدحض فكرة الالوهية بنفيها العقلانية عن الوجود. وما لم يتحصن المرء بالمسلمات واليقينيات فلا بد ان يقتنع من ملموسيات المعري ان

هذا العالم لا يدبره عقل منظم. وستكون قناعة مزدوجة الفعل في باطن المنطق: لا تخرج الانسان من دينه فقط وإنما تثير الشك ايضاً في اسلوب معالجة الطبيعة بفلسفة الامر الواقع اللادينية حيث يكون الدفاع عن عقلانية الطبيعة طريقاً للوصول الى راحة العقل التي يسعى الدين لتوفيرها لاتباعه.

نتفحص الآن رأيه في الناس وهم ابناء الطبيعة والمجتمع في وقت واحد وعيوبهم ليست منفصلة عن هذين الابوين. . تظهر اللزوميات كراهية شديدة لآدم، بصرف النظر عن الاقرار بوجوده أو عدمه، مع استخفاف به وبحواء. والمعروف ان آدم معدود في الانبياء في حين يصر المعري انه لم يكن عاقلاً، وإلا لكانت ذريته عقلاء. وذهب بعيداً فاتهمه بالفجور مستنداً الى حكاية تزويجه ابنه من بنته معتبراً هذا الزواج من باب الزنا ومنتهياً الى القول بان البشر اولاد زنا.

وطبيعة الانسان شريرة والخير تطبّع يأتي على جهة الاستثناء. ولذلك يعيش الناس في صراع بين العقل والطبع يستغرق حياتهم كلها. والعدوان اصل في الانسان، وكذلك الجهل. ولا يتفاضل الناس في اخلاقهم لان اشرفهم قدراً يعيش طول عمره عبداً لبطنه وعضوه التناسلي. والفساد يرجع الى المنشأ فالماضي كالحاضر ولا وجود عند المعري للماضي الذهبي. ونظراً لتساوي الناس في الشر فلا وجه لتمييز التقي عن الفاجر لان عالم البشر خالي من الاتقياء. ولذلك اوصى في احدى اللزوميات ان يدفن بعد موته دون صلاة اذ لا يوجد في الناس رجل تقي يمكن ان تساعده صلاته عليه في عبور الصراط. . وقد يكون شرار الناس هم كبراؤهم وخاصتهم سواء منهم الحكام أم رجال الدين أم المثقفين. وقد اعتبر الادباء مسئولين عن تعميم الكذب، والشعراء مرتزقة وكذلك اللغويين، والمتكلمين. واستثنى الفلاسفة فلم يذكر احداً منهم بشر. ومن مجموع المسلمين لم يكن يبدو

راضياً إلا عن اربعة هم عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر. وتعاطف مع الحسين بتأثير مأساته. ورأيه في محمد غير واضح. ومن الانبياء السابقين كان ايجابياً مع المسيح، بينما سخر من موسى وفضل نفسه عليه.. والمسيح اذا تجرد من الدين اقرب الى المعري من سائر الانبياء.

والناس عميان وبسبب ذلك دعاهم الى مساعدة الاعمى اذا مر بهم لانه مثلهم في الحقيقة. ويضيق ذرعاً بحالة الاقتتال السائدة بين الناس. واذ يعجز عن ايجاد تفسير لهذا الاصرار على التذابح يسلي نفسه بالقول انه جزاء لهم على ذبحهم للاغنام.. ويجري مقارنات بين البشر والحيوان فيفضل الاخير؛ ليس فقط في الاخلاق بل ومن حيث مفهوم السعادة.. ان الناس يعيرون بعضهم بعاهاتهم ولم يحدث ان عيرت الطيور الغراب بالعرج فقالت له: يا اقزل كما يقول الناس لبعضهم يا اعمى ويا اعور ويا احدب. والانسان يثير الحروب والحيوان لا يفعل ذلك. وتكاليف حياة الحيوان اقل من جهة الملبس والمأكل والمأوى. والحيوان متفوق على الانسان في دقة الصنعة، وضرب مثلاً في النحل والسرفة (بالضم حشرة تصنع لها بيت من العيدان الدقيقة). والحيوان الى ذلك متحرر من الدين واعباء التدين. واغفل الفرق في الحياة الجنسية التي تقتصر عند الحيوان على ضرورة حفظ النوع فلا تحتاج معظم انواعه الى الجنس إلا مرة أو مرتين في العام.

على ان نقد المعري للناس ليس كنقده للطبيعة. فرغم انه يحيل عيوب اساسية فيهم الى منشأ طبيعي، لا ييأس من قدرتهم على التخلص من اوضاعهم. وعرض هو نفسه مشروع للهداية عليهم:

لو اتبعوني ويحهم لهديتهم ... الى الحق أو نهج لذاك مقارب

وهذا اقرار منه بان التغيير ممكن، ولو انه جازف بادعائه القدرة على قيادتهم.

الثمن :

على الـذم بتنـا مجمعين، وحـالنـا
من الرعب حال المجمعين على الشكر

يلخص هذا البيت من اللزوميات محنة الناس مع الدولة. ان مساحة القمع في السياسة واسعة الى حدود تتسع لقلب الواقع الى نقيضه التام: الاجماع على الرفض يتحول الى اجماع على القبول. وهذا في العلاقة مع الدولة. ويمكننا ان نحمل البيت معنى غير بعيد عن هواجس صاحبه فنضعه ايضاً في مجال العلاقة مع السلطة الدينية، مع الاحتفاظ بالفرق ما بين الحالتين: ففي الاولى يكون الرعب عاماً يحاصر الجمهور والمثقفين ع السواء. وفي الثانية يكون المرعوب هو المثقف في المقام الاول، وربما الاخير.

واذ لم يجد ابو العلاء مفر من الكلام في السياسة مغالباً دعوته الى الصمت فقد كان عليه ان يغالب الرعب ايضاً. ولنتأمل: الرعب وليس مجرد الخوف. على انـه لم يعـدم الحيلة. وقـد اظهر من الدهاء ما يكفي لتحاشي الوقوع في شرك السلطان. ان النقد السياسي في اللزوميات موجه الى الجميع وغير موجه الى احد: لا ذكر فيه للاسماء، وانما ذكرت البلدان في اقصى حالات المجاهرة.

ولعله كان يراه من جهد المقلّ، الحد الادنى الذي لا بد منه لاداء وظيفة الوعي.

ان ترك التسمية في نقد السلطة عامل صيانة هام. فقد قتل بشار بن برد على بيتين هجا فيهما المهدي العباسي بالاسم. والمعري اذكى من بشار. أو لنقل اكثر تمـاسكـاً منه. على ان الاهم في عنصر الصيانة هو ان هذا النقد لم يخرج عن انفعالات مثقف ساخط على سلوك الحكام. اعني انه لم يكن شعار حركة منظمة تريد الاطاحة بالحاكم. عندئذ كان المعري سيلقى مصير الحلاج. وهو من طينة اخرى غير طينة ذلك القطب الذي كان يروم انقلاب الدول بالتعبئة المنظمة.

الاحسـاس بالقمع، الرعب من السلطة، يبقى ملازماً لاعمى المعرة الى

درجة نغصت عليه حياته:

ألِفنـــا بلاد الشـــام إلف ولادةٍ   لقينا بها سود الخطوب وحمرها

فطوراً نداري من سُبيعـة ليثهـا   وطوراً نصادي من ربيعة نمرها

سبيعة وربيعة (بالتصغير) رموز للحكام في بلاد الشام. نصاري: نداري.

ولم يخفف من هذا الاحساس لزومية دعا فيها الى طاعة الملوك وتحدث عن ضرورتهم للناس، فالاحساس بالرعب يشتد حين يعيش المرء تحت سلطة يكرهها. وعندما يكره الانسان انساناً اقوى منه تختلط الكراهية مع الخوف. وهكذا خوف المعري من الدولة، ينشأ عن معارضتها ومقتها، ومن ثم نقدها، حيث تكون في هذه الحالة هي المصدر الوحيد للقمع. وفي نقد الدين يختلف الامر، اذ يتعين على المرء ان يحسب حساب المؤسسة الدينية* وجمهورها، فضلاً عن الدولة. وقصة ابو العلاء هنا طويلة. وقبل الدخول في تفاصيلها اقدم الموجز التالي عن علاقة كل من الدولة والمؤسسة الدينية بقمع الفكر في الاسلام.

الدولة الاسلامية بعد الراشدين تخلت عن الشريعة كمرجع وحيد للحكم. لم يعد مبدأ سيادة الشريعة هو الفيصل بين الخليفة ورعاياه، فقد آلت السيادة الى الخليفة، الذي بدأ يتصرف، منذ معاوية بن ابي سفيان، كحاكم مطلق الصلاحية، وصار امره هو القانون. وكان من عواقبها ان فقدت الدولة جزء من وظيفتها الدينية كحامية للعقيدة التي استلمتها المؤسسة الدينية من عهدة الامويين.

وقد سعى الخلفاء الى الاحتفاظ بالصفة الدينية فتمسكوا بألقاب خليفة

---

* المؤسسة الدينية تعبير (مجازي) اردت به الاشارة الى اربعة اصناف وجدت في العصور الاسلامية وهي: الفقهاء، أهل الحديث، اللاهوتيين والمفسرين. وهؤلاء لم تكن تجمعهم هيئة كالكنيسة وإنما اشتغلوا كأفراد. والتنظيم الوحيد الذي عرفوه هو العلاقة بين الشيخ وتلاميذه ومريديه، وفي عصر لاحق: مقلديه (بالنسبة الى الفقهاء). وكان هناك مكان لنشاطهم هو المسجد، الذي كان في نفس الوقت مرفق اجتماعي يتساوى في الاستفادة منه رجل الدين والناس العاديين.

وامير المؤمنين وامـام. واستحـدثوا لقب خليفة الله، ووجهوا الاعلام لتوكيد هذه الصفة التي نهض بها الشعر والخطابة في ايام الامويين وما بعدها، ودخلت في صياغة الادبيات الرسمية. بينما اختلفت المؤسسة الدينية حولها فأقرها وساهم فيها افـراد منهـا وافقوا على الاشتغال في الدولة أو استلموا المساعدة منها. ورفضها آخرون: كانوا اكثرية في القرن الاول ثم تقلص عددهم في القرون التالية. ولم يتهيأ للخلفاء احتكار هذه الصفة؛ فمن جهة بقيت المؤسسة الدينية مستقلة عنهم فلم تنـدمـج في الدولة ليكون لها نصيب في السلطة الزمنية، واستمر افراد منها يقاطعون الحكام لاسباب مختلفة، لا يخدمونهم ولا يأخذون منهم. ومن جهة ثانية كانت مهـام الحـاكم المسلم متعـددة يتعذر حصرها في ملاك خدمة الدين كما يصعب اداؤها على الحكم الديني الصرف. وقد تولى الحكم الاسلامي، بمركزيته الشرقية المفرطة، مسئولية بناء الدولة والمجتمع وتصرف كمحور لسيرورة الحضارة بشتى مناحيها المعقدة بينما ادت المؤسسة الدينية وظائفها المقتصرة على الدين في منأى عن/ أو بالتواصل مع الدولة دون ان تتوصل الى ان تصبح بديلاً عنها في قيادة المجتمع. وبهذا كانت الصفة الدنيوية غالبة على الحكام المسلمين الذين استقلوا بالسيادة واتبعوا في ادارة الحكم سياسات تغلب عليها المهام غير الدينية. ولم يكن معظمهم يرى غضاضة في ذلك، بل ربما رأينا العكس. فقد روى مثلاً ان شاعراً يدعى مروان بن ابي حفصة قال لصاحبه شاكياً انه مدح المأمون بشعر بليغ المعنى فلم يهتز له. فسأله عما قال فأنشده قوله:

أضحى امـام الهـدى المـأمـون منشغلاً

بالـــدين، والـنـــاس بالـــدنيا مشـــاغيل

فرد عليه صاحبه: ما زدت على ان جعلته عجوزاً في يدها مسبحة. فمن يقوم بأمر الدنيا اذا انشغل عنها؟

وأظهر الحاكم المسلم، بحكم موقعه هذا، المزايا المعتادة لرجل الدولة في

وسط يزاول نمو حضاري. وكانت الثقافة من الامور المألوفة في بيوت الحكام. ونادراً ما قفز الى السلطة حاكم امي حتى مجيء السلاجقة في المشرق بقدراتهم العسكرية وفقرهم الثقافي. بينما كان ملوك وامراء الاندلس متعلمين في جملتهم. وكذلك ملوك وامراء شمال افريقيا ومصر. وكانت الثقافة الادبية اغلب على الحكام المسلمين من الدينية. وتمتع العديد منهم برصيد من الكلام والفلسفة. وقد ترجمت علوم اليونان والهنود باشراف الخلفاء العباسيين وتخطيطهم وترعرعت الفلسفة وعلم الكلام برعاية مباشرة منهم. وكانت المؤسسة الدينية مناوئة لهذه العلوم فشنت الحملات على طلابها وسعت لاغراء السلطة بهم فوفقت في القليل وفشلت في الكثير.

خضع قمع الفكر من طرف السلطة السياسة وفقاً لمبدأ يرجع الى معاوية الذي كان يقول: «اننا لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان..» وتدل القراءة الغير- استشرافية لتاريخنا الثقافي على ان الاضطهاد كان يشتد مع المثقفين المتورطين في نشاط معارض. هكذا كانت ملاحقة الزنادقة ايام المهدي وابنه الرشيد وهكذا كان مقتل الحلاج وبشار بن برد. بينما سلم من القمع مثقفون اكثر عناية بالفلسفة من هؤلاء واكثر مجاهرة بالمروق لان اشتغالهم في الثقافة بقي خالصاً من السياسة.

وكانت الثقافة مسئولية شخصية للحاكم المسلم الذي يرجع اليه الفضل في حماية المثقفين اللائذين به ضد التكفير وما يتبعه من هدر الدم. وكان للمؤسسة الدينية جمهور وغوغاء قادرة على تحريكهم لتطبيق فتاويها. وقد شكل هؤلاء مصدر قلق للفلاسفة والمتصوفة والمتكلمين وكان ممكناً لهم ان يفعلوا بهم ما كانت تفعله الكنيسة الاوربية بمثقفي اوربا لولا ان السلطة الفعلية لم تكن في ايديهم. وترجع وقائع التنكيل خارج الغرض السياسي الى حالتين: استخدام الجمهور لارهاب المثقفين غير المرضي عنهم. ومن أمثلته تصرفات الحنابلة ببغداد في بعض الاوقات. ولم يصل ارهاب الجمهور الى ارتكاب جرائم قتل وإنما مضايقات

وحصار وشتائم. الحالة الثانية توصل المؤسسة الدينية الى التأثير على حاكم معين للتنكيل بمثقف معين. ومن امثلته قتل السهروردي بأمر صلاح الدين وابنه الظاهر بتحريض من فقهاء حلب*. وابعاد ابن رشد عن قرطبة بتدخل من فقهائها. وليس هناك معايير متبعة للتنكيل، فقد يقمع فيلسوف ذو مذاق ديني كالسهروردي بينما يسلم فيلسوف أو مفكر مجاهر بالكفر مثل ابو بكر الرازي. كما ان القمع لم يكن بالضرورة قتلاً، كانت هناك عقوبات اخف هي الغالبة كالسجن والابعاد أو المنع من التدريس ودخول المسجد. وكان المبعدون يجدون على الدوام ملاذات في مكان آخر من بلاد الاسلام. وفيما عدا بعض الزنادقة في زمن المهدي وابنه الرشيد لم يكن السجن يستمر مدى الحياة.

في داخل هذه المعادلات المتشابكة مارس ابو العلاء المعري نقد الدين: هاجم الانبياء بلغة قريبة من لغة الرازي وتجاوزه الى الطعن بحكمة الاله وعدالته مرة والى التشكيك بوجوده مرة. وندد بالمؤسسة الدينية باصنافها الاربعة من الفقهاء واهل الحديث والمفسرين ورجال اللاهوت وسمى الكثير منهم بأسمائهم. فكيف نجا وأي ثمن كان عليه ان يدفعه لقاء ذلك؟

يعرف ابو العلاء ان ثمن ما هو فيه قد يصل الى قطع الرأس. قال في رسالة الغفران بعد ان روى ميمية منسوبة الى شداد الليثي من عهد النبوة ينكر فيها القيامة: «ولا يدعي مثل هذه الدعاوى إلا من يستبسل وراءها للحمام ولا يأسف له عند الالمام. ص ٤١٤» - الحمام بكسر الحاء الموت - وتحدث في اللزوميات عن محنة الناس والمثقفين أمام القمع. وألقى بنظره بعيداً فتصور الامم وقد تحكم بها الجهال وتنطسوا في التنكيل بها لكي تستقيم على خطهم وهي مجبورة لا تملك امرها يحملها الخوف على التصديق والعقل على التكذيب. والشاعر قد يعمم وهو

---

* يقول ابن ابي اصيبعة في طبقات الاطباء (ص ٦٤٤ - ترجمة السهروردي) ان الملك الظاهر نقم بعد مدة على الذين افتوا بقتله واعتقل جماعة منهم واهانهم وأخذ منهم أموالاً عظيمة. .

يريد التخصيص؛ فالامم لا تؤمن خوفاً وإنما ينتشر فيها الدين وما في حكمه من النحل والعقائد ضمن سيرورة تأريخية. فالمقصود في اللزوميات ينبغي ان يكون افراد المثقفين الذين يعقلون امراً ثم يحملهم الخوف على القول بخلافه. أما الامم فتكـون ضحية الجهـال أو المغرضين من الحكام ورجال الدين حين يحدث ان تُستغل عقيدة الامة لمصالح فئات أو افراد ينخدع بهم الجمهور أو يتحكمون فيه بالقوة.

والقتل على العقيدة شائع. وقد يكون على تهمة لا تثبت:

قد يقتـل الحـر ومـا دينـه   في طاعة الله بمكلوم (مجروح)

والحر هذا قد يكون مفكر نظر فلم يوافق على تفسير سائد للعقائد وليس بالضرورة نظر فألحد. وحين يتفشى القمع تختلط الجهات ببعضها ويموت الناس بزلة لسان. والسبيل المسلوك الى ذلك هو التكفير، وقد هاجمه في لزومية رائية بيّن فيها ان الغواة من رجال الدين يكفرون المخالف لهم، على المخالفة لا على ما يوجب الكفر. ثم تساءل: وأي الناس يخلو من الكفر؟ وهذا سؤال كبير، فالتصرف مع المعتقدات يصعب ضبطه بحسابات رياضياتية، والنصوص المقدسة تستحمل التأويل لما فيها من المتشابه الذي يتقبل وجوه عديدة، كما ان الاجتهاد في الاحكام من اصول الشريعة، وقد يصل الى الكلام في العقائد على رأي بعض المعتزلة الذين اعتبروا الاجتهاد في الفقه شامل للاجتهاد في اصول الدين تبعاً لما يسمونه الاجتهـاد في العقليات. والكفـريقع ايضاً في السلوك الشخصي ما دام يتعذر وضع معايير تنظم وتقنن تطبيق الاحكام الشرعية بحرفيتها.

وفي لزومية على الباء اورد من امثلة ما يؤدي اليه الخوف من مصاعب لاهل الفكر تغريق سفيان الثوري لكتبه. وسفيان فقيه ومحدث وصاحب موقف سياسي واجتماعي من القرن الثاني. وكان من قادة حركة المقاطعة للعمل في الدولة. وقد مات مختبئاً واوصى ان تغسل كتبه بعد موته لمحوها. وكانت له آراء في رجال الدين

لا بد انها استهوت المعري. ولا يعرف ماذا كانت كتبه تحتوي فأوصى بمحوها. وفي هذه اللزومية يكشف ان القمع لا يوفر اعضاء في المؤسسة الدينية، كما اننا قد نلمس فيها تلميحة عذر لمن يتراجع أمام الخوف.

يكتشف دارس المعري حصافة تتوازى مع التهور. اللزوميات ليست كلها نقد للدين ففيها من دلائل الايمان اكثر مما فيها من دلائل الكفر. امام كل لزومية يشتم فيها الدين اكثر من لزومية تدافع عنه أو تندد بالملحدين. كان الثمن لقاء نقد الدولة لزومية واحدة دعت الى طاعة الملوك. أما ثمن التحرش بالدين فكان باهضاً.

والفرق لا يرجع الى سهولة نقد الدولة وصعوبة نقد الدين، فالامر كما بينا كان بالعكس، وإنما سهلها على نفسه بمهاجمة ارباب الدولة دون ان يسميهم. ولم يكن هذا ممكن في نقد الدين الذي يضع صاحبه وجهاً لوجه امام الانبياء والكتب المقدسة، فكان على المعري ان يحتاط بمتاريس وخطوط دفاع يخفي وراءها مواقعه.

قلت لشيخي الجليل عبد المعين الملوحي: انا منزعج من جبن المعري. فأجابني كان الاولى ان تنزعج من جبننا نحن أهل هذا العصر. وأوصاني ان لا اجور عليه.

ومن دون ان اخالف وصية الشيخ اطال الله بقاءه، اقول ان صاحب اللزوميات كان مخطط دفاع من طراز فذ. وقد ظهرت مواهبه الدفاعية في منثوراته، كما في منظوماته. ففي المنثورات اظهر قدرة فذة على المناورة. ولعله قد استقى من تجربة ابو حيان التوحيدي، الزنديق الخطر. الذي لم يفصح عن زندقته كما يقول ابن الجوزي، فكان يبث آراءه الالحادية على لسان آخرين يروي ما يقولون أو ما يريد ان يقوّلهم بعد ان يشتمهم ويتبرأ منهم. وهناك تماثل بين رسالة الغفران وبين الفصول التي احتوت هذه الآراء من كتاب «الامتاع والمؤانسة» الذي قد يكون افضل كتب ابو حيان. واتبع في رسالة الغفران طريقة في التستر تقوم على

استخفاف ذكي، خفي على بعض الناس وادركه الحاذقين منهم*.. ولنذكر هذا المثـال عن حصـان وحمار وحش وجدا في الجنة، فلما سأل عن السبب الذي استحقا به هذه المنزلة العظيمة قيل له عن الحصان ان نفراً من المؤمنين نفد زادهم في الطريق فاصطادوه وذبحوه لطعامهم. وعن حمار الوحش ان احدهم اصطاده وجعل إهابه (جلده) اناء يشرب منه الصالحون (ص ١٩٠ من ط بنت الشاطىء). والاستخفـاف هنا خفي لا ينكشف للقارىء إلا بعد توصيله بمسألة تحريم ذبح الحيوان وأكل اللحم واستعمال الجلد (في لزومية على الشين اخبرنا ان حذاءه لم يكن من الجلد بل من الخشب).. ويكـاد هذا الضرب من الاستخفاف يتوارى خلف ايمان صادق يحمل صاحبه على الاهتمام بأكل المؤمنين وشرابهم. وهكذا كانت توحي لغته المنثورة بحيث ان كتاباً مثل «الفصول والغايات» ينشر بوصفه من كتب المواعظ مع ما فيه من السخرية بالذات الالهية.

هذه الطريقة في التستر مفيدة امام القضاء الذي يعتمد على الظاهر في اصـدار احكـامـه ولا يلجأ الى التأويل أو المقارنة بين النصوص إلا حين يكون القـاضي مغـرض. ولو ان المعري حوكم على اللزوميات لامكنه الدفاع برسالة الغفران: امام القضاء وليس امام النقاد المحايدين! على ان دفاعاته ماتزال فعالة حتى اليوم وقـد استخـدمها محاموه المعاصرون من الادباء الذين أُعجبوا ببراعاته المتعددة وأدبه الغني وربما بشخصيته، وعز عليهم ان يفقدوه. وللمعري اصدقاء كثيرين من هؤلاء. وقد اختصه ابن بلدته محمد سليم الجندي بثلاث مجلدات جمع فيها ما كتب عنه في المصادر القديمة وكرس منها فصول مسهبة لاثبات ايمانه ودفع الزندقة عنه. ومما اشتملت عليه لوائح دفاعه فقرة من رسالة الغفران سئل فيها الجني ابو هدرش عن الرجم بالشهب فقال: «زاد في اوان المبعث». وتمسك بها

---

* الذهبي مثلاً، وقد اعتبر رسالة الغفران من اردأ ما كتبه وقال انها تحتوي على مزدكة وفراغ - سير اعلام النبلاء ١٨/ ٢٥.

الجندي لينكر دلالة الكفر في لزوميه انكرت هذا الخبر وهي .

ولست اقــول ان الشهب يومــاً　　　لبعث محمــد جعلت رجومــاً

والانكـار هنا صريح ومباشر. اما ما ورد في رسالة الغفران فهو استخفاف فمؤلفهـا لا يؤمن بالجن وابـو هدرش شخصية روائية اختـرعها ليعطيها دور في احـداثهـا. وقـد تعـارف الادبـاء على استخـدام الاسـاطير والمعتقدات الدينية والخرافات في العمل الادبي من قصة أو رواية أو شعر ولا يعني ورودها في نص ان صاحبـه مؤمن بهـا. (انـظر الجامع في اخبار ابي العلاء المعري ١٣٠٥/٣ من ط دمشق ـ مجمع اللغة العربية ـ).

في اللزوميات لا مجال لهذا الشكل من التعمية لان الشعر لا يساعد على التبسط والتوسع الذي يقتضيه التلاعب بالافكار والتصرف في العبارات في ادب السخـرية والاستخفـاف. فاستعمل بدلاً من ذلك وسائل للتمويه تمترس خلفها لاعلان آرائه الصريحة بالتعبير المباشر. ومتاريسه هذه عبارة عن لزوميات مؤمنة تحيط باللزوميات المارقة لتضليل النظر عنها. وليس في هذه اللزوميات معنى التوبة أو البراءة لانها تتداخل مع اللزوميات المارقة، ولا تأتي في نهايتها من حيث الترتيب المكاني في الكتاب ولا الزماني في التأليف. أما موضوعاتها فتدور على الايمان بالله واليوم الآخر والتنديد بالزنادقة والاقرار بالعقائد. ويلاحظ ان اللزوميات المؤمنة لا تقصـر عن المـارقة في مستواها الفني، واحياناً في حرارتها. ويرجع ذلك في المقام الاول الى اتساق شاعرية متكاملة اللحظات بصرف النظر عن موضوعاتها. .

سئل الكميت بن زيد: «انك قد اجدت في مدح الامويين كما اجدت في مدح الهاشميين» وكان قد مدح الامويين خلاصاً من القتل فقال: «لاني اذا قلت شيئاً احببت ان احسن» على ان اللزوميات المؤمنة / الناشئة في الاصل عن الرعب/ قد تعكس في بعض حالاتها محاولة غير واعية للتكيف مع مصدر الخطر. وفي مثل هذه الحـالات يمكن ان لا نستبعـد انقلاب تاكتيك الدفاع الى استسلام نفسي يتقمص فيه سبب الرعب ليعيد انتاجه في صيغة تجربة ذاتية قد تتأصل بحيث تصل

الى حد النيابة عن الجلاد. وهذه حالة قصوى من التقمص ذو المنشأ الدفاعي يفقد فيها مفكر مذعور توازنه العقلي فينقلب في لحظة ما الى موقع الضد. وعلى هذا الاساس يمكن ان نفسر لزوميات دعا فيها الى قتل الملحدين. ولم يكن في زمانه بالذات من هو اكثر الحاداً منه اذ ان موجة الالحاد التي قادها ابن الراوندي والرازي قبله بأكثر من قرن كانت قد خفت. . وإنما صعّدتها لزومياته، بل وفاقتها خطراً لانها اخـذت صورة النظم، والنظم يسهل حفظه وانتشاره بخلاف المقولات الفلسفية المنثورة التي يصعب فهمها ناهيك عن حفظها. . ان تأصل لزومية مؤمنة الى هذا الحد يؤشر حالة من عصاب التعاشق بين المقموع والقامع تحدث حين يتجاوز القمع أو الخوف منه قدرة الضحية على الدفاع. غير ان هذه اللحظة لا تتأبد عند المعري. فهو يتنقل في الاحوال بين القبض والبسط تبعاً لامتحانات الارادة التي يجريها في حلبة الصراع والتي تنعكس في لزومياته باخفاقاتها ونجاحاتها فتوجد هذا التناقض في افكاره كما في استعداداته لتحمل العواقب: ثمة لزوميات يدعو فيها الى المغامرة والاستعداد للموت وعدم التردد في الاعلان عن الرأي ويستنكر النفاق ويجانس بينه وبين النفق (المضيق والمأزق) واخرى يعترف فيها انه ينافق ولا يقول الحقيقة خوفاً على نفسه. واستعان بمثل شعبي، والامثال الشعبية في عمومها تدعو الى الاتكال والاستسلام، ليؤكد على وجوب المداراة. والمثل لايزال متداول بين العوام وهو قولهم: «اليد اللي ما تقدر على قطعها ـ أو كسرها ـ قبلها». وفي مقطوعة ميمية وضـع سلمـاً للصدق والكذب فدعا الانسان الى قول الصدق والثبات عليه الى ان يشعر بتفاقم الخطر فعندئذ يجب ان يكذب قائماً وقاعداً. . واعتبر الكذب في هذه الحالة مثل أكل الميتة للمضطر الذي لا يجد طعاماً (اللحم لا يؤكل إلا من حيوان يذبح حياً والحيوان الميت لحمه حرام) واعتبر الحق من باب الماء المباح الذي قد يحرم شربه بأمر الطبيب.

وعبر عن الكذب والنفاق في بعض اللزوميات بالمجاز وقال ان كلامه يجري عليه. وفي هذين البيتين يقرن بين الكذب والمجاز فيقول:

تعـالـى الله فهـو بنـا خبـير　　قد اضطرت الى الكذب العقول
نقـول على المجـاز وقد علمنا　　بان الامـر ليس كمـا نقـول

ولا شك ان المجاز ـ الكذب الذي يقصده هو لزومياته المؤمنة، فهو مضطر الى اعلان ايمانه وغير مضطر الى اعلان كفره. اعني ان جهة الارغام والقسر كانت في زمانه، كما هي في زماننا، تعمل لصالح الايمان وليس لصالح الالحاد.

الى جانب اللزوميات المؤمنة، اتبعت اساليب تحايل لتمرير لزوميات مارقة. منهـا ان يذكـر المسـألـة الالحادية ثم يشتم القائلين بها، على طريقة ابو حيان التوحيدي. قال عن موسى:

تقـدم صاحب التـوراة موسى　　وأوقـع في الخسـار من اقتراها
وقـال رجـاله: وحـي أتـاه　　وقـال الـظالمـون بل افتـراهـا

والظالمون هؤلاء هم اصحابه، سماهم ظالمين لئلا يحسب عليهم. ودليلنا انه هاجم موسى في البيت الاول وجعل اتباعه من الخاسرين. فالظالمون اذن من باب الكذب ـ المجاز.

وأراد ان يثبّت قوله بأزلية العالم فقرره على هذا النحو:

أرى زمـنـاً تقـادم غير فانٍ　　فسبحـان المهيمن ذي الجلال

في صدر البيت فكـرة فلسفية مكفـرة. وفي عجـزه تسبيحـة لا علاقة لها بالفكرة. وإنما سبح للتعميسة.

وجمع في لزومية اخرى بين ازلية الخالق وازلية الزمان. والاولى عقيدة دينية والثانية مذهب فلسفي:

خالـق لا يشـك فيه قديم　　وزمـان على الانـام تقـادم

ويجب ان يكون الشطر الاول غطاء للثاني لان الاول مؤمن والثاني مارق.

وفي تاكتيك آخـر يعلن رأيه بصراحة ثم يعقب عليه بالدعوة الى الصمت

وتحاشي الجرأة في الكلام. قال:

ولست اقـول ان الشهب يومـاً — لبعث محمـد جعلت رجـومـا
فامســك غرب فيك ولا تعــوَّد — على القـول الجـراءة والهجوما

الغرب: الدلو.

ولـو لم يرد جور البزاة على القطا — مكـونهـا ما صاغهـا بمنـاسـر
رأيت سكـوتي متجـراً فلزمتـه — اذا لم يفد ربحاً فلست بخاسر

المنسر: منقار الجوارح.

في اللزومية الاولى طعن في خبر قرآني وفي الثانية حمل الخالق مسئولية العدوان في الطبيعة. وفي كلتا اللزوميتين دعا الى الصمت وعدم التجرؤ بعد ان اعلن رأيه. وهذا التكتيك فاشل وربما ادى الى عكس المطلوب. فاعلان المرء رأيه بهذه الصراحة ثم القول فيما بعد انه يخاف من الكلام ويتحاشى الجرأة هو تثبيت للتهمة يعطي الخصم حجة كافية لادانته، فهو لو لم يشعر انه ارتكب مخالفة لم يسرع للتنصل بالدعوة الى السكوت. ان المتبع في اعلان التبرؤ من مخالفة دينية هو الاستغفار والتسبيح أما الدعوة الى السكوت فدليل على سوء النية.

عموماً، خدمت هذه الاساليب اغراضه في التعمية على المؤسسة الدينية بحيث حالت دون الاتفاق على قرار بشأنه. وقد اختلف رجال الدين على اختلاف فئاتهم في امر معتقده: أمؤمن هو أم كافر؟ وبفضل اختلافهم لم تصدر فتوى بتكفيره ومن ثم اباحة دمه. وما حصل له من هذه الجهات مساعي افراد من رجال الدين، وربما من الادباء بدافع شخصي، لاغراء السلطة به. وكان مركز السلطة بالنسبة لمعرة النعمان مدينة حلب، كبرى مدائن الشام، ومن يتولاها يتولى المعرة ويكون امره نافذ فيها. وهناك ما يدل ان محنة عظيمة مرت به بسبب محاولة من هذا القبيل. أورد سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (مخطوط. والرواية عن تعريف القدماء بابي

العلاء ص ١٥٤) عن يوسف بن علي احد كتابه انه املى عليه ابياتاً بعد ان ارجفوا به الى صاحب حلب. وقد وصلتنا الابيات كاملة وفيها يتبين ان المرجفين كانوا يسعون لقتله. ونوردها فيما يلي بتمامها لنطلع على جدية الخطة التي استهدفته. قال في المطلع:

استغفـر الله في أمني وأوجـالي   من غفلتي وتـوالي سوء أفعـالي

ثم قال يعتذر لعدم حجه، مما يفهم منه انهم ادخلوا عدم الحج في التهم الموجبة لتكفيره:

قالـوا هرمت ولم تطرق تهامة في   مشـاة وفـد ولا ركبـان أجمـال
فقـلت انـي ضرير، والـذين لهم   رأي رأوا غير فرض حج أمثـالي
ما حج جدي ولم يحجـج أبي وأخي   ولا ابن عمي، ولم يعـرف منيً خالي
وحج عنهم قضـاء بعدما ارتحلوا   قوم سيقضـون عني بعـد ترحـالي
فان يفـوزوا بغفران افز معهم   أو لا فانـي بنـار مثـلهـم صالـي
ولا اروم نعـيمـاً لا يكـون لهـم   فيه نصيب وهم رهـطي وأشكـالي

وتحدث عن المحاولة وفشلها:

باتـوا وحـتـفـي أمـانيٌّ مصـورة   وبت لم يخـطروا مني على بالي
وفـوّقـوا لي سهـامـاً من سهـامهم   فأصبـحـت وُقّـعـاً عنـي بأمـيال
لقـيتهم بعصـا موسى التي منعت   فرعـون ملكـاً، ونجت آل إسـرال

وبعد هذه المكابرة ضد المتآمرين اخذ يقدم الادلة على صحة ايمانه:

اقيم خمسي، وصـوم الـدهر آلفه   وأُدمن الـذكـر ابكـاراً بآصـال
عيدين افـطر من عامي اذا حضرا   عيد الاضـاحيّ يقفـو عيد شوال
وأعبـد الله لا أرجـو مثـوبتـه   لكـن تعبـد إعـظام وإجـلال

اصـــون ديـنـي عن جعـــل أؤمـلـه   اذا تعبـــد أقـوام بأجعـال (أجـور)

من لي برضـــوان أدعـوه فيرحمني   ولا أنـــادي مع الـكـفـــار يا مالي

رضـوان: خـازن الجنة. مالي: مرخم مالك خازن النار.. حرّف هذا البيت في بعض الروايات الى: ولا انادي مع الكفار أمثالي..

احتياطاً من مفاجآت كهذه كان عليه ان يتملق السلطة ليضمنها الى جانبه، فألف عدد من الكتب باسم بعض الحكام المتنفذين في الناحية ووجه كتب اخرى ورسائل الى آخرين منهم بناء على طلب منهم أو التماس من احد اقاربه كانت لديه حاجـة عند الحاكم. وبعض هذه المؤلفات لا تختلف في مضامينها عن مؤلفاته الاخرى بعد استبعاد عبارات التملق التي تظهر في فواتحها أو في تضاعيفها. وقد نثر فيها افكاره الالحادية على طريقته في الاستخفاف. ويقول ياقوت في معجم الادبـاء (١٥٦/٣) «ان هذه الكتب المسئـول في تأليفهـا إنمـا تكلفها من فرط الحياء». وهذا بقدر ما يخص الكتب التي طلبها منه اقرباؤه أو اصدقاؤه. أما الكتب التي ألفها بناء على طلب من الحكام أو مبادرة منه فان الدافع اليها يجب ان يكون الخـوف والاضـطرار الى التملق، اذ الانســان يخجل من الناس العاديين لا من الحكام. وبالطبع فهو لم يقبض شيء مقابلها.

ومن بين مؤلفـاتـه المـذكـورة ينفرد أحدها بكونه كتب في حاجة شخصية تخصـه. عنـوان الكتـاب (الـرسـالـة السندية) نسبة الى سند الدولة والي حلب للفاطميين. والباعث عليه كان قضية ضرائب فرضت على ملك له في المعرة أو بسبب محاولة تحرش من السلطات به. وكان قد ورث هذا الملك موقوفاً عن اسرته واتخـذ منه مصدر عيشه الوحيد. والكتاب بمثابة استرحام للحفاظ على المورد المتأتي من الملك. ولعلنا لا نحتاج الى التذكير بان الاملاك الشخصية كبرت أم صغـرت لم تكن لها حرمة عند عتاة السلطة الشرقية التي كانت تتصرف بوصفها المالك النهائي للاشياء. ومن الثابت على أي حال انه احتفظ بهذا الملك طيلة حياته. وقد ذكره في مراسلاته مع داعي الدعاة الفاطمي وكانت قد حصلت في

ايامه الاخيرة. وقال ان معيشته تعتمد على المورد الزهيد الذي يأتي منه وهو نيف وعشرون ديناراً في السنة*. وتحدث عن الوقف القفطي في (انباه الرواة ١/٤٦) عند التطرق الى معيشته قال: «. . . ولم يكن من ذوي الاحوال في الدنيا وإنما خُلّف له وقف يشاركه فيه غيره من قومه. وكانت له نفس تشرُف به (تترفع) عن تحمل المنن فمشى حاله على قدر الموجود. . ». وهناك رواية للقفطي في نفس المصدر وللذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/٢٥) انه اثار قضية الوقف في بغداد عند زيارته لها فلم يجد استجابة من احد. وعندئذ يجب ان يكون تأليف الكتاب خطوة اضطرارية تالية.

كان تملق السلطة ضروري لتحييدها أو طلب حمايتها. وكما بينا فالسلطة الاسلامية منحت المثقفين الحماية ضد رجال الدين. وكان هذا يتم على العموم بقبول المثقف رعايتها له والقبض منها. وهكذا كان شأن عامة الفلاسفة والعلماء والاطباء والادباء وبعض المتكلمين. وهؤلاء ساعدتهم الدولة ليس فقط على

* ذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو في «سفرنامة». ان معرة النعمان كان يحكمها رجل اعمى يدعى أبا العلاء. ووضع طه حسين لهذا الزعم احد احتمالين: اولهما انه تملكها من صالح بن مرداس الذي فك عنها الحصار بشفاعته. وذلك بدليل قوله: «قد وهبتها لك» لكنه لم يوظفها لنفسه»، الآخر انه رأى شهرة المعري ونفوذه فعبر عن ذلك بالملك (ص ١٧٩ ـ ١٨٢ من المجلد العاشر من اعماله الكاملة ـ بيروت ١٩٧٤) وانا اميل الى الاحتمال الاخير مستنداً الى ان نفوذ ابو العلاء كان لا بد ان يقوى بعد ان انقذ البلدة من الاجتياح، وكان لا بد لاهلها ان يتصرفوا معه كمنقذ وحامي. ورأى ذلك رحالة غريب قليل الدراية بلغة الاهالي فقال انه يملك المعرة. ومن شأن الرحالة تضخيم الظواهر التي يشاهدونها أو تحكى لهم. والاكثر دلالة من هذا كله ان احداً من مؤرخيه لم يذكر انه كان والياً. وما كان يفوتهم هذا الخبر الهام بعد ان بحثوا كل صغيرة وكبيرة في حياة الرجل. واود التنبيه اخيراً ان عميدنا قد اساء فهم عبارة «وهبتها لك» فهذه العبارة كان القدماء من الحكام ينطقون بها حين يعفو احدهم عن محكوم بشفاعة آخر فيقول له الحاكم: «قد وهبته لك» ومؤداها اني عفوت عنه اكراماً لك، فهي تفيد العفو لا التمليك.

العيش في امان ضد اباحة الدم الناتجة عن التكفير وإنما ايضا على العيش في رفاه بما اغدقته عليهم من اموال. ومن هذه الناحية كان مسلك المعري مختلف، فقد اتجه الى تقنين علاقته بالسلطة بالتملق لاربابها مع ابقاء مسافة بينه وبينهم تصونه عن قبول الرعاية والتمويل. وكان مع مبدأ مقاطعة السلطة، الذي شرعه مثقفي القرن الاول وتبناه في القرون التالية اقطاب الصوفية مع افذاذ من فئات المثقفين الاخرى.

مصدر خوف آخر عاش المعري يراقبه طول حياته هو جمهور المقلدين لرجال الدين من عامة الناس. والجمهور بطبيعته اقرب الى رجال الدين منه الى المثقفين. وكان بمقدور رجال الدين تحريكه بالفتاوى لاغراض مختلفة. أما المثقفين فعلاقتهم بالنخب المتعلمة الضعيفة الصلة بالعامة. على ان نجاح رجال الدين في تحريك الجمهور كان يتفاوت تبعاً لطبيعة الغرض. ومن المعتاد ان تكون الاستجابة عالية اذا كانت هناك ظروف توجب التعبئة ضد خطر خارجي كالغزو الافرنجي (الذي يسميه المعاصرين خطأ بالصليبي) أو الغزو البيزنطي. وتنزل الاستجابة الى درجة ادنى بكثير حين يتعلق الامر بحدث داخلي. ومن طبيعة الحدث الداخلي عند المسلمين الاختلاف عليه، بعكس الحدث الخارجي المتعلق بالغزو. ومن هذه الاحداث الداخلية اتهام شخص ما بالمروق من جانب واحد أو عدد من رجال الدين والافتاء بتكفيره أو تبديعه*. في حالات كهذه يندر ان يحدث هياج عام، وإنما تأتي الاستجابة غالباً من فئات معينة من الجمهور يصدق عليها وصف الغوغاء الدينية. وكان لهذه الفئات حضور شبه منظم في الحواضر والمدن الكبيرة ويتحكم في تحركاتها رجال دين من مذهب أو طائفة معينة. ومن جماعات الغوغاء التي اشتهرت في العصور الاسلامية هي التي كانت تحركها الحنابلة. وكانوا قد طغوا على بغداد في اوائل الرابع الهجري وتأذى بهم أهلها، مما اضطر السلطة لملاحقتهم فأصدر المقتدر منشور يندد بهم ويهددهم

* التبديع الاتهام بالبدعة وهي الهرطقة.

اذا واصلوا التحرش بالناس. ومن مشاهدهم المشهورة محاصرتهم منزل المؤرخ الطبري ومنع الناس من الدخول عليه، ثم منعهم من الاعلان عن موته لئلا يشيعه الناس (لسان الميزان لابن حجر ١٠٢/٥) فعلوا هذا به مع انه سلفي مثلهم لانه اعتبر احمد بن حنبل امامهم، محدث لا فقيه. وربما كانت للغوغاء الدينية فسحة أوفر للنشاط في المعرة وغيرها من انحاء الشام بسبب تخلخل اوضاع السلطة هناك وانعدام الحكومة المركزية في عموم بلاد الشام. وفي تقديري ان المعري سلم منهم رغم ذلك لسببين: نفوذ اسرته في البلدة وهي اسرة قضاة ووجهاء، والخوف من الحكام في حلب/ لاسيما وان رجال الدين لم يتمكنوا من استدراج احد منهم ضده. ولا شك انهم كانوا مستعدين لحمايته كدأب زملائهم مع سائر الفلاسفة والمفكرين. ولعل هذا ما كان يعنيه في هذا البيت من لزومية عن الملوك:

ان يظلموا فلهم نفع يعاش به ... وكم حموك برجل أو بفرسان

رجل بفتح الراء وسكون الجيم: رجالة.

قد يتساءل المرء عن سر هذا الهلع من انسان متبرم بالحياة يتمنى الموت ويستحثه ليتخلص من عالم يعيش فيه مضطراً.. فهل كان المعري يخاف من الموت حقاً؟ من جهتي استبعد ذلك وانا اميل الى تصديقه في تمنيه واستعجاله. إلا اننا نجد حاجة الى التفريق بين الموت الطبيعي على الفراش والموت قتلاً وتعذيباً بأيدي الجلادين. وهنا يمكنني ان اجزم ان ابو العلاء المعري لم يكن على استعداد للتورط في مغامرة كهذه. ولئن كنت اصدقه في تمني الموت فليس لدي من الاسباب ما يجعلني اصدقه في دعوته الى الموت في الحرب بدلاً من التشكي والتأوه على الفراش. على الاقل هو لم يكن يعني بها نفسه. وقد رجحت في موضع سابق انه كان يستنهض بها امراء الشام للتصدي للغزو البيزنطي. ان هذا الشكل من الموت لا يتجرعه امثال هذا الشيخ الاعمى الذي يرتاع لصليل السيوف ويطمئن

لحالة اندماج طبيعية تنفصل فيها روحه عن جسده لتذهب الى المجهول بعد ان تكون قد عبرت اطوار النضج والتجوهر في عالم المادة.

وبنفس الاعتبار كان لا بد ان يكون قد فكر في البهدلة على أيدي الشرطة أو الغوغاء. وهو لفرط حساسيته تؤرقه الكلمة النابية تبلغه عن بعد فكيف حين يواجه بها من جلاوزة الدولة أو الدين؟ وما يتوقع ان يلقاه من هؤلاء اكثر: نزع العمامة ولفها حول العنق وسحبه منها، نتف اللحية، والصفع. وقد تجيء هذه كمقدمات للتعذيب ومن ثم القتل اذا صارت القضية في أيدي السلطات.

ويبقى في وسعنا ان نقول ان المعري بالغ في الخوف لان الخطر في الواقع لم يكن بتلك الدرجة من الشدة. ففي عصره لم تكن السلفية قد انفردت بعد بالناس. وكان الفكر التنويري الذي تعززت مواقعه بفضل العباسيين الاوائل، اذا استثنينا المهدي الذي حكم ثمان سنوات فقط، يواصل نشاطه تحت رعاية حكام متحضرين. كان هناك البويهيين في المشرق والفاطميين في مصر، وكلاهما رعاة ممتازين للثقافة. وعصر المعري كان هو عصر ابن سينا المولود بعده بسبع سنوات والمتوفى قبله بعشرين سنة، وابن سينا هو مرسخ الفلسفة الاسلامية بمجمل ما طرحته من هرطقات. وكان قد سبق ذلك تراث من نقد الدين يرجع الى القرن الاول ويتبلور على يد ابن الراوندي ثم الرازي الذي وجه اجرأ نقد فلسفي للاديان. وقد تكاثر مريدو هذا التراث وناشروه بحيث يقول علي بن عقيل الحنبلي (٤٣١ - ٥١٣ هـ) وقد ذكر المعري وبعض نظرائه في الزندقة: «وما سلم هؤلاء من القتل إلا لان ايمان الاكثرين ما صفا بل في قلوبهم شكوك تعتلج». . (المنتظم لابن الجوزي ٨/ ١٨٥) ولعلم القارىء فان ابن عقيل هذا لم يكن صافي الايمان وكان يعظم الحلاج فأراد اصحابه الحنابلة قتله فتوارى عنهم عدة سنين ولم يجرأ على الظهور مرة اخرى إلا بعد ان اعلن توبته. . في مناخ كهذا يجعل الحنبلي حلاجياً وتعتلج فيه شكوك الاكثرين فلا يصفو ايمانهم عاش المعري وكتب. فليس من الغرابة ان ينجو مع من نجا من سابقيه ولاحقيه.

ويبقى الثمن مطلوبـاً في كل حال وسـأختم هذا الاحصـاء لمحنة الرجل بالكتاب الذي ألفه كارهاً. كارهاً لا لانه موجه لحاكم معين بل لما تضمنه من شروح كتبها وهو غير مقتنع بها. اعني بهذا الكتاب «زجر النابح» وكان من مفقودات كتبه ثم صدرت له طبعة ضمت بعض فصوله حققها امجد الطرابلسي ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٥. وورد في سبب تأليف الكتاب ما هو مثبت في الجزء المطبوع منه عن معجم الادباء (١٥٣/٣): ان بعض الجهال تكلم على ابيات من لزوم ما لا يلزم يريد بها الشر والاذية وطعن عليه فيها فنسبه الى الكفر، فألزم ابا العلاء اصدقاؤه كتاباً يرد فيه على من طعن عليه فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره».

يتناول «زجر النابح» ما في اللزوميات من نصوص الحادية فيؤولها بطريقة لغوية تدفع عنها معنى الكفر. وقد اعتبرها محقق الكتاب دليل قاطع على براءته.

ومثل هذا الكلام لا يجوز في حق ابو العلاء لانه يقوم على افتراض ارتكابه ما يوجب البراءة. وهو كما عرفناه انسان كامل لم يصدر عنه في حياته إلا اللمم واللمم كثير على امثاله. وكان المطلوب من المحقق بعد ان اثبت رواية ياقوت عن سبب تأليف الكتاب في غلافه الخارجي ان لا يحمل ما جاء فيه على محمل الجد. ذلك لان المكره لا يبحث عن براءة ذمة لانه يعلم انه غير مذنب وإنما يلجأ الى التحايل لاخفـاء مدلـولات عرضته للخطر من غير ان ينوي التخلي عن قناعاته مادام قد تصرف على هذا النحو تحت الاكراه. ولدى الرجوع الى القسم المطبوع من زجر النابح نجد التكلف واضحاً في تأويلاته بحيث يبدو عاجزاً عن اقناعنا بهذه البراءة التي يريدها له محاميه الطرابلسي. وقد سبقنا الى الوقوف على هذه الحقيقة شاعر وناقد للشعر معروف هو ابن نُباته (بضم النون)، ففي كتابه «مطلع الفوائد» الصادر في دمشق بتحقيق عمر الباشا، نقل عن زجر النابح تأويله للزوميته التالية التي انكر فيها القيامة:

خذ المـــرآة واستخبـر نجـومـاً　تُمِــرُ بمـــطعم الأري المشــور
تدل على الحمــام بلا ارتياب　ولـكـن لا تدل على الـنشــور

الأري المشور: العسل المجنى. الحمام بالكسر: الموت.

ودلالتها قاطعة في انكار القيامة. وقد أولها في زجر النابح بتكلف شديد علق عليه ابن نباته بقوله (ص ١٤١):

«وتشدق ابو العلاء في هذا الجواب. وكم يريد ان يهرب من الكفر سامحه الله وغفر له». .

وفي الكتاب نكتة دالة نشرحها فيما يلي:

بتمكن في قرارة ابو العلاء مزاج منافر للاديان. والمزاج في حالة من هو مثله يتكون لاحقاً كنتيجة للوعي المعقلن. اذ ان النفور من ظاهرة ايديولوجية لا ينشأ عن الفطرة وإنما يترتب على التفكير الزائد عن الطبع، واللاحق لمرحلة التعلم، بمعنى انه خطوة تأتي بعد ان ينتقل الفرد من طور الطفولة، ثم من طور التعلم. وعندما يقترن التفكير بالتعمق في حقائق الاشياء يتكشف عن نتائج معرفية تترتب عليها مواقف. وحينئذ يتكـون المزاج المنافر أو الموافق للظاهرة. وقد ترسخ لدى ابو العـلاء مزاج ضد ـ ديني كنتيجة لثقافته الواسعة العميقة وشدة تغلغله في قضايا الحياة والوجود. وبسبب رسوخ هذا المزاج، كان ينفرض عليه بتلقائية في أي مادة يكتبها. وقد وجدناه في اللزوميات (ولم نجده في سقط الزند الذي كتب معظم اشعـاره في سن الشبـاب) كمـا وجـدناه في كتبه النثرية التي تساوق تأليفها مع اللزوميات واظهـر فيهـا ولع بالنصوص الالحادية المأثورة عن غيره. وكان بعض القدماء من خصومه قد رجحوا انه وضع هذه النصوص على لسان من نسنبها اليهـم، أو انها مما وافق هواه فأثبته في كتبه. وكلا الترجيحين وارد. ومن غريب ما املاه عليه مزاجه هذا ان يورد بيتين في «زجر النابح» صارخين في الكفر ننقلهما الى القارىء عن ص **٢٢** من المطبوع:

سقّنـــي يا أســامــه من عُقــار مُدامــه
سقّنـــيهـــا . . فأنـــي كافــر بالــقــيامــه

ولا مناسبة بين البيتين ومضمون كتاب مكرس لاثبات ايمانه لولا قوة المزاج. ويجب ان لا نستبعد نصوص مماثلة في الاقسام المفقودة من «زجر النابح» الذي كان يتـألف من عدة اجـزاء. ونحن نستمـد منـه دليل آخر على عدم جديته في التأويلات التي اجراها في هذا الكتاب ونعتقد انها لم تلائم هواه بقدر ما لاءمه هذين البيتين الخارقين للعادة*.

قلت فيمـا مضى من كتابات لي عن المعرة ان «زجر النابح» هو من قبيل شهادات البراءة التي يوقعها المعارضين للدولة أو الدين تحت حراب الشرطة. وقد سبق للمعري ان وقع الكثير من هذه الشهادات تحت نفس التهديد.

* * *

ردود واهاجي:

بعـد انتشار اللزوميات جاءت ردود فعل من رجال الدين والادباء المؤمنين فأُلفت كتب في النقض على كفرياته ورد عليها بعضهم بالشعر. فمن الكتب:

- رجمـة العفريت: وضعه ابو منصور عبدالله بن سعيد الخوافي، معاصر اصغر له.

---

* في مراسلاته مع داعي الدعاة اندفع بنفس التلقائية يروي له اشعار في الزندقة منها الميمية المنسوبة لشداد الليثي - من شعر قريش المناوىء للاسلام ومن اقدم نصوص الزندقة البليغة والطريفة في تاريخنا الثقافي - واثار بذلك داعي الدعاة، بينما كانت مراسلاته معه تستهدف الرد على اتهامه له بالمروق. وقد عبر له الداعي في رسالة جوابية عن استغرابه لما يرويه. فقال: واما انشاده «المت بالتحية أم عمر» - يريد قصيدة شداد - وما بعده من الاشعار وذمه من قال ولعنه (أي ذم الذين روى لهم على طريقة ابو حيان التي ذكرناها من قبل) فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك؟ حاشاه.. وما الذي اوجب الاذكار (التذكير) بكفريات شعرهم؟» ياقوت (٣/ ١٩٣).

- كتاب «نصر الاعيان على شعر العميان» لابن الوزير اليماني (٨٤٠ هـ) من زيدية اليمن. ألفه للتنفير من شعره.

والردود الشعرية عليه تغلب عليها الركاكة لان ناظميها رجال دين في الغالب. ويمكن استثناء بيتين في هجائه امتازا نسبياً بجودة السبك وهما للقاضي ابو جعفر محمد بن اسحق البحاتي الزوزني، معاصر اصغر له، والبيتين:

كلب عوى بمعرة النعمان — لما خلا من ربقة الايمان
أمعرة النعمان ما انجبت اذ — اخرجت منك معرة العميان

ورد عبد الوهاب المالكي، معاصر له ايضاً، على لزوميته التي فيها:

تناقض ما لنا إلا السكوت له — وان نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد فديت — ما بالها قطعت في ربع دينار؟

والاعتراض على حكم الشرع بقطع يد من يسرق ربع دينار، بينما تبلغ دية اليد المقطوعة ظلماً خمسمئة دينار. فقال عبد الوهاب:

عز الامانة أغلاها، وأرخصها — ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

والنقض وجيه من حيث منطق الشعر. ولعبد الوهاب المالكي تحف من هذا القبيل. إلا انه لا يزيل التناقض الذي تلمحه اللزومية في الحكمين.

ونورد فيما يلي بقية الردود الشعرية وهي في مجموعها تدل على طبيعة التفكير الديني واسلوب اهل الدين في الرد على مخالفهم:

- للخضر الموصلي (١٠٠٧ هـ) متأدب من المتأخرين موصلي الاصل، عاش في رعاية امير مكة الحسني:

جزاك الله من أعمى لعين — بصيرته تناهت في عماها
يقول اذا الحكيم رعى حجاه — تهاون بالشرائع وازدراها

فمـــا هذا الـخبيث اذن حكيم ولكن ليس يدري ما طحـــاهـا

يرد على قوله :

اذا رجع الحكيم الى حجاه (عقله) تهـــاون بالـــشـــرائـــع وازدراهـــا

ـ القاضي ابو محمد الحسن بن ابي عُقامة اليمني . (لم اقف له على ترجمة) يرد على بيتين من غير اللزوميات اتهم فيها آدم بالزنا واستنتج منها ان بني آدم اولاد زنا :

لعمـرك اما فيك فالقول صادق وتكذب في الباقين من شط أودنا

كذلـــك اقـــرار الـفتى لازم له وفي غيره لغو. كذا جاء شرعنا

ـ احمـد بن محمـد الاخسيكثي الفرغاني (٥٢٨ هـ) من كتاب الدواوين الرسمية كان معنياً بشعر المعري فوضع شرحاً لسقط الزند سماه «الزوائد» . ولعله خاف من التهمة فهاجمه ببيتين رد فيهما على قوله :

رجلان أهل الارض ذو عقل بلا دين وآخـــر دين لا عقـــل له

فقال :

الـــدين آخـــذه وتـــاركـــه لم يخف رشـــدهمـــا وغيهمـا

رجـلان أهل الارض قلت فقل يا شيخ سوء أنـــت أيهـــمـــا

من المستبعد ان يخاطبه بهذه اللغة الجارحة وهو يشرح شعره لولا انه اضطر اليهما للتستر.

ـ محمد بن عتيق القيرواني (٥١٢ هـ) اصولي ومتكلم من اساتذة المدرسة النظامية ببغداد. رد على انكاره القيامة في اللزومية الكافية المشهورة فقال :

كذبـــت وبـيت الله حلفـــة صادقٍ سيسبكنا بعد الثوى من له الملْك

وفي هذا دليل على فهمه لمراد المعري من ان عدم السبك هو للانسان لا للزجاج .

ـ غرس النعمة الصابي، من القرن الخامس، نقل الذهبي في سير اعلام النبلاء (١٨ / ٣٠) عن تاريخه، المفقود، قوله بعد ان روى اللزومية التي ختمها بقوله:

في كل جيل اباطيل يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل؟

قال: فأجبته

نعم ابو القاسم الهادي وملته فزادك الله ذلاً يا دجيجيل

ونسب هذا الرد الى النووي الشافعي من احبار الفقه والحديث في القرن السابع. ولعله استشهد أو تمثل به فنسب اليه. وورده في تاريخ غرس النعمة الذي يسبقه بقرنين يؤكد انه لهذا الاخير:

وفيما يلي جملة من اقوال القدماء فيه:

ـ ابن الجوزي، من القرن السادس، في (تلبيس ابليس ص ١١٢):

«اشعاره ظاهرة الالحاد وكان يبالغ في عداوة الانبياء، ولم يزل متخبطاً في تعثره خائفاً من القتل الى ان مات بخسرانه».

وهاجم الذين يدافعون عنه أو يزعمون انه تاب (المنتظم ٨/ ١٨٤):

«هؤلاء بين امرين: إما جهال بما كان عليه وإما قليلو الدين لايبالون به».

ـ الذهبي، المؤرخ الحنبلي من القرن الثامن، (العبر ٢/٢٩٣):

«صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة والذكاء المفرط والزهد الفلسفي. ولعله مات على الاسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك».

لاحظ عبارة: الزهد الفلسفي (ليس الزهد الديني). أما توبته فلم تثبت، وإنما هي امنية من مؤرخ كبير على اديب كبير ان لا يخرج من معسكره.

وفي «سير اعلام النبلاء» ـ ١٨/ ٢٥ قال الذهبي:

«يظهر لي من حال هذا المخذول انه متحير لم يجزم بنحلة».

ـ نقل ابن الجوزي عن تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال الصابي

(المنتظم ٨/١٨٨):

لما مات المعري رأى بعض الناس (في النوم) كأن ثعبانين على عاتقي رجل ضرير تدليا الى صدره ثم رفعا رأسيهما فهما ينهشان لحمه وهو يستغيث فقال: من هذا؟ فقيل له هذا المعري الملحد..

يظهر محمد الصابي تشدد اكثر مع ابو العلاء. وقد يرجع هذا الى حداثة اسلامه الذي ورثه عن والده هلال بن المحسِّن الذي اسلم في آخر ايامه. وكثيراً ما يتعامل المهتدي الجديد مع عقيدته التي انتقل اليها بقدر زائد من الحماس والاهتمام. يروى عن الاديب الاعمى ابو العيناء (القرن الثالث الهجري) انه استأذن على الوزير صاعد بن مَخْلَد عدة مرات في كل مرة يقولون له: هو يصلي. وكان الوزير نصرانياً فأسلم. فعلق ابو العيناء على ذلك: لكل جديد لذة!

- ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (٥/٦١ - ٦٢).

اختلف الناس فيه فمن الناس من جعله زنديقاً وهم الاكثر، ومن الناس من اول كلامه ودفع عنه.

- الصفدي في «نكت الهميان» ص ١٠٦ (نكت بفتح النون وسكون الكاف).

قال ابن دقيق العيد (فقيه مصر في القرن السابع):

هو في حيرة.

وعقب الصفدي:

وهذا أحسن ما يقال في امره.

- كمال الدين محمد بن علي الزملكاني نسبة الى «زملكا» قرية في دمشق عامرة الى الآن. توفي عام ٧٢٧ هـ وكان من فقهاء الشافعية واعلامها. ذكر المعري فقال (نكت الهميان ص ١٠٦):

جوهرة جاءت الى هذا الوجود ثم ذهبت.

لم ترد العبارة في أي من ترجمات ابن الزملكاني في المصادر الرئيسية للاعلام. ولعل مؤلفيها تحاشوا روايتها بتأثير سلفيتهم. أما ابن الزملكاني نفسه فقد ذكره ابن بطوطة في حديثه عن حلب فقال متفنن في العلوم. ولم اتبين قصده وما اذا كان يعني العلوم الدنيوية ايضاً. أما مصادره فتحدثت عن مرجعيته العالية واستقلاليته في القضاء والفتوى. وعن ذكائه وسمو شخصيته. وقد ذكر السبكي (بضم السين) في طبقات الشافعية (١٩/ ١٩١) انه ألف كتاباً فضل فيه البشر على الملائكة.. ولعل الى هذه الصفات يرجع هذا التقييم الذي شذ فيه عن آراء خصوم المعري واصدقائه على السواء.

يلاحظ في العبارة دلالة مزدوجة: تجوهر المعري ثم ذهابه دون ان يخلف اثر. وسوف يتبين في الفصل الاخير من هذه الدراسة ان هذا الفقيه الشافعي قد اختزل في عبارة واحدة تراجيديا الاسلام الذي كان قد دخل في زمانه مأزقه التأريخي الذي لم يخرج منه.

- في «اعيان الشيعة» للعالم الشيعي محسن الامين العاملي:

كنا عازمين اولاً على عدم ذكره لما ينسب اليه من سوء الاعتقاد ثم تبدل عزمنا في ذلك فذكرناه هنا لا لانه ظهر لنا صحة اعتقاده بل نحن في امره على ما اسلفناه، وإنما ذكرناه في هذا الكتاب مع ما يقال في حقه من الالحاد ومع ظهور اشعاره في ذلك وغير هذا مما مر، لاننا وجدنا له اموراً توجب ميله الى التشيع، مع كون الناس في امر عقيدته مختلفين، ومع ذكر صاحب نسمة السحر (في اخبار من تشيع وشعر) له في شعراء الشيعة. أما ابن شهراشوب فلم يعده في شعراء الشيعة؛ فهو على فرض صحة عقيدته مظنون التشيع وعلى فرض فسادها فهو شيعي بالمعنى الاعم».

وفي الخيار الاخير مزاوجة بين سوء العقيدة والتشيع: الخروج على الدين لا يفترض الخروج على التشيع، ولكن ليس التشيع بمعنى التمذهب. وهو مؤدى قوله: «شيعي بالمعنى الاعم». وقيد التشيع بموجب هذا المعنى هو الميل الى علي بن ابي طالب. ويكفي هذا عند الشيعة للتسامح مع الزنادقة.

ـ ومن بين من تمسك بتشيع المعري من اعلام الشيعة المعاصرين الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، اورد ابياته في علي والحسين من قصيدة «عللاني» وعقب عليها بان هذا الكلام لم يخرج إلا من قلب شيعي خالص. (جاء ذلك في المراجعات الريحانية).

وهذا التقييم قريب من المعنى الذي قصده محسن الامين اذا راعينا الفارق الاصطلاحي بين القلب والعقل. ولا اظن كاشف الغطاء فكر في هذا الشرط لان همه يتلخص في ضم شخصية تأريخية كبيرة الى صفوف طائفته.

استخلاصات

ابو العلاء المعري مشروع تغيير طرح على المجتمع الاسلامي في حقبة تذرونــه التي كانت ترشحـه للانتقـال الى طور جديد في التـاريخ. ويأتي هذا المشروع في سياق خط متصل من الفكر التنويري يتوازى صاعداً مع تطور مجتمع المدن باقتصاده النقدي وصناعاته الحرفية وتعقد تركيبه الطبقي، مستمداً من فلسفة اليونان مادة تأصيل للقضايا التي انطرحت عليه، ومتصلاً قبل هذا و ذاك بجذور ثقافة خلافية ارساها القرآن وتبلورت في اتون الصراع عبر القرون.

وما يميز هذا المشروع عن تجارب الخط الذي ينتمي اليه شموليته بالنسبة اليها. في تلك التجارب نجد نقد الدين دون نقد الدولة أو نقد الدولة دون نقد الدين، كما نجد عدم التفات الى مسالك المؤسسة الدينية ودورها في المجتمع. ان احد اميز من انتقد الاديان وهو ابو بكر الرازي لم يتطرق الى السياسة كما لم يختص المؤسسة الدينية بنقد يكافيء نقده الفلسفي للدين. كان قد تصرف كطبيب بطريقة تظهر انحيازه الى الفقراء، وتبرأ في كتابه عن السيرة الفلسفية من تبعة معاونة السلطان على الشر والايذاء مبيناً ان خدمته له هي خدمة طبيب لمريض. إلا انه تجنب الكتابة في موضوعات الوعي السياسي والاجتماعي التي سيطرت على ذهن ابو العلاء.

قد يكون مشروع المتصوفة هو الاقرب الى مثالنا هذا. فقد استوعب الحاجة الى مطالب جديدة لثورة فكرية تقترن بنهج اجتماعي مناويء للارستقراطية ومقاطع للسلطة. وهـذا على مستـوى الاقـطاب دون عامـة المتصوفة الذين سخر منهم

المعري واتهمهم بالارتزاق والكذب على الناس. .

ويبقى مشروع المعرة هو الاكثر تكاملاً. ففيه يتداخل نقد الدين مع نقد الدولة والمجتمع مع نقد الناس والاخلاق واخيراً مع نقد نظام العالم بافتراضاته اللاهوتية والانسية معاً. وأمام هذا النقد الشمولي تفقد الاشياء ثوابتها فيصبح كل شيء موضوعاً للثورة بأي شكل أو معنى بدءاً من العلاقة الفردية الى العلاقة مع السلطتين الدينية والسياسية. والمعري داعية ثورة اجتماعية وسياسية ولو بالمفهوم الطبقي الفضفاض: من الفقراء ضد الاغنياء، ومن الرعية ضد السلطة. والدعوة الى الثورة لا يخلو منها مشروع تغيير في أي منعطف تأريخي.

إلا ان التكامل في هذا المشروع يكون كذلك بمقاسات التطور الذي استدعاه. وعندما نلجأ الى المقايسة مع مشروع التنوير الاوربي في القرن الثامن عشر نقف على فارق خطير: فمشروعنا هو استدعاء لتطور اجتصادي مكبوح، ومشروع الغرب خارج من حركة اجتصادية صاعدة نحو مرحلة تأريخية تامة الملامح. وفي ضوء هذا الفارق سيمكننا الحديث عن عيوب المعري واخطائه ونواقص مشروعه الكبيرة.

وقف المعري موقفاً رجعياً من المرأة بدعوته الى التشدد في حجابها ومنعها من الاشتراك في الحياة العامة وعدم تعليمها القراءة والكتابة. وقد فسر بعض المعاصرين موقف ابو العلاء هذا بعقدته الشخصية. وقد يكون. إلا ان المعري كمصلح اجتماعي مستغرق بحساسية الهموم اليومية للناس هو اعمق فعلاً في تفكيره الاخلاقي من ذلك الشيخ الاعمى الذي حكم على نفسه بالحرمان وهو قادر على خلافه. ويضطرنا ذلك الى فهم موقفه من المرأة في سياق التقاليد الاجتماعية التي لم يوفق الى تخطيها تماماً. لقد خضع للعرف العام بأساسه العشائري في اعتباره المرأة مصدر عار لاهلها. لانها قد تفشل في الالتزام بمطالبهم وتقيم علاقة محرمة مع الجنس الآخر. ولعله قد شاهد وقائع حدثت في بلدته نفسها وتسببت في تدمير ليس عائلة مفردة بل اسرة، أو في الحاق الخزي بعشيرة ما نتيجة لتصرف

يصدر عن امرأة منها مخالف للعرف. وبدلاً من الاتجاه الى معالجة هذه المسألة بنقد العرف الاجتماعي نفسه، اتجه الى مجاراته بعصبية عشائرية مفرطة وحمل النساء مسئولية ما يلحق بأسرهن أو عشائرهن من عار.

وهو مع ذلك يدرك ان المرأة مظلومة. واكبر ما ينالها من الظلم عنده هو نظام الضرائر، الذي هاجمه بشدة ودعا الى الزواج الوحداني: امرأة واحدة لرجل واحد. ويبدو المعري هنا كما لو كان يخطو الخطوة النبوية التالية في خصوص هذا النظام. ذلك ان الاسلام لم يشرع نظام الضرائر وإنما قلصه بتحديد حداً على للزوميات. وكان هذا الاجراء خطوة متقدمة في ذلك الوقت لان عدد الزوجات المسموح للرجل باتخاذه كان سائباً. وقد اساء الفقهاء فهم هذه المسألة حين اعتبروا نظام الضرائر من لوازم الشرع دون ان يلتفتوا الى ان الشرع لم يكن هو الذي شرعه وإنما بالعكس سعى للحد منه بتقليص عدد الزوجات الى اربعة. وكان المفروض حين يأخذ التطور الاجتماعي مجراه المنشود ان يظهر من يكمل هذه الخطوة بتقليص الاربعة الى واحدة. وهذا ما حصل، ولكن على يد مسلم مارق غير معترف به في الاوساط الفقهية*. .

الظلم الآخر الذي يصيب المرأة هو زواج الشابة من شايب. وقد انكره في عدة لزوميات اظهر فيها ادراكه لاحاسيس الفتاة التي تفضل معانقة شاب فقير على مضاجعة شايب غني. ونبه بأحساس دقيق الى انعدام اللغة المشتركة بين الفتاة والشايب فما تفهمه الفتاة وتستريح اليه هو حديث فتاها الذي يملك نفس أحاسيسها ويشاطرها نفس تطلعاتها. وبهذا الرأي يختلف المعري عن مصلح صيني ظهر بعده بقرنين كان يحث الفتيات على الزواج من المسنين لانهم يكونون اكثر اخلاصاً لهن. المصلح المذكور هو الكاتب المسرحي غوان هان تشينغ، من القرن الثالث عشر الميلادي ـ اسرة يوان ـ وقد عاصر حقبة انحلال اجتماعي تسببت عن الغزو

* من المثير للانتباه ان ناقديه من المتدينين لم يتطرقوا الى استنكاره زواج الضرائر ودعوته للاكتفاء بزوجة واحدة بينما اعتبروا امتناعه عن أكل اللحم هرطقة؟.

المغولي للصين. ولعل رأيه هذا الذي خالف فيه مصلح المعرة متأثر بحالة التسيب التي اصابت الشباب تحت الفساد العام وظلم المتسلطين من آل جنكيزخان.

دعا المعري ايضاً الى المغالاة في المهر؛ لان المهر الغالي يوفر للزوجة وسيلة ضغط تمنع الزوج من العبث بمصيرها لاسيما بالطلاق الاعتباطي، الذي كثيراً ما يقع في حالة غضبٍ أو شجار. وتخالف هذه الدعوة اتجاه مشرعي الاسلام الى عدم المغالاة في المهور بقصد تسهيل الزواج.

وفي استنكاره للزواج الضرائري حذر الرجل من ان ميله الى التجديد في النساء قد يحمل الزوجة على البحث هي الاخرى عن جديد. وهذه فكرة خطرة، العصر الحديث نفسه لم يبلور رأي نهائي بشأنها بينما تناولها في اللزوميات ولم يصرح بالاعتراض.

* * *

في نقده للدين تبنى التفسير البوليسي ـ التآمري لمنشئه، اذ اعتبره مكيدة من القدماء لجمع الاموال. ويرتبط هذا الميل باتجاه عام يحكم رأيه في السلوك البشري حيث تصرف كمؤيد متطرف للمذهب النفسي الذي يحيل تصرفات الانسان كلها الى الذاتوية EGOISM جاعلاً من المصلحة الذاتية للفرد حافز وحيد وراء كل ما يأتيه من افعال. . ولكن هل حصل له ان فكر بالحافز المادي الجمعي ليقول مثلاً ان الدين هو تعبير عن مصالح جماعة من الناس متحدة الحوافز؟ اجيب على هذا بالنفي؛ لانه يتعارض مع رأيه في الدين الذي يبقى عنده قضية افراد لا قضية جمهور. وهو لا يفوته ان الدين قد يشكل مصدر تحفيز وتعبئة ولكن باتجاه مضاد لمصالح الجمهور. واذا اردنا العثور على حافز جمعي لديه فهو في هذا الجانب من فهمه للدين. والجمهور عنده يقع دائماً تحت مكايد الانبياء والاكليروس الماشي على هداهم مما يحمل على التفكير ان الدين مسخر لا بحافز جماعي وإنما باسلوب جماعي لخدمة مصالح فردية أو فئوية على الاكثر.

بوجـه عام يمكن الاستنتـاج ان نقـد المعـري للدين يستهـدف التـوعية الاجتماعية اكثر من السعي لتقديم تفسير فلسفي لاصل الاديان، فهو نقد معياري في المقام الاول. ويتمع بأهمية ملموسة هنا نقده للسلوك الديني، فهو يأخذ نفس الوجهة التي اتخذها فيما بعد نقد فلاسفة عصر التنوير الاوربي للمؤسسة الدينية في المسيحية. وقد تحدث لينين عن هذا الاتجاه في نقد الدين وحبذه، حيث دعا الكتاب الى «تحرير الفلاحين والجماهير المتخلفة من الخدر الديني بأسلوب ماديّي القرن الثامن عشر في نقدهم للاكليركية» يعني المؤسسة الدينية. وقال «ان ذلك افضـل من الشـروح المملة والجافة للماركسيين». ـ في مقالة عن «اهمية المادية المنـاضلة» منشـورة بترجمة انجليزية ضمن مجموعة له بعنوان ON RELEGION صادرة عن دار التقدم بموسكو ـ ان نقد الدين من خلال نقد السلوك الديني اذا لم يشبع حاجة معرفية للمثقف المهموم بالبحث عن حقائق الاشياء فهو يخدم اهداف المصلح الاجتماعي والقائد الثوري في توعية الجماهير بطريقة تساعد على تحريرها من هيمنـة المؤسسـة الـدينية دون حاجة الى ارباكها بمشكلات هي من اختصاص الاطوار العليا للتفكير الفلسفي.

* * *

ممـا يسجـل على ابـو العلاء هجومه العدائي على القرامطة والزنج. وقد تحدثت عن امر الزنج في متن البحث واتحدث الآن عن القرامطة.

بينت من قبل انه اختص بنقده قرامطة شرقي العربيا دون قرامطة السواد. ولعل ذلكْ لان الاخيرين لم يحكموا ليصدر عنهم ما يثير حفيظته من الانتهاكات المـألـوفة لمن في السلطة. ولعله ايضاً قد اعجب بشخصية قائدهم حمدان بن الاشعث الـذي سلك في حياتـه الشخصية سلوكـاً مقارباً لسلوكه. ويرجع نقده لقرامطة العربيا الى اسرافهم في سفك الدماء. وقد قلنا انه كان محقاً في ذلك. كما اختلف معهم في الافكار الغيبية التي تمسكوا بها وانتقدهم عليها في رسالة

الغفران.

لكن هؤلاء الناس حملوا شعاراته نفسها واقاموا في مجال سلطتهم مجتمع خالي من الفقر وكان نظامهم السياسي بسيط، اذ حكموا بلا شكليات أو مراسم سلطانية، وبلا قمع دموي لرعاياهم سوى ما ارتكبوه في غزواتهم. وهذا كله مما كان يطمح هو الى بلوغه. فما الذي منعه من التعاطي معهم على هدف مشترك مع اختلاف المنازع الفكرية أو التعارض في المسلك السياسي والعملي وبعد ان كان قد تنصل من اخطائهم وتجاوزاتهم بنقدها علناً.

عندي ان الاشكال يكمن في وضعية المثقف. ان التاريخ الاجتماعي للثقافة يكشف عن انفصام متفاوت الدرجات والصور بين المثقف وافكاره وصعوبات يواجهها لدى اختبار السياسة العملية حين يتطور الصراع الاجتماعي الى فعل ناجز. ويحدث هذا كظاهرة وليس كحالة فردية تتعلق بالمسلك الشخصي، فالغرار الذي نتكلم عنه صادق مع نفسه وقد تجسدت فيه واحدة من ارقى حالات الاندماج بين المبدع والنص، ولا يصح عليه بأي حال ما يصح على الغرارات السائدة اليوم في الثقافة العربية. وما يمكن القول عنه انه يبرهن على العجز عن التلاؤم مع الصيغ السياسية لطروحاته من غير ان يكون مدفوع بحافز سياسي.

باستذكار حقيقة يمكن تلمسها في تاريخ الثورات وهي ان المثقفين الكبار لم يسبق لهم ان استطاعوا قيادة حركات اجتماعية ناجحة، يمكننا الاستنتاج ان المثقف الكبير هو في نفس الوقت سياسي فاشل. ولا يجوز هنا الاستشهاد بالانبياء بوصفهم مؤلفي كتب مرموقين قادوا بنجاح حركات تغيير كبرى. فالكتب المقدسة لا تحمل معرفة حقيقية تكفي لاضفاء صفة مثقف على النبي. وهي تتألف في جملتها من تعاليم دينية وحكايات ومواعظ ينتظمها خط اعلام سياسي وعسكري يشكل العصب الاساس للحركة التي يقودها النبي. ويصدق هذا على انبياء الاديان السماوية الثلاثة والاديان الوضعية كالزرادشتية والبوذية.

هذه الحقيقة مستمدة من التاريخ باستقراء حياة واعمال المثقفين الكبار. وما

احسب اننا قادرين على استدراكها بأكثر من حالات فردية متفرقة . وفي اعتقادي ان الحالة الاكثر تميزاً ووضوحاً تلك التي نجدها في مثال لينين . وهو فيلسوف حقيقي بالمعيار المعرفي للفلسفة ، على الاقل في كتابه : «المادية والتجريبية النقدية» الذي اسس فيه لماركسية عصر الالكترون . . هذا الفيلسوف قاد بنفسه فاتحة ثورات القرن الحالي وابعدها اثراً ، ونجح في اقامة دولة وقف هو على رأسها حتى وفاته دون ان تنهار. لكن هذا الاستثناء الكبير يبقى فردياً : ان اهم فيلسوف ماركسي من رفاق لينين وهو بليخانوف لم يفقه معنى الثورة فعارضها وانحاز الى خصومها المناشفة ، مؤكداً فشله في التعاطي مع افكاره ، التي تثقف بها آخرون فساعدتهم على المغامرة في العمل السياسي الناجح . . بوسعنا ان نضيف الى هذا المثال الحقيقة التالية من نفس الموقع : فقد كان من مزايا ثورة البلاشفة كثرة المثقفين الكبار الذين ساهموا فيها ولم يعارضوها خلافاً لبليخانوف . ومع ذلك فقد تعذر على أي منهم ملء الفراغ الذي تركه لينين برحيله المبكر. ولعله مات مهموماً اذ لم يجد من بين هذه الشوامخ الثقافية التي زاملته وتحملت معه اعباء الثورة من يصلح لخلافته . .

لا معنى لان يوصف سياسياً مثقف كالمعري . هو من بين اولئك الافذاذ الذين يرسمون للناس دروب الخلاص فيسير فيها الناس ويتخلفون هم عنها ، تاركين للسياسيين ان يفعلوا ما لم تؤهلهم الطبيعة لفعله . وعندما يصل بهم العجز الى حد التنكر لما كانوا يدعون اليه فان تأثيرهم الآني لا يكون ضاراً مادامت الافكار قد اخذت سبيلها الى قلوب الناس وعقول القادة . على انهم اذ يمارسون عجزهم السياسي يواظبون في نفس الوقتَ على ما تأهلوا فيه كمثقفين حقيقيين وكبار؛ اعني مثقفين غير منفصلين عن افكارهم بقدر ما يتعلق بأنفسهم . لقد عاش بليخانوف حياة شريفة زاهدة حتى الرمق الاخير. وكذلك عاش ابو العلاء . ان مثقفاً من هؤلاء لا يحدد فعاليته الاجتماعية والسياسية بناء على معادلات اجتماعية أو سياسية . فهم خاضعين لقناعاتهم التي تملك وحدها ان تتحكم فيهم ، وان تحدد لهم خياراتهم

الحاسمة في اللحظات الحاسمة؛ صواباً كانت أم خطأً. . وهذا هو جوهرهم الخاص بهم كمثقفين.

اخطاء المعري هي اخيراً اخطاء الفكر القديم. والمعري مفكر قديم ينتمي الى حضارة قديمة. وأي حضارة قديمة فيها ما هو مشترك معنا وما هو مستهلك. والحضارة التي انجبت المعري تملك اكثر من ذلك. بحكم انها ارادت ان تتطور الى حضارة حديثة فاحتوت رغم ان ارادتها لم تتحقق ما جعلها تقع على مقربة من العصر الحديث. وهي قد ساهمت في التمهيد لهذا العصر بمنجزات كانت في نفس الوقت تضفي على اهلها مظاهر حداثة في الفكر والحياة تجاورت مع العنصر السائد لحضارة ذات خصائص آسيو- اقطاعية. . . وهكذا فكر المعري: مدرسة قديمة مشوبة بعناصر حداثة ذات طبيعة إرهاصية تتمظهر بقوة فتزيد على كونها حديثة في مقاس عصرها لتجعل لصاحبها حضور بارز بيننا من دون ان تنسينا عيوبه. وهذه العيوب انما اكتشفناها بقوة عصرنا هذا وليس لاننا اسمى عقلاً منه:

ابو العلاء المعري كمثقف كوني

بصرف النظر عن دواعي الوقت والتاريخ، هناك فئة من المثقفين الكبار تظهر في أي مكان أو حقبة يغمرها مناخ حضارة مثقفة. تتميز هذه الفئة بتكامل التكوين الثقافي بين الذهن والذات، وتتمتع بفضل التعمق في قضايا الفكر والانسان والوجود، مقترناً بالتحرر الروحي، بدرجة من الوعي الكوني تدمجها في ضمير العالم. ولهؤلاء المثقفين على اختلاف حضاراتهم خصال مشتركة هي تلك التي عرفناها في شيخ المعرة؛ فهم يتماثلون في اعتدال المعيشة ـ الاقلال من الاكل والجنس، مع بساطة الطعام والملبس والمسكن، مما يتشكل في مفهوم السعادة الحسية. وكذلك في الاشاحة عن هموم المجد الشخصي والجاه الاجتماعي، التي تتكامل مع هذا المفهوم، وهم يتماثلون ايضاً في مناوأة أو مقاطعة السلطتين الدينية والسياسية. وفي موقفهم من الناس يترددون بين النقد والاشفاق: النقد

لجهلهم وعدوانهم على بعضهم، والاشفاق لما يعانونه من مظالم على يد الدولة أو من الطبيعة.

ومن اعقد ما في خصائص هذه الفئة من المثقفين الذين اجد ما يبرر تسميتهم «مثقفين كونيين» هي علاقتهم بالدين. وفي تجربة صاحبنا شيخ المعرة مثال ملموس نسعى لتحليله فيما يلي:

تتمايز في نقد ابو العلاء للدين رؤيتين: واحدة تخص الدين والاخرى تخص الله. من جهة الدين ثمة انكار قاطع واتهام للانبياء بالكذب على الناس. ولعله لم يواجه صعوبة في التمسك بهذه الرؤية لانه قاس الاديان بمنطقه الفلسفي ووعيه الاجتماعي فوجدها تنبو عنهما كليهما: بحث عن حكمة الاديان فلم يجدها، واراد ان يتلمس تأثيراً ايجابياً نافعاً للدين على البشر فلم يعثر على شيء يدله على مصداقية الوعد الديني أو يوثق له المزايا التي ينسبها اهل الدين لدينهم. وقد رأيناه في اللزوميات ينطلق من العكس وهو ان جزءاً هاماً من مأساة الانسان يرجع الى الدين الذي كلف البشرية كثيراً من الآلام والخسائر ولم يعد عليها إلا بالقليل من المصالح..

في المقابل، يحافظ المعري على نوع من العلاقة مع السماء، تبرز بوضوح في بعض اللزوميات المؤمنة وفي النصوص النثرية في «رسالة الغفران» و«الفصول والغايات» وغيرها. كما تتكشف لنا في ممارسات يومية نراها في مظاهرها عبادة وهي في حقيقتها علاقة خاصة مع الاسمى. وهذه العلاقة تقع خارج دائرة المنطق الفلسفي لانها نتاج وعي خاص للمثقف الكوني وخارج دائرة الدين لانها قائمة على الالحاد.

المعري اذن يفصل بين الدين والله على شاكلة الربوبيين من الفلاسفة. إلا ان ربوبيته ليست فلسفية لانه لا يجزم بوجود الخالق. وربما استظهرنا منها ان الله بعد ان يتم فصله عن الدين، يصبح من لوازم العقل المحيط لانسان يسعى

للانفلات من المحدود والاندماج في ضمير الكون الارحب*.

في عدد من اللزوميات المؤمنة يلجأ المعري الى الله يطلب منه العون أو يسأله التعجيل بموته حتى يذهب اليه ويتخلص من الناس. وهو في وعيه الفلسفي يدرك ان مثل هذا الكائن يستحيل وجوده خارج الزمان والمكان. لكنه يبحث عن دفء المجهول فيما وراء المادة حيث تستمد روحه الكادحة طاقة تساعدها على مواصلة الحضور في عالم الشهادة.. وثمة بون شاسع يفصل ايمان المؤمن بالله عن هذا الشكل من الاتصال بين مثقف كوني والمجهول الاسمى. المؤمن عبد. والمثقف الكوني نظير. وهذه هي الخطوة الاخيرة في تحرر الانسان. وعندما اعلن المتصوفة عدم وقوع الروح «تحت ذل كن» انما كانوا يسجلون هذه الخطوة التي سجلها ابو يزيد البسطامي في مخاطبة الخالق له: «كل العالم عبيدي غيرك» حيث يتحقق الانعتاق من العبودية للمطلق خارجاً من سلب المخلوق الى وعي الارادة

---

* تتمتع العلاقة الكونية للمثقف ببعد روحاني كثيراً ما نلقاه بعمقه لدى ملحد وصل الى الالحاد عن تعمق، بينما يفتقر اليه رجل الدين، الذي يتهمه المعري بالخضوع لحاجات الجسد. وقد وقفت اللزوميات عند هواجس رجال الدين فأنكرت ان يكون فيها هاجس روحاني. وقارنت بين سلوك رجل الدين وسلوك الحاكم والتاجر فأنكرت ان يكون بينهما فرق.، ولذلك لم تعترف لرجال الدين بموقع خارج عمليات التبادل السياسي والتجاري. وبادعاءاته هذه تنقلب معادلة عاش عليها الناس منذ وجد الدين يصبح فيها الملحد روحانياً والمؤمن حسياً. وللبرهنة عليها قدم نفسه للناس حتى يروا كيف يعيش هو وكيف يعيش المؤمنين. وانا من جهتي مقتنع ببرهانه، وازيد عليه انه ليس الشاهد الوحيد. ان تاريخ الفكر يقدم الكثير من لامثلة على اناس لا يؤمنون ويعيشون حياة روحية تقف على النقيض من حياة رجال الدين الآخذة بالكثير من اسباب السعادة الدنيوية. وقد تلمس كارل ماركس هذا المعنى بقوله في العائلة المقدسة (ص ١٦٥ من ترجمة حنا عبود): ليس الالحاد هو الذي يجعل الانسان منحط بل الخرافة والوثنية. أي الدين. ان افادات المثقفين الكبار تتقارب احياناً رغم التباعد في أزمانهم ومصادر ثقافتهم. ففي هذه العبارة يلخص ماركس تجربة عاشها ابو العلاء تفكيراً وممارسة.

الخـالقـة ولكن ضمن تلك الدائرة التي يبقى فيها الرمز الكوني حاضر لكي يمد الحياة الروحية للانسان بالوقود المانع من انطفائها.

ويتصور المثقف الكوني ضمن هذا الافق مسألة القيامة. وقد بدت في بعض اللزوميات المؤمنـة كمسـألة خارجة عن تاكتيك التعمية لتعبر عن اشواق روحانية تتطلع الى الكينونة خارج هذا العالم الملعون. وقيامة ابو العلاء ليس فيها اكل ولا شرب ولا نكاح، فهذه حاجات المؤمنين التي وعدهم بها الانبياء، وينتظمها في الاسـلام مبدأ سعادة الدارين أي الدنيا والآخرة. ومن استغنى عنها في الدنيا لا يحتاج اليها في الآخرة إلا اذا كان استغناؤه على سبيل الطمع. أورد سليم الجندي في تمثيلاته على التأثر بأفكار المعري ان النحوي ابن النحاس كان يحب العنب فامتنع عن اكله في حياته وقال: اردت ان يكون قوتي في الجنة (١/٤٠٧). وابن النحاس كما يكشف عن نفسه مؤمن يبحث عن سعادة أدوم، فلا معنى للكلام عن تأثـره بأبـو العلاء لان ابو العلاء لا يريد الجنة، وهو عندما استغنى عن السعادة الحسية في الدنيا فلكي يبني له صورة عالم يحيا فيه الانسان سيداً للجسد. ولقد حقق هذا العالم لنفسه فعاش في الدنيا سيداً لجسده، ولم يكن هدفه ان يصير في الآخرة الى عبد للجسد، في عداد ما يعنيه النعيم الاخروي، اذ ليس في اللزوميات ولا في غيرها ما يدل على شهوات مؤجلة من قبيل شهوات المؤمنين وإنما هواجس قلب مأزوم يثيرها قلق دائم الى ما وراء العالم المحسوس المبني على الفساد، والعـاجز عن الاندماج فيه، أو على الاقل، التسليم به كأمر واقع. ويتعذر على اسباب السعادة الحسية معالجة ازمة كهذه لانها ازمة روح لا ازمة جسد. والروح اذا وصلت الى مرتبـة الاحتراق فتوهجت لا يبقى للجسد سلطان عليها، ويصبح ما يشغلها هو التطلع نحو افق تستشرف منه املاً في الخلاص. وبالطبع فهذا المسعى محكوم بالحلم لا بالعقل. ولنقف قليلاً عند هذا الوارد. ان الحلم هو احد مصادر الثقافة عند هذه الفئة من المثقفين. اعني انه من خصوصيات ثقافتهم. وكانت في حياة ابو العلاء فسحة واسعة للحلم شغلتها العلاقة مع الاسمى. كان الانقطاع عن

الخلق يؤول به الى نشدان صديق كوني يبادله الخطاب في وحدة الروح فيستريح اليه، وقد يستمد منه السلوان فيبكي في خلواته الازلية حيث لا يسمع بكاءه غيره*.
والحاجة الى هذا الصديق منشأها النفس المتعبة، الباحثة عن الراحة في احضان المجهول، وليست هي راحة العقل. المثقف الكوني تتفارق لديه راحة النفس عن راحة العقل. ومن هنا تعوذ ابن سبعين من «عقل يقنع ومن همة تقف» ومن هنا ايضاً يضع المثقف الكوني مسافة بين الحلم والعقل تمنعه من السقوط في الدين. وهذه المسافة تشغلها فعاليتين: اندماج في التأمل الخالص ينزهه عن المطالب الحسية التي تشغل المتدين. وتفكير يبقيه في حالة استذهان تمنعه من الراحة العقلية.
والحلم والعقل يتجاوران ولا يندمجان، ولذلك تتفاوت نتائجهما: العقل يولد الحقائق التي تتشكل منها المعرفة [المعرفة التي تنشأ بدورها بعد ان يتجاوز العقل منزلة العلم] والحلم يعيد تشكيل المثال بالاستناد الى المعرفة ثم يدفع به خارج العالم المحسوس، الذي يفارقه المثقف دون ان ينقطع عنه.. وهكذا تجري الممارسة العقلية ضمن مدارها المخصوص فلا يفقد ـ المثقف ـ شيئاً من تماسكه المنطقي ولا الحلم الذي قاده الى ما وراء المادة. وهذا المزدوج يغيب عن الفكر البحت (علماء الطبيعة والمختبر) فيحد من فعله الاجتماعي، بينما يؤدي غيابه عن اللاهوت الى زيادة قوته التدميرية المعادية للانسان.

المنطق يشده الى العالم. والحلم ينأى به عنه. وبالتداخل بين الفعاليتين تتخلق عناصر قطيعة مع الخارج تثبت استقلاله عن علاقتين: الدين والدولة. وقد تضعه في تعارض مع المجتمع بقدر ما يفشل الاخير في التلاؤم مع افكاره. ومع

---

* حكى القاضي ابو الفتح السروجي انه دخل على المعري وهو لا يشعر به فسمعه يقرأ: ان في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة. ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود. وما نؤخره إلا لاجل معدود. يوم يأت لا تَكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد... ثم أخذ بالبكاء وهو يردد: سبحان من قال هذا في الازل... واستخلص السروجي من هذا «صحة دينه وقوة يقينه» استنتاج من يجهل حدود المنطق وحدود الحلم عند المثقف الكوني.

استرسـالـه في الحلم خارج العلاقتين، يصبح اقرب الى المعرفة كتكوين ذاتي يتخطى محض العلم الى ممارسته. ويعني هذا تبلور سلطة الثقافة، مقابل سلطتي الدين والدولة، في مستوى من القدرة يمنع من التنازل عنها لقاء اشتراطات خارجة عن متطلبات الفعل الثقافي، لان سلطة الثقافة تأخذ عندئذ صورة اسمى للمثقف المستند الى مزدوج الحلم ـ العقل بما يمتلكه هذا المزدوج من قوة روحية يفتقر اليها الفكر البحت واللاهوت على السواء.

وأبو العلاء كمثقف كوني نجح في انشاء سلطته الخاصة به ولم يتنازل عنها لقاء مطلب خارج عن اشتراطات المعرفة. وإنما قدم تنازلات امام الخطر حين كان عليه ان يستعين بخصم معين لدرء عدوان محتمـل من خصم آخـر. وكـان هذا الخصـم المستعان به هو الدولة. وقد رأينا كيف كان يضطر الى تملقها لئلا تميل مع رجال الدين وجمهورهم عليه. ولم يتنازل عن سلطته لقاء شيء آخر. وبقيت يده سالمة من مدفوعاتهم. وقد عرفوا هم منه ذلك فلم يرغموه على شيء. بالعكس، فقد كان سبباً لاجلالهم له: اجلال متسلط لمثقف لا يرى للسلطة فضلاً عليه! ان هذا ما جعـل عسكـرياً غازياً يفـك الحصار عن بلدته المعرة فيتراجع عن خطة لاجتياحها واستباحتها بمناشدة منه. حالة نادرة بلا شك، ان يتراجع عسكري امام مثقف: كانت جيوشه تتأهب لاقتحام البلـدة واستباحتهـا ودفع اليأس بأهلها الى التشفع بالشيخ الاعمى الذي شتم آلهتهم وسفه عقائدهم. وكان منذ اعتكافه في منزله لـم يخرج إلا مرتين. فتوجه الى ظاهر البلدة. وسمع به قائد الجيش فاستعد لاستقباله. وكان قد اعد لزومية لهذه اللحظة قال فيها:

تغـيـبـت في منـزلـي برهـة	ستير الـعـيوب قليل الحسـد
فلمـا مضى العمـر إلا الاقـل	وحُـمَّ لروحـي فراق الـجسـد
بُعـثـت شفـيعـاً الـى صالـح	وذاك من الـقـوم رأى فسـد
فيسمـع مني سجـع الحمـام	واسـمـع منـه زئير الاسـد

وردّ عليه القائد: «بل نحن الذين تسمع منا سجع الحمام وانت الذي نسمع منك زئير الاسد». ثم سأله عن حاجته فأخبره بها. فأصدر امراً فورياً بالانسحاب وترك المعرة لاهلها.

هل القوة الروحية للمثقف الكوني مرهونة بالاسمى؟

البعد الروحي للاشياء مستمد في الاساس من مصدر الهي، وثنياً أم سماوياً، ودلالته دينية خالصة حيث يتحد الديني بالروحي في الاديان الوثنية والسماوية. وفي حقبة متأخرة من نشأة الفكر الفلسفي ظهرت الربوبية ففصلت الروحي عن الديني عندما جحدت بالدين وأقرت بالاله. واحتفظ الربوبيون بعلاقة مع الاله ترعرع فيها مزاجهم الروحي. وهذا بالاخص لدى مثقفي العالم الاوراسي. وفي الفكر الصيني نجد علاقة تذاهن محدودة مع الـ تيان (سكون التاء) وهي السماء ومع المطلق التاوي وهو التاو، تتسم بسمات روحية. وبالنظر لبعد الفكر الصيني عن الدين وغموض مذهبه في الاله فان روحانية المثقف الصيني لم يكن ارتهانها بالسماء أو التاو بنفس القوة لدى الاوراسيين لاسيما في حقبة الاديان السماوية الثلاثة. ولو ان هذا لم يمنع التماثل في النزوع لدى الفريقين لاتفاقهما في الكثير من مستلزمات البعد الروحاني للمثقف الكوني.

تجارب الفكر الحديث بينت ان المثقف يستطيع الاستغناء عن الاسمى في تشكيل كينونته الروحية. وان كان لا يستطيع الاستغناء عن تجارب اسلافه، المتذاهنين مع السماء كمؤسسي مسلك خاص في الثقافة ينتمي اليه المثقف المعاصر ويستلهمه حين يقرر ان يسلك نفس الخط. وللبحث في هذه التجارب مجال آخر خارج عن متطلبات بحثنا الراهن.

* * *

مشروعه في عزلته:

المثقف الكوني يعتزل الناس ولا ينقطع عنهم. وعزلته تتمظهر من زاوية

الاشكـال الحيادية، أو السلبية، التي يقف فيهـا المثقف خارج خط الاحـداث الاجتماعية والسياسية.

وفي معتـزلـه يواصـل المثقف الكـوني اهتمامه بالناس فيبحث عن حلول لمشكلاتهم تتوازى احياناً مع اهتمامه بالوجود المجرد. وتختلف دواعي العزلة لدى المثقف من هذا الطراز عنها لدى الشعراء والفنانين في نشدانهم الخلوات بعيداً عن الناس. فما يحكم هذا النزوع هو التطلع الى الاتحاد مع الطبيعة من وراء التمتع بجمـالهـا المحسوس في سكون وصمت لا يخرقه إلا تغريد الطيور وخرير المياه وحفيف الشجر. وما يحمله الشاعر والفنان في عزلته من المجتمع قد لا يتعدى امرأة جميلة تثير مكامن خياله أو كأس من الخمر تغرقه في النشوة.

المثقف الكوني يحمل في عزلته صورة المجتمع وينشغل عنه بايجاد افكار تساهم في تطويره أو تقويم انحرافاته.

ويتنسم المرء في تفكير هؤلاء المعتزلين حيوية من يعيش بين الناس ويعرف همـومهم عن قرب. وقـد تنسمناها في افكار ابو العلاء المترعرعة في مزدوجات العقل /الحلم، والعزلة/ المعايشة. تلك الافكار التي انصاغ منها مشروع تغيير مرتبط بارهاصات منعطف تأريخي في حياة عالمه الاسلامي مما قد يكون مؤشر امتياز عن منجـزات زملائه في المنحى. ان الغالب على الرواد في المنعطفات التأريخية انهم مثقفين مجتمعيين اقل عزلة عن الناس واكثر انغماساً في همومهم اليومية الملموسة. والمعري يقدم المثال المعاكس على القدرة الاستشرافية لمثقف كبير يضع نفسه خارج المجتمع لكي ينتج افكار تهم المجتمع والناس. وقد عبر مشروعه عن مرحلة كان هو الاكثر والاصدق تمثيلاً لخصائصها ومتطلباتها. اقول هذا مع ادراكي ان فكره ليس هو الاعمق بالقياس الى الفلسفة الخالصة، ولا الاكثر جمـوحاً بالقياس الى التصوف القطباني. وقد تحدثنا بالتفصيل عن جوانب هذا المنحى الهـام في نشـاطه الفكري ونلخص الآن نقاطه الارأس للمساعدة على بلورته في ذهن القارىء:

١ ـ نقد الدين والسلوك الديني والمؤسسة الدينية بكليتها. ويعني نقد الدين في هكـذا منظومات فكرية نقد ايديولوجية تشكيلة اجتصادية استهلكت لحساب تشكيلة جديدة. ويأخـذ نقـد الـدين هذا المعنى بالخصـوص في المجتمعـات المستندة الى ايديولوجيا دينية متبلورة، جيدة التتخيم، ومسهور على صيانتها.

٢ ـ الـدعـوة، مع نقـد الـدين، الى حرية الاديان، واستنكـار الاضطهاد الـديني. مع الاتجـاه الى القـول بتساوي الناس رغم اختلاف الأديان واستمرار الحروب، والانطلاق من هذا الاتجاه لتصور اخوة بشرية تجمع الناس تكون اشمل من الاخوة الدينية التي لا نجد عليها مثال في اللزوميات. وقد مر بنا قوله عن اخوة البشر:

ومـا نأت القـرابـة من أنـاس أبـوهـم يافـث وأبـوك سام

لان يافث اخو سام وهو في علم الانساب اليهمسلامي كما بينا من قبل جد شعوب اخرى غير سامية. وقد وظف هذه الخرافة التأريخية، وما أظنه كان يوافق عليها، لتوكيد اساس ملموس للاخاء البشري.

٣ ـ ادراكـه لتقـدم الفكـر وتفـاوت الاجيال في مستـويات الثقـافة. وكان المسلمين في هذا الشأن فريقين، واحد يقول ما ترك الاول للآخر شيئاً والثاني يقول ليس اضر على العلم من قول القائل ما ترك الاول للآخر شيئاً. ويعم هذا الاختلاف معسكري الدين والفلسفة. وكان هناك الى جانب القائلين بالوقوف عند قول الاوائل من يدعو الى نقدهم وتجاوزهم. وابو العلاء من هذا الفريق. وفي اللزوميات دعوة لتجديد الفكر تقول:

لقـد صدئت افهـام قوم فهـل لهـا صقـال؟ ويحتـاج الحسـام الى الصقل

ولاحظ الفرق بين الاجيال المسلمة في مستوى الفكر فقال في «الصاهل والشاحج»: لو عاش الدؤلي (ابو الاسود) حتى يسمع كلام الفارسي (النحوي ابو علي) في الحجة ما فهمه فيما احسب الا فهم الامة هدير السنداب (ص ٧٩).

السنداب (بهمزة على الالف) هو الجمل الصلب الشديد. والامة الجارية*.

وأقر بالتغير في الاشياء وبأن الشيء لا يصلح ان يجري على نسق واحد في كل الاوقات فربما استعمل على ما يحب له في الاصل فقبح وأنكر (الصاهل والشاحج ص ٦٢٩) ويقرب هذا الكلام من توجيه ينسب الى علي بن ابي طالب: «لا تقسروا اولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»**.

٤ ـ نقد الاستبداد السياسي والدعوة الى حرية الفكر والعلاقات الديمقراطية بين الناس على اختلاف الملل. ويفتقر نقده للاستبداد السياسي الى فكرة عن نظام سياسي جديد يضمن زوال الاستبداد، من ذلك النمط الذي فكر فيه فلاسفة التنوير الغربيين ـ وقد لمس من بعيد نظرية العقد الاجتماعي التي تعتبر الحكام اجراء لدى الشعب من غير ان تتحول عنده الى نظرية كالتي وضعها جان جاك روسو.

٥ ـ الدعوة الى احترام الحرفة وجعل العمل اليدوي من اسس النظام الاجتماعي. ويصدر المعري في بعض النصوص عن وعي انتاجي بدا فيه مناوئاً لتقاليد البداوة من جهة ولارستقراطية المدن من جهة اخرى في احتقارها للمهنة والعمل اليدوي. وندد بالغزو كوسيلة لكسب العيش عند البدو، وبالاشتغال في الدولة كوسيلة للعيش عند غيرهم. . . ومن اقواله في هذا الباب:

لزومية تحبذ الحرفة:

لا تأنفنّ من احترافك طالباً حِلًّا، وعدِّ مكاسب الفجار
فالمجد أدركه على علاته قوم بيثرب من بني النجار

حل بكسر الحاء: حلال. بني النجار: هم اخوال النبي محمد.

---

* هكذا ورد في طبعة بنت الشاطىء. واظن في العبارة تصحيفاً اذ لا مناسبة بين الامة وهدير الجمل.

** يستبعد صدوره عن علي لانه ينطوي على فكرة تطورية هامة ليس من شأنها ان تظهر في الجيل الاول للحضارة. والفكرة تتردد عند الماوردي (القرن الخامس) وغيره.

واخرى تحث على العمل وعدم الاقامة في المساجد للاسترزاق من الناس:

لا تقومنّ في المساجد ترجو بها الزُّلَف
مُعملاً بسط راحتيك الى نائل يُلَف
ورُم الرزق في البلاد فان رمته ازدلف

نائل: عطاء. ازدلف: اقترب.

وفي الفصول والغايات (ص ٨٥)؛

حارث الارض عند ربه أوجه من الحارث الحراب.

الحارث الحراب بتشديد الراء: فارس وأمير جاهلي من كندة.

هذه القيم تناسب حاجات مجتمع يتجه نحو النمو على اساس رأسمالي. ولذلك جرى التأكيد عليها من جانب مفكري القرن الثامن عشر الذين تعصب بعضهم للعمل اليدوي ضد العمل الفكري. ومن بين هؤلاء كان جان جاك روسو داعية متطرف للعمل اليدوي وتبنى في افكاره التربوية الدعوة الى تأهيل الصغار مهنياً، وقال انه يفضل ان يكون تلميذه اسكافي على ان يكون شاعر.

هل اثر ابو العلاء على احد من بعده؟

وقف على قبره ثمانين شاعر فيما تقول اخباره. ولم يصلنا من مراثيهم إلا القليل. ومن اميز ما قرأته قول ابن ابي حُصنية (بضم الحاء).

تتصرم الدنيا وتأتي بعده أمم وأنت بمثله لا تسمع

وهذا تمجيد لشخصية متفردة يتضمن الحكم عليها بالفشل.. في الواقع لم يؤثر ابو العلاء في احد من تلاميذه أو مريديه، أو من الاجيال التي اعقبتهم. ويستدل من اخباره ان بعض تلاميذه احبوه ومجدوه، ولعل الثمانين شاعر هم من بين هؤلاء الاوفياء. لكن احداً منهم لم يبرز كخليفة للاستاذ يواصل أو يطور أو ينشر

أفكاره. وكان من بين تلاميذه اشخاص سيئين مثل ابو زكريا التبريزي، وكان قد تتلمذ عليه في اللغة حتى صار من كبار شراح الشعر. وقد اعترف بعد اكمال دراسته وعودته الى اهله انه كان يسعى للتجسس عليه. ففي رواية لابن الجوزي (المنتظم ١٨٤/٨) قال التبريزي ان المعري خلا به يوماً فسأله: كيف اعتقادك؟ فقال في نفسه: اليوم يظهر ما يخفيه. فقال له: ما انا إلا شاك. فرد عليه المعري: وكذلك شيخك». وابو زكريا لا يمكن ان يشك وإنما اراد، كما اعترف بالضبط، امتحان عقيدة استاذه.

ومع ان خطوط الالحاد استمرت بعد المعري ولم تنقطع إلا في أوان افول الحضارة، وظهر بعده زنادقة من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، فان افكاره التي تألف منها مذهبه الخاص به لم تتناسخ في احد، فضلاً عن ان تجد من يطورها ويعالج نواقصها. والسبب كما تبين لنا حتى الآن هو ازمة التطور في المجتمع الاسلامي /تلك الازمة التي حالت دون ظهور منظومات تغيير ناضجة من قبيل ما انتجه عصر التنوير الاوربي، المعبر عن تحولات اجتصادية ناجزة.

اود التنبيه اخيراً اني اتحدث عن فشل مشروع معرة النعمان لا عن قيمته التأريخية. فهنا:

ابو العلاءالمعري خلف تراثاً من اساسيات يبقى صالحاً للاستيعاب في أي تجربة تقام على العقلانية وتسعى لتحرير الناس من الخرافة.

وتراثه الذي استعرضناه في هذه الدراسة هو جزء من تراث الفكر التنويري العالمي بما يضمه من جهود فلاسفة شرقيين وغربيين كافحوا من اجل اعلاء العقل البشري ضد الاوهام والغيبيات.

وعن امشولته كمثقف، امتلك ابو العلاء المعري من الخصال الثقافية ما يتجاوز محيطه الزماني والمكاني ليكون حاضر في أي مسعى منشود لمثقف يريد ان يوحد بين الذات والنص؛ لتوطيد سلطته الثقافية، والطموح منها للاندماج في سيرورة وجود ترتفع به عن صغار الهموم لتفتح له خط المساهمة في عقلنة العالم

ضد العدوان والبهيمية.

وقد يكون مثقفي هذا العصر اقدر منه على اداء هذا المطلب، لانهم يتحركون فوق ذرى جديدة ومتعالية من قيامة العقل البشري تمكنهم من تجاوز نقاط الضعف في المثال.

القسم الثاني

المقالات

نقد الدين

منشأ الاديان

أفـيقـوا أفـيقـوا يا غواة فإنـمـا   ديانـاتـكم مكـر من القـدمـاءِ
أرادوا بهـا جمـع الحـطام فأدركوا   وبـادوا ومـاتـت سُنّـة الـلؤمـاءِ

التمايز الطبقي في ظل الدين

بالخُلف قام عمودُ الدين: طائفةٌ   تبني الصروحَ وأخرى تحفر القُلُبا

القلب: جمع قليب وهو البئر.

خلود العالم وعدم صحة القيامة

يقـولـون ان الـدهـر قد حان موته   ولـم يبـق في الايام غيرُ ذَمـاءِ
وقد كذبـوا ما يعـرفـون انقضـاءه   فلا تسمعـوا من كاذب الـزعمـاءِ

لا أمام سوى العقل

يرتجى الناس ان يقوم امامٌ ناطقٌ في الكتيبةِ الخرساءِ
كذبَ الظنُّ لا إمامَ سوى العقلِ مشيراً في صبحه والمساءِ
فإذا ما اطعتَه جلبَ الرحمةَ عند المسير والارساءِ
إنما هذه المذاهب أسبابٌ لجذب الدنيا إلى الرؤساءِ
غرضُ القومِ متعةٌ لا يرقّون لدمع الشمّاءِ والخنساءِ
كالذي قام يجمع الزنجَ بالبصرةِ والقَرمطي بالاحساءِ

الخلاف حول المسيح

يا آل إسرالَ هل يرجى مسيحكُمُ هيهاتَ قد ميزَّ الأشياءَ من خُلبا
قلنا أتانا ولم يُصلب، وقولكُمُ ما جاء بعدُ وقالت أمةٌ صُلبا
جلبتَم باطلَ التوراة عن شَحَطٍ وربَّ شرٍ بعيدٍ للفتى جُلبا

خُلب: خدع.
شحط: بعد.

الطيور أرشد من اليهود

لو كنتَ يعقوبَ طيرٍ كنتَ أرشد في مسعاكَ من أممٍ تُنمى ليعقوبا

اليعقوب: ذكر الحجل. الجْمع يعاقيب.
الأمم التي تنمى ليعقوب يريد بهم اليهود.

العقل ضد الدين

ولا تصدق بما البرهانُ يُبطلُه فتستفيدَ من التصديق تكذيبا

حروب الاديان

كم يُقتـل النـاس؟ ما هَمُّ الذي عَمِدت
يداه للقـتـلِ إلا أخـذهُ الـسَـلَبـا

الاديان قضاء وقدر

قَدَرٌ نازلٌ من الـجـو نادى بالـنصـارى حتى أجلوا الصليبـا

ادعاءات الاديان وأكاذيبها

مسـيحـيةٌ من قبـلهـا موسـويةٌ حكت لك اخبـاراً بعيداً ثبـوتُهـا
وفـارسُ قد شُبَّت لها النار وادّعتَ لنيرانهـا ان لا يجـوز خبـوتهـا
فمـا هذه الايام إلا نظائـر تسـاوت بهـا آحادهـا وسبـوتهـا

فيا للنـصـارى إذا أمـسـكـوا ويا لليهـود إذا أسـبـتـوا
وقـد سئـلوا عن عبـاداتـهـم فمـا أيّدوهـا ولا اثـبـتـوا
ومـن خير ما فعـل الفـاعلون أنـهـمُ بتُـقـىً أخـبـتـوا

اخبتوا: خشعوا واطاعوا.

من مساوىء الاديان

ولا تُطيعـنَّ قوماً ما ديانَـتُـهـم إلا احتيالٌ على أخـذ الأتـاواتِ
وإنـمـا حَمّـل الـتـوراة قارئهـا كسبُ الفـوائـدِ لا حبُ التلاوات
إن الشـرائـع ألقت بيننـا إحَنـاً وأودعـتـنـا افـانين الـعـداوات

وهل أُبيحت نساءُ القوم عن عُرُضٍ للعــرب إلا بأحـكــام الـنبــوات

إحن: احقاد وعداوات. عن عرض؛ بضمتين، بلا مبالاة.

إنكار القيامة

فهــل قام من جَدَثٍ ميتٌ فيخــبــرَ عن مســمــعٍ أو مَرا؟
نزول كمــا زال أجــدادنــا ويبــقــى الــزمــان على ما نرى
نهــارٌ يضــيء ولــيلٌ يجــيء ونــجــمٌ يغــور ونــجــمٌ يُرى

مرا: تخفيف مرأى. جدث: قبر.

من خرافات الاديان

وقد كذبوا حتى على الشمس أنها تُهــان إذا حان الشــروق وتُضــرب

يشير الى حكايات القصاصين عن الاجرام السماوية ومنها ان الشمس تأبى الطلوع فتسوقها الملائكة قسراً.

افتقار الدين الى القياس

تلك اليهــود فهــل من هائــد لهم والصــابئــون وكــلٌ جاهــلٌ صابي
والانس ما بين إكـثــار إلـى عَدَم كالـوحش ما بين إمحال وإخصاب
لم يُثبـتــوا بقياس أصــلَ دينهمُ فيحـكموا بين رُفّــاض ونُصّــاب
ما الركن في قول ناس لست أذكرهم إلا بقــيةُ أوثــانٍ وأنــصــاب

الرفاض: الشيعة والغلاة منهم بالاخص. والنصاب هم غلاة السنة.
الركن: ركن الكعبة الذي فيه الحجر الاسود.

اسئلة

أرى فلكاً مازال بالخلق دائراً | له خبرٌ عنا يُصانُ ويُخبأُ

أقضيةٌ لاتزال واردةً | تَحار في كونها الالبّاءُ
قام بنو القوم في أماكنهم | وغيّبت في التراب آباءُ

ما أطيب الموتَ لشُرّابه | إن صح للاموات وَشْكُ التقاءْ

كذاك قالوا وأحاديثهم | يَبينُ فيها الجَزْلُ والشَخْتُ
لو جاء من أهل البِلى مخبر | سألتُ عن قوم وأرخت
هل فاز بالجنة عمالها | وهل ثوى في النار نُوبَختُ؟

الشخت: الضامر الضعيف. نوبخت: منجم فارسي نزل ببغداد واشتهر احفاده بالعلم والادب وفي بيتهم توفي أبو نواس. ودخول نوبخت في النار بسبب اشتغاله في التنجيم.

شجون عن الحج وغيره

أقيمي لا أعدُّ الحج فرضاً | على عُجْز النساء ولا العذارى
ففي بطحاءِ مكّة شرُّ قومٍ | وليسوا بالحماةِ ولا الغيارى
وإن رجالَ شيبةَ سادنيها | إذا راحت لكعبتها الجَمارى
قيامٌ يدفعون الوفد شفعاً | إلى البيت الحرام وهم سكارى
متى آداكِ خيرٌ فافعليه | وقولي ان دعاكِ البِرُّ آرى
فلو قيل الغواةُ عرفتِ كشفي | من الكذب المموّه ما توارى

ولا تثقي بمـا صنعـوا وصـاغـوا　　فقـد جاءت خيولـهُـمُ تَبـارى

جرت زمـنـاً وتـسكن بعـد حينٍ　　وأقـضـيـةُ المهـيمن لا تُجـارى

لعـل قِرانَ هذا الـنجـم يهـدي　　إلـى طرق الهـدى أُممـاً حيارى

فقـد أودى بهـم سغبٌ وظِـمٌ　　وأينُـقُـهـمْ بمَـتلفـةٍ حسـارى

ومـا أدرى أمَـنْ فوق الـمهـارى　　الـبُّ إذا نظرتُ أم الـمـهـارى

أتـتـهـم دولـة قهـرت وعـزت　　فبـاتـوا في ضلالتهـا أسـارى

وظنـوا الـطهـر متصـلاً بقـومٍ　　وأقـسـمُ أنـهـم عيرُ الـطهـارى

ومـا كَريت عيون النـاس جمعـاً　　ولـكـن في دُجُـنّـتـهـا تَكـارى

لهـم كَلِمٌ تخـالـف ما أجـنـوا　　صدورهـم بصـحـتـه تمـارى

رجال شيبة: هم بنو شيبة، من قريش، الذين اختصوا بسدانة الكعبة.

الجمارى: رجم الشياطين بالحجارة عند الحج.

آرى: نعم بالفارسية.

القران بكسر القاف التقاء نجمين من النجوم التي يرصدها المنجمين للتنبؤ بالاحداث. وهو يستخدمه كمفهوم شعري.

اينق بضم النون: النوق.

المهارى: الابل

كريت: نعست ونامت، من الكرى.

في البيتين اللذين يبدآن بقوله: اتتهم دولة... تعريض بالفاطميين.

استحالة اليقين

سألـتـمـوني فأعـيتّني اجـابتُكُمْ　　من ادّعـى انـه دارٍ فقـد كذبـا

والناسُ من أجلِ هذا الأمر في ظُلَم　　ومـا أُؤمّـل أن الـفـجـر ينبـلج

إنـمـا نحـن في ضلالٍ وتـعليلٍ فان كنـت ذا يقـين فهـاتـه

اسئلة حول الروح

قد قيل ان الـروح تأسف بعـدمـا تنأى عن الجسـد الذي غَنِيَتْ به

ان كان يصحبهـا الحجى فلعلهـا تدرى وتـأبـه للزمـان وعَـتْـبـه

أو لا، فكـم هذيانِ قوم غابـرٍ في الـكتب ضاع مِدادُه في كُتْبـه

الحجى، بالالف، العقل.

حقوق الحيوان وحقائق الدين

غدوتَ مريض العقلِ والدينِ فالْقَني لتسمـعَ انبـاءَ الامـورِ الصحـائحِ

فلا تأكُلَنْ ما أخـرج المـاء ظالمـاً ولا تبـغِ قوتاً من غريضِ الذبائح

وأبـيضَ أُمـاتٍ أرادت صريحَـه لاطفـالهـا دون الغواني الصرائح

ولا تُفـجعَن الـطير وهي غوافـلٌ بمـا وضعت فالـظلم شر القبـائح

ودع ضَرَبَ النحل الذي بكرتْ له كواسـبَ من أزهـارِ نبتٍ فوائـح

فمـا احـرزتـه كي يكـونَ لغيرهـا ولا جمعتـه لِلنـدى والمنـائـح

مسحتُ يدي من كلِ هذا فليتني أبِهْتُ لشـأني قبلَ شيب المسائح

بني زمني هل تعلمـون سرائـراً علمـتُ ولـكني بهـا غيرُ بائـح؟

سَريتُم على غيٍّ فهـلاّ اهتـديتُمُ بمـا خَبَّـرتكم صافياتُ القـرائـح

وصاح بكم داعي الضلال فما لكم أجبتم على ما خَيَّلت كلَ صائح؟

متى ما كشفتم عن حقائقِ دينكم تكشفتُم عن مُخزيات الفضائح

ابيض امات: يريد به الحليب.

ضرب النحل: العسل.

أبهت، والمضارع ابوه، انتبهت. المسائح: الذوائب.

تفضيل حرق الميت

من عاشر الناس لم يَعدم نفاقهُمُ فما يفوهون عن حَقٍ بتصريحِ

فاعجب لتحريقِ أهلِ الهند ميتَهم وذاك أروح من طول التباريح

ان حرّقوه فما يخشَوْن من ضَبُعٍ تسري إليه ولا خُفْيٍ وتطريح

والنار اطيبُ من كافور ميتنا غباً وأذهبُ للنكراء والريح

الخفي: ضم الخاء وسكون الفاء: النبش.

في انتظار نسخ الشريعة

إذا عَقَدتْ عقداً لياليك هذه فان لها من حكم خالقها فسخا

لعمري لقد طالت على المُدلج السرى وليس يرى في حندسٍ لهباً يُسخا

وجدنا اتباع الشرع حزماً لذي النهى ومن جرب الايام لم ينكر النسخا

لهباً يسخا: يؤجج. المدلج: الماشي ليلاً.

تساؤل حول رواية مقدسة؟

فما بال هذا العصر ما فيه آية من المسخ ان كانت يهود رأت مسخا؟

يشير إلى الآيات ٦٥/ بقرة، ٦٠/ مائدة، ١٦٦/ اعراف التي روت عن مسخ بعض اليهود قرود وخنازير.

المشاهدة احق بالتصديق

فواعجبا نقفو أحاديثَ كاذبٍ ونترك من جهلٍ بنا ما نُشاهِدُ

مصدر الغي وشموله

يهوِّد باغي الحاجِ والليلُ مسلمٌ على كفره والارض في زي راهِب
تألُّف غيٍّ الناس شرقاً ومغرباً تكامل فيهم باختلاف المذاهب

هذيان الامم

أرى هذياناً طالَ من كل أِمةٍ يُضمَّنها ايجازُها وشروحُها

كذب الكتب المقدسة

أخبَرتَ عن كُتْبك أعجوبةً وربَّ مينٍ ضُمِّنتهُ الكُتُبْ

مين: كذب.

تناقض الدين والعقل

إذا افتكر الانسان في أمر دينه بدا نبأٌ يثني الحجى وبه كَبْتُ
فهل خبر عن أنفسٍ بان وفدها إلى الله معمورٌ بأجسامها الخَبْتُ؟

الخبت: الخشوع.

البرهان المستحيل

رأيت جماعات من الناس أُولِعت ... باثبـات اشياءَ استحـالَ ثبـوتُهـا

فقـد أخبرتْ عن غَيِّها سنـواتُها ... كما أخبرت آحـادُهـا وسبوتها

ومـا هي إلا الـنـار توقـدُ مرَّةً ... فتـذكـو وتـاراتٍ يحين خُبـوتُهـا

نفي عذاب القبر

قد ادَّعيتم فقلنـا اين شاهـدكم؟ ... فجَاء من بات عند اللّبِ مجروحا

إن صح تعذيب رمسٍ من يحل به ... فجنِّبـاني ملحـوداً ومضـروحـا

الرمس: القبر.

دعاوى اليهود

ترجـو يهـود الـمـسيحَ يأتـي ... وتـأمـل الـدهـر أن يهـودا

وكـيف تُرعـى لهـم عهـودٌ ... من بعـدمـا ضيعـوا العـهـودا

وكـل ما عنـدهـم دعـاوٍ ... حتـى يقـيمـوا به الـشـهـودا

غَدَوْا وأشـياخُـهـم لجـهـلٍ ... كولْـدةِ أُوطـنـوا الـمـهـودا

ولـيس بيتـي على الـروابـي ... وإنـمـا آلَـف الـوهـودا

الدهر: مبنى على الظرفية ومعناه طول الدهر

ولدة: جمع وليد.

العقل لا النقل

جاءت أحاديثُ ان صحت فان لها ... شأنـاً ولكنَّ فيهـا ضعفَ اسنـادِ

فشــاور العقــلَ واتـرك غيره هَذَراً فالعقُــل خير مشيرٍ ضمـه النـادي

أكاذيب اليهود

يا آل يعقــوبَ ماتــوراتـكم نبــأ من وَرْي زنــدٍ ولـكن ورْيُ اكبــادِ
إن كان لم يبــدُ للاغمــارِ سركُمُ فانــه ليَ في اكــنــانــه بادي
لقــد أكــلتــم بأمــر كله كذب على تقــادم ازمــانٍ وآبــادِ
ورابـني أن احبــاراً لكم رسخــوا في العلم ليسـوا على حالٍ بعبـاد

وري الزند: قدحه. والزند هو الزناد أي المقدحة.
الاغمار: الجهال. الاكنان: جمع كن وهو المستكن والمخبأ.

جهالة أهل الاديان

عاشــوا كمـا عاش آباءٌ لهم سلفوا وأُورِثـوا الـدين تقليداً كمـا وَجَدوا
فمـا يراعـون ما قالـوا ومـا سمعوا ولا يبـالـون من غي لمن سجـدوا

الغرض من الدين

لولا التنافس في الدنيا لما وُضعتْ كتب التناظرِ لا المُغني ولا العُمَدُ
قد بالغــوا في كلامٍ بان زُخـرفـه يوهـي العيونَ ولم تَثْبت له عَمَــد

المغنى: لعله يقصد به كتاب عبد الجبار المعتزلي عن مذاهب المعتزلة.
العمد: جمع عمدة، عنوان لعدة كتب في علم الكلام واصول الفقه.

الايمان تقليد والتفكير إلحاد

في كلِ امـرِكَ تقـليدٌ رضـيتَ به ... حتى مقـالُـك ربي واحـدٌ أَحَـدُ
وقـد أُمـرنـا بفكـرٍ في بدائعـه ... وان تفـكـر فيه معشـر لحَـدَوا

إلى أهل الاديان

لا تبـدأونـي بالـعـداوة منـكـم ... فمسيحكم عنـدي نظيرُ محمـدِ
أيُغيث ضوء الصبح ناظرَ مدلجٍ ... أم نحن أجمعُ في ظلامٍ سرمدِ؟
كُمْـه البصـائـر لا يَبين لها الهدى ... أو مبـصـرٌ أبـداً بعيني أرمـد

كمه: جمع اكمه، الاعمى بالولادة. مدلج: السائر في الليل.

الاستخفاف بالمحدثين والفقهاء

أعن واقـدٍ خبَّـرتَني وابنِ جمـرةٍ ... وآلِ شهـابٍ؟ خامـدٌ كل واقـدِ!

واقد وابن جمرة من رجال الحديث والتفسير. وآل شهاب اشارة الى ابن شهاب الزهري فقيه ومحدث اموي، من بني زُهرة القرشيين.

ضد زواج الضرائر

ومن جمـع الضـراتِ يطلب لذةً ... فقـد بات في الإضـرار غيرَ سديدِ
وان يلتمس اخـرى جديداً لحاجة ... فلا يأمـنـن منـهـا ابتغـاء جديد

يقول انه مثلما يتطلع الرجل الى التجديد في العلاقات الجنسية فكذلك المرأة؟.

النسك المستحيل

مادامت الـوحشُ والانعـامُ خائفـةً   فَرْسـاً فما صحَّ أمرِ النسك للاسد

الوحش: حيوانات البر المسالمة. الانعام: الحيواناتِ الاليفة النافعة للانسان.
تعريض بالمؤمنين الذين يأكلون اللحم ويدعون انهم نساك.

مفارقات الاديان

وجــدنــا اختـلافـاً بيننـا في إلَهنـا   وفي غيره، عزِ الـذي جل واتحـدْ

لنـا جمعـة، والسبت يدعى لأمـةٍ   أطافتَ بموسى، والنصارى لها الأحد

فهـل نبـواقي السبعة الزُهْرِ معشرٌ   يُجلّونهــا ممن تنسـك أو جحـد؟

تقــربَ ناسٌ بالمُــدام وعنــدنـــا   على كل حال أنَ شاربهــا يُحَــد

السبعة الزهر: يعني الكواكب السيارة وهي سبعة في الفلك القديم الذي يضم اليها الشمس والقمر.
يحد: يعاقب.

إنكار القيامة

فهل يرتجى خُضْرَ الملابسِ ظاعنٌ   وقد مُزِّقت في باطن التُرب غُبْرها؟

أكاذيب الاديان

أتـتـنـيَ انبــاءٌ كثيرٌ شجـنـونُهـــا   لهـا طُرُقٌ أعيا على الناسِ خُبرَها

هفـا دونهـا قس النصـارى ومَـوبِدً   المجوسِ ودَيَّانُ اليهـود وحَبـرهـا

وخـطوا أحـاديثاً لهم في صحائف لقـد ضاعت الاوراق فيها وحِبرها

أعيا على الناس: تعذر وصعب. خبرها بضم الخاء: اختبارها.
الضمير في «خطوا أحاديثاً» راجع الى المسلمين.
الموبد: من المراتب العليا للزعامة الدينية في الزرادشتية.

واختلاف المذاهب

تحـالفت الاشياعُ في عُقَب الردى وتلك بحـارٌ ليس يدرك عِبـرهـا
وقيل نفـوسُ النـاس تسطيعُ فعلَها وقـال رجـال بل تبـيَّن جَبْـرهـا

العبر بكسر العين: العبور وهو كذلك في لهجة العراق.
يشير الى الاختلاف في القضاء والقدر.

دعوة لنبذ الكتب الدينية

ولا تقـرأ الكتبَ المضلِّلَ درسهـا وقـد وَضَحت طرق الهدايةِ فاقرُها

يقرو الشيء: يقصده ويتتبعه. ومنه الاستقراء في المنطق.

انكار قبر الامام في النجف

ومـا صح للمـرء المحصـلِ أنـه بكـوفـانَ قبـر للامـام يزار

كوفان: الكوفة.
الانكار ورد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي الذي توفي بعد ابو العلاء بستة عشر سنة.
منشأ الانكار ان علي بن ابي طالب دفن سراً ولم يُعرف موضع قبره طيلة الحكم الاموي.
ومن المحتمل ان قرار الدفن صدر عن الحسن ولده الاكبر الذي بويع بعده وكان ينوي عقد

الصلح مع معاوية والتنازل له عن الخلافة. ولا بد انه فكر في احتمال تحرش الامويين بالقبر فارتأى اخفاءه. وفي تقديري ان ابناء علي كانوا يعرفون موضع القبر ويتناقلونه بالتوارث حتى تم الكشف عنه بعد زوال الحكم الاموي.

إبطال خرافة دينية

تورعوا يا بني حواءَ عن كَذبٍ فما لكم عند ربٍّ صاغكم خَطَرُ
لم تجدبوا لقبيحٍ من فعالكُمُ ولم يجئكمْ لحسنِ التوبة المطر

أكاذيب الاديان

هل صح قول من الحاكي فنقبله أم كل ذاك أباطيلٌ وأسمار؟
أما العقول فآلت أنه كذبٌ والعقل غرس له بالصدق إثمار

الاسمار من السمر: الحكايات الخرافية. ترد هكذا في صيغة الجمع.

فساد المسلمين

قد أصبح الدين مضمحلاً وغيرت آيَه الدهور
فلا زكاة ولا صيام ولا صلاة ولا طهور
واعتاضَ حِلَّ النكاح قومٌ بنسوةٍ ما لها مهور

الآي: جمع آية. وتعني هنا الدلالة والعلامة وهو معناها الاصلي المأخوذ من جذر سومري.

المقصود بالدين في هذه اللزومية مجموعة قواعد السلوك المأمور بها في الشرع الاسلامي، والمعري يميزها عن الدين كأيديولوجيا. وفي البيت الاخير يتحدث عن اباحة مضاجعة

الجواري بمجرد الشراء أو الاسر.

فشل الاديان

أمــور نســتــخــفُ بهــا حلومٌ ومـا يدري الـفـتـى لمن الثبـورُ
كتــاب محــمــد وكـتــاب موسى وأنــجــيل ابـن مريم والــزبــور
نهت أممــاً فمــا قبلت، وبـارت نصـيحـتـهــا فكــل الـقــوم بور

الكذب المتوارث

كل الــذي تحكــون عن مولاكُمُ كذبٌ أتـاكـم عن يهـودَ يُحـبّـر
رامـت به الاحـبــار نيل معيشــة في الــدهــر والعمـل القبيح يُتّبر

مَن الملوم اذن؟

وهــل ألــوم غبيــاً في غبــاوتــه وبــالـقضــاء أتتــه قلّةُ الفــطن؟

زخارف العهد القديم

بين الـغــريزة والــرشــاد نِفــارُ وعلى الـزخـارف ضُمَّتِ الاسفـارُ
وإذا تســاوى في القبيح فعــالنـا فمــن الـتـقـيُّ وأيّنـا الـكـفــار؟

السر المعروف

ولــديَّ سر ليس يمــكــن ذكــره يخفى على البصــراءِ وهــو نهـار

وزن الاحاديث بالعقل

والحـديث المسموع يوزن بالعقل   فيُضْـوى إلـيه عُرْف ونـكـر

يضوى: ينضوى.

انكار خرافة الخضر

يقـول الغواة الخضر حيٌّ، عليهمُ   عفـاء، نعم ليل من الفتن اخضّرا
ولـو صدقوا ما انفك في شر حالةٍ   يعـاني بهـا الاسفـار اشعثَ مغبرّا
ولكنَّ من اعـطاهم الخبـر افتـرى   وأُلفي مثـل السِيد أجمـع وافتـرا
جنـى قائـلٍ بالـمين يطلب ثروةً   ويُعـذر فيه من تكـذب مضـطرا

السيد: بكسر السين الذئب. المين: الكذب. جنى: محصول، من الجني.
افتر الذئب الشاة: مزقها.

دين مكة ودين القرامطة

ودين مكـةَ طاوعـنـا   أئمـتـه   عصراً، فما بال دينٍ جاء من هجرا؟

هجر: عاصمة القرامطة، من مدن الاحساء القديمة.

إنكار القيامة

والنـاس في ظُلَم الشكـوك تنازعوا   فيهـا ومـا لمحـوا نهـاراً باهـرا
نَمْـضي ونتّـرِكُ البـلاد عريضـةً   والصبـحَ أنـورَ والنجـوم زواهـرا
عش ما بدا لك لن ترى إلا مدىً   يُطوى كعـادتـه ودهـراً داهـرا

تصارع الاديان

تلت النصارى في الصوامع كتبها — ويهودُ تقرأ بالقرى أسفارَها
ليس المعاشر سبَّدتْ هاماتِها — كمعاشر أمست تُجمّ وِفارها
وأعِدَّ قصُ الظُّفْر شيمَة ناسكٍ — والهندُ بعدُ مطيلةٌ اظفارها
مِللٌ غدت فِرقاً، وكل شريعةٍ — تُبدي لمُضْمِر غيرِها إكفارَها

التسبيد: استئصال الشعر. والوفار بكسر الواو الشعر الكثيف المسترسل.

عدم تناهي العالم

ولو طار جبريل بقية عمره — عن الدهر ما اسطاع الخروج من الدهر

اسطاع: استطاع: واللزومية كناية عن ازلية الزمان.

ضد احتكار الحقيقة

يسمي غويٌّ من يخالف كافراً — له الويل أي الناس خالٍ من الكفر؟
حصلنا على التمويه وارتاب بعضُنا — ببعضٍ فعند العين ريب من الشُفْر

الشفر: شفار العين وتطلق على منابت اهدابها.

نقد زواج الضرائر

قِرانك ما بين النساء اذيةٌ — لهن فلا تحملْ اذاة الحرائرِ
وان كنت غرّاً بالزمان وأهله — فتكفيك احدى الآنسات الغرائر

تحميل الخالق مسئولية الظلم في الطبيعة

قضـــاءٌ يوافي من جميع جهـــاتـه كمـــا هو عن أَيْمـــانـنـــا والأياسـر
ولـو لـم يُرد جورَ البـزاة على القطا مكــوِّنهـــا ما صاغهـــا بمنـــاسـر

ايمان بفتح الهمزة جمع يمين، ضد يسار.
مناسر: جمع مِنْسر منقار الجوارح.

من تناقضات الشريعة

تنـــاقضٌ ما لنـــا إلا السكــوتُ له وأن نعــوذَ بمــولانـــا من الـــنـــار
يدٌ بخــمسِ مئينٍ عسجــدٍ فُديت ما بالُهـــا قطعت في ربـع دينـار؟

اليد إذا قطعت كانت ديتها خمسمئة دينار ذهب. ومن يسرق ربع دينار تقطع يده.

قال امين عبد العزيز في الدفاع عن المعري: «ان اعتراضه على الفقهاء وليس على الباري لان بعض الفقهاء قال: لا تقطع اليد إلا في الثمين من المال. وأما في الخسيس ففيه التعزير والزجر بالحبس والضرب». ولم أقف على قول هذا الفريق من الفقهاء. والمتفق عليه في مصادر الفقه انها تقطع في المال المحرز اذا بلغ ربع دينار ولا تقطع في الغير محرز مهما بلغت قيمته.

رد على المعري معاصره القاضي عبد الوهاب المالكي. راجع القسم الاول فصل ردود وأهاجي.

إنكار القيامة

خذ الـمـــرآة واستخبـــر نجـــومـــاً تُمِــرّ بمُــطْعم الأري الـمشـــور
تدل على الــحِـمـــام بلا ارتـيـابٍ ولــكـــن لا تدل على الــنـشـــور

الأري المشور: العسل المجنى من الخلايا. الحمام بكسر الحاء، الموت.

قوله. تمر بمطعم الاري المشور يريد به جعل الحلو مراً ولا أدري لاي شيء يرمز.

باطل التوراة

ولا تقبـل من التـوراة حكمـاً فان الـحـق عنـهـا في تواري
أرى اسـفـارهـا ليهـودَ اضحت بواريَ قد حُسـبـن من الـبـوار

بواري: مبرية، يريد انها ممحوة ومستهلكة.

اختلاف الاديان

والعقل يعجب للشروع: تمجسٍ وتـحـنـفٍ وتـهـودٍ وتـنـصـرِ
فاحـذر ولا تَدَع الامور مضاعةً وانـظر بقـلب مفكـرٍ متبـصـر

الشروع: جمع شرع.

تهافت حجج الاديان

ضلت يهـود وإنـمـا توراتـهـا كذب من الـعـلـمـاء والاخـبـار
قد أسـنـدوا عن مثلهم ثم اعتلوا فَنَمـو باسـنـادٍ إلى الـجـبـار
وإذا غلبتَ مـاضـلاً عن دينـه ألـقـى مقـالـده إلى الأخـبـار
أقسـام لفـظك ستة، وجميعها لا مَيْن يلحـقـه سوى الإخـبـار

الجبار: الله. نموا: نسبوا.

ضراع المذاهب

شيَعٌ أجـلَّت يومَ خُمٍ وانـثـنـت أخـرى تعـارضـهـا بيوم الغـار

يوم خم: اشارة إلى حديث غدير خم الذي قال فيه النبي محمد: من كنت مولاه فعلي مولاه.

يوم الغار: اشارة الى اختباء ابو بكر مع النبي في غار ثور عند الهجرة من مكة.

سؤال عن الغاية

نفـارق العيش لـم نظفـر بمعـرفـة أيُّ المعاني بأهل الارض مقصود؟

لم تعـطنـا العلـمَ اخبارٌ يجيء بها نقلٌ ولا كوكبٍ في الارض مرصود

غموض

سرٌ قديمٌ وأمـر غير متـضـحٍ فهـل على كشفنـا للحق إسعـادُ؟

تشكيك في الأخبار الدينية

خبّـرتـنـي امـراً فقـل راشـداً من أين هذا الـخـبـرُ الـشـاردُ؟

سؤال عن الحشر

لا حِسَّ للجسم بعد الروح نعلمهٌ فهل تحسّ إذا بانت عن الجسد؟

وعن القيامة

أمـا الـقـيامـة فالتنـازعُ شائـعٌ فيهـا ومـا لخـبيئهـا إصحـار

الالوهية افتراض

صنــعــةٌ عزّت الانــام بلطفٍ   وعــزتهــا إلى القــدير العــوازي

قوله: عزت الانام بلطف يعني تعذر فهمها على الناس لدقتها. والصنعة تعود للعالم.

الفقهاء

أجــاز الـشــافـعيُّ فِعــالَ شيءٍ   وقــال ابــو حنــيفــةَ لا يجــوز

فضــلّ الـشِيـبُ والـشـبــان منــا   ومــا اهتــدت الفتــاة ولا العجـوز

لقــد نزل الــفــقــيه بدارِ قوم   فكــان لأمــره فيهــم نجــوز

ولـم آمـن على الـفقهــاء حبســاً   إذا ما قيل للامــنــاء جوزوا

نجوز: نفاذ وقبول.

في البيت الاخير اشارة الى المرور على الصراط يوم القيامة وتوقعه أن يمنع الفقهاء منه. ولكن يا ترى من سيدخل الجنة اذا منع منها رجال الدين؟

تكذيب الاسماعيلية

لقــد كذب الـذين طَغَـوا فقــالـوا   أتــى من ربــنــا أمــر برمــز

يشير الى التفسير الباطني للنصوص الدينية.

توقع زوال الاديان

أظلمتَ فاهتجتَ تبغي في جميعهمُ   نبـراسَ ليلٍ ومـا في القوم نبراسُ

تعـلّم الـكـفــرَ أولاهم وآخِــرهم   فكـل ارض بهـا جمـع ومدراس

وعـن قليلٍ يصير الامـر منتقلاً   عنهم وتخفت للأجـراس أجـراس

مدراس: وبالعبرية بالشين، موضع تلاوة التوراة وقراءتها.
أجراس: الاخيرة جمع جرس بسكون الراء أي صوت.

تعاقب الانبياء وتعاقب الضلال

دعـا موسـى فزال وقـام عيسى   وجـاء محـمـد بصـلاةِ خمسِ
وقـيل يجـيء دينٌ غيرُ هذا   وأودى الـنـاس بين غدٍ وأمس
ومن لي ان يعـود الـدين غضـاً   فينقـعَ من تنسـك بعـد خِمس
ومـهـمـا كان في دنـياك أمـرٌ   فمـا تخـليك من قمـر وشـمس
وآخـرهـا بأولـهـا شبـيهٌ   وتـصبـح في عجـائبهـا وتمسى
إذا قلت الـمُـحـال رفعت صوتي   وان قلت الـيقـين أطـلت همـسي

خمس: بكسر الخاء شرب الابل بعد الشربة الخامسة وفُسر البيت لذلك بانه دعوة الى الاتيان بدين جديد بعد الاديان الخمسة السابقة وهي دين نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد.
المحال: الباطل المستحيل.

جاءت الابيات في رواية لابن الشحنة في «روضة المناضر» كما يلي:

أتـى عيسى فبـطّل شرع موسى   وجـاء محـمـد بصـلاة خمس
وقـالـوا لا نبـيٌّ بعـد هذا   فضـلَّ الـقـوم بين غد وأمس
ومهـمـا عشـت في دنياك هذي   فمـا تخـليك من قمـر وشـمس
إذا قلت الـمـحـال رفعت صوتي   وان قلت الـصحيح اطلت همسي

تهافت الاديان وفشلها

والعقل يَعجب، والشرائع كلها ... خبرٌ يقلَّد لم يقسه قائس

متمجسون ومسلمون، ومعشر ... متنصرون، وهائدون رسائس

وبيوتُ نيرانٍ تزار تعبداً ... ومساجد معمورة وكنائس

والصابئون يعظمون كواكباً ... وطباعُ كلٍ في الشرور حبائسُ

أنى ينال أخو الديانة سؤدداً ... ومآرب الرجل الشريف خسائس؟

هائدون: يهود. رسائس: من معاني الرسيس الخبر الذي لا يصح، جعله في مقام الصفة.

إنكار الوحي

قالت معاشرُ لم يبعث الهكُمُ ... إلى البريّة عيساها ولا موسى

وإنما جَعلوا للقوم مأكلةً ... وصيَّروا لجميع الناس ناموسا

ولو قدرت لعاقبت الذين طغوا ... حتى يعود حليفُ الغي مرموسا

مرموس: مقبور.

تكذيب قصة آدم

قال قوم، ولا أدين بما قالوه ... ان ابن آدمٍ كابن عرسٍ

جهل الناس ما ابوه على الدهر ... ولكنه مسمى بحَجْرس

في حديث رواه قوم لقومٍ ... رهن طِرْسٍ مستنسخ بعد طرسِ

الحَرْس: فتح الحاء، الدهر. هذا الشطر من البيت الثاني محكوم بالقافية. طرس: كسر الطاء، الورق.

مثلما ابن عرس ورد على سبيل التسمية وليس له أب اسمه عرس فكذلك ابن آدم.

إلى المسلمين

أرى الأيام تفعلُ كلَّ نُكرٍ فما أنا بالعجائبِ مستزيدُ
أليس قريشُكُم قتلت حسيناً وصارَ على خلافتكم يزيدُ؟

الكذب للجميع

وقد كذب الصحيحُ بلا ارتيابٍ فهل صدق الاصمُّ أو الاشجُّ؟

الاصم: ابو حاتم. والاشج ابو سعيد عبدالله بن سعيد. وكلاهما من الفقهاء.

فقد اليقين

أصبحتُ في يومي أسائلُ عن غدي متخبراً عن حاله متندسا
أما اليقين فلا يقينَ وإنما أقصى اجتهادي ان أظن وأحدسا

يتندس: يستطلع الاخبار. وفي العامية العراقية: فلان يندس على فلان أي يقدم عليه تقارير للسلطة.

وفقد القياس

قد نفضت السهام ابغي المقاييس فلم يُثبت الرميّةَ نفضي

الغاية من الخلق؟

أرى جوهراً حل فيه عَرَض تبارك خالقه ما الغرض؟

اليقين الوحيد

أمــا الـيقـين فأنـنــا سَكَنُ البلى | ولــنــا هنــاك جمــاعــة فُرّاط
ولــكــل دهــرٍ حِلْيةٌ من أهــله | ما فيهــم جَنَــف ولا إفــراط
كم لاحت الاشراط في جنح الدجى | فمـتـى تبين لبـعـثنــا أشــراط؟

فراط: سابقين. جنف: ميلان. أشراط: علامات.

المجهول أبداً

أمــا الالــه فأمــرٌ لست مُدْركَــه | فاحذر لجيلك فوق الارض إسخاطا
والشيب قد خيّط الفَوْدين عن عُرُض | ومــا عدا جِدَّة الايام ما خاطــا

الفودين: جانبي الرأس. عن عرض: بدون مبالاة. جدة الايام: كناية عن الشباب.

تفضيل الاحراق على الدفن

حرّق الهنـدُ من يمـوت فلما زاروه | في رَوْحَــةٍ ولا تـبكــيرِ
واستـراحـوا من ضغـطةِ القبر ميتاً | وســؤالٍ لمــنــكــر ونــكــير

صراع المذاهب

وخــالــفــك الـنــاس في مذهبٍ | فقــلت عليٌّ وقــالــوا عمــر
وأنــى يرجّــون غَمْــر الــهــدى | وقــد غرِقــوا في جمــام الغمــر

جمام الغمر: الخضم الطامي.

تكفير الصادقين

لحـــى الله قومـــاً إذا جئـتَـــهـــم بصـــدق الاحـــاديثِ قالـــوا كفـــر

لحى : لعن وأبعد.

مخالفة العقائد للقياس

أبـيتـم سوى مينٍ وخُلْفٍ وغـلطةٍ فليس لوعـــدٍ في الجميل نُجـوز

وان الـذي تحكـون ليس بجائـزٍ ولـكـن سواه في الـقياس يجـوز

الاديان سواء

ولـــيس يثـبـت للايام من شرفٍ إذا تفـــاخـرت الآحـــادُ والجمـعُ

نبوة العقل

أيهـــا الغـــرُّ إن خُصصتَ بعقـلٍ فاســألَـنْـهُ فكـل عقـلٍ نبــيُّ

إنكار القيامة

زعـمـوا أنـني سأرجـع شرخـاً كيف لي كيف لي وذاك التمـاسي

وأزور الـجِـنـانَ أُحـبـر فيهـا بعـد طولِ الهمـود في الارمـاس

أيُّمـا طارق أصـابـك يا طارقُ حتـى مَسـاك للغـي ماســي

شرخ: شاب. أحبر: أفرح، من الحبور.

اعتراض على قسمة المواريث

حيرانُ أنتِ فأيَّ النـاس تتبـعُ ... تجري الحظوظ وكلُّ جاهلٍ طَبِع

والأم بالسدس عادت وهي أرأف من ... بنت لها النصف أو عِرْسٍ لها الرُبُع

العرس بكسر العين: مرادف قديم للزوجة. طبع بكسر الباء: فاسد، والطبع بفتحتين الفساد والهلاك، من جذر سامي قديم مشترك بين هذا المعنى ومعنى الختم والطبيعة.

تذمر من الصراع الديني

المينُ أهلكَ فوق الارض ساكنَها ... فما تَصادقُ في ابنائها الشِيعُ

لولا عداوةُ أصلٍ في طباعهمُ ... كانت مساجدُ مقروناً بها البِيعُ

تصادق: تتصادق، حذف احدى التاءين للوزن. الشيع: الفرق والطوائف. المين: الكذب. البيع جمع بيعة بالكسر: الكنائس.

رجال الدين

لقد جاء قوم يدّعون فضيلةً ... وكلهُمُ يبغي لِمهجتِه نفعا

وما انخفضوا كي يرفعوكم وإنما ... رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا

وما ثبّتوا من شاهدٍ يُهتدى به ... فان لزموا دعواهمُ فالزموا الدفعا

الدفع: هنا بمعنى الانكار.

أكاذيب الاديان

واعرض أحاديثَ من قومٍ أتوك بها ... على قياسكِ تخلفْ أنهم وَلَعَة

ولعة: جمع ولوع وهو الكاذب (في الاصل: المولع بالكذب).

نقد الضرائرية

تزوجَ بعد واحدةٍ ثلاثاً وقال لعرسه يكفيكِ رُبعي
فيرضيها إذا قنعت بقوتٍ ويرجمها إذا مالت لِتبْع
ومن جمع اثنتين فما توخى سبيل الحق في خمس وربع

عرسه: زوجته. استعمال قديم. تبع: تابع. يريد الرجل الآخر.

حملة على الشيعة

مالي رأيتك لا تُلمّ بمسجد حتى كأنك في البلاغ السابع
سبح بواحدةٍ ففيها بُلْغة للمتقين وكُلْ بخمس أصابع
يا أولاً في الكفر لم يك ثانياً طال استتارك بالامام الرابع
والشمر عندك في الحسين موفّقٌ لما حماه من الفرات النابع

البلاغ السابع: آخر مرتبة يصلها الاسماعيلي وفيها يعلن نسخ الشريعة والغاء العبادات.
بلغة: أكلة يسيرة.
الامام الرابع: علي بن ابي طالب.
حماه: منعه لعله يقصد غلاة الاسماعيلية والنصيرية القائلين: بالوهية علي واولاده وتفسير قتلهم تبعاً لذلك على انه الخطوة الاخيرة في تألههم بانفصال اللاهوت عن الناسوت فيهم. وهم لذلك يقدسون قاتل علي.

فساد الاديان

توافقتِ اليهود مع النصارى على قتل المسيح بلا خلاف
وما اصطلحوا على ترك الدنايا بل اصطلحوا على شرب السُلاف

تلافينــاهُــمْ بالــقــول فيهــم فجــاءهــمُ الـتــلافـي بالـتــلاف

ترفــق ان دينـــي ليس نبــعـــاً ولـكــن بالخــلاف من الخــلاف

وقــد دمـنــا على سوء السجــايا كمــا دامــت قريش على الإلاف

السلاف: الخمر. الخلاف: شجر الصفصاف. والنبع: الشجر الصلب.
يقول أن دينه لين هش يشبه الصفصاف، المعروف بليونته، ولا يشبه النبع المتخشب.
ويتحمل هذا القول معنيين: ان يقصد بساطة دينه الشخصي وسماحته. أو هشاشة دينه كمسلم وكونه ليس أفضل من اليهودية والمسيحية. ويقوّي البيت الاخير هذا المعنى.

الأديان والحروب

تَهيجُ صغــائــرُ الاشـياء خطبــاً جليلاً ما سنــاه بمُـسْـتَـشَـفٌ

وان الـقــتــل في أُحُــد وبــدر جنـى الـقـتـلين في نهــرٍ وطـف

نهر: النهروان من انهار العراق الغابرة التي اندثرت وكانت قد جرت بقربه المعركة بين علي بن ابي طالب والمنشقين عليه من الخوارج.
الطف: كربلاء.

تفضيل النصارى واليهود على المسلمين

الـطَيْلَســانُ اشـتُــقَّ في لفــظه من طُلســة المبتكِــر الجــامــعِ

وزِيد ما زِيد لتــوكـيده فالــشــرّ في بارقــه الــلامــع

أمــا استـحى العــدلُ واخبــاره سيئــة في أُذُن الــســامــع؟

ما جار شمّــاسك في حكمــه ولا يهــوديّك بالــطامــع

فالــقَسّ خيرٌ لك فيما أرى من مسلم يخــطب في الجــامــع

الطيلسان: الجبة التي يلبسها رجال الدين. الطلسة بالضم: الذئبية، اشتقاق من الاطلس، من اسماء الذئب. والمبتكر: الذي يخرج مبكراً لالتماس الفرائس والارزاق.
العدل هنا اشارة الى المسلم الذي يتولى مركز أو وظيفة دينية أو قضائية.

ضد التوكل

تروم رزقاً بان سَمَّوْكَ متكلاً   وأَدْيَنُ الناس من يسعى ويحترف

المعري أفضل من موسى

ولست كموسى أهاب الحِمام   ولكن أود لقاء المَلَك

تقول الاسمار الدينية ان موسى نازع ملك الموت لما جاء لقبض روحه فراراً من الموت.

إنكار القيامة

إذا كان ما قال الحكيم فما خلا   زمانيَ مني منذ كانَ ولا يخلو
أُفرِّق طوراً ثم أُجمع تارةً   ومثليَ في حالاته السِدْرُ والنخل

يريد بالبيت الاخير ان الموجودات الجزئية نتاج سيرورة ابدية من الكون والفساد مما يعني بدوره خلود المادة مع تغير أشكالها الوجودية.

فرق وفقهاء

ومعتزليٍّ لم أوافقه ساعة   أقول له في اللفظ دينك اجزلُ
أريد به من جُزلة الظهر، لم أُرِد   من الجزل في الاقوال تُلْوى وتُجزل
جهلتُ: أقاضي الري أكثر مأثماً   بما نَصَّه أم شاعر يتغزل؟

وأعلم ان ابن المعلم هازل بأصحابه، والباقِلانيُّ أهزل

وكم من فقيه خابطٍ في ضلالة وحجتُه فيها الكتاب المنزَّل

وقارئكم يرجو بتطريبه الغنى فآض كما غنى ليكسب زُلزُل

فما لعذابٍ فوقكم لا يعمكم وما بال ارض تحتكم لا تُزلْزَل؟

جزلة الظهر بضم الجيم: قرحة تصيب ظهور الدواب. قاضي الريِ: عبد الجبار كبير المعتزلة في زمان ابو العلاء. ابن المعلم: من متكلمي المعتزلة. الباقلاني (ابو بكر) متكلم اشعري. أصله بتشديد اللام نسبة الى الباقلاء وخففه للوزن. زلزل بضم الزاءين: مغني مشهور في القرن الثالث. آض: عاد.

أباطيل الاديان

دين وكفر وانباء تُقص وفرقان يُنصُّ وتوراة وأنجيل

في كل جيلٍ أباطيلٌ يدان بها فهل تفرد يوماً بالهدى جيل؟

وأهل الاديان

مجوسية وحنيفية ونصرانة ويهوديّه

نفوس تخالَفُ أديانها وليست من الموت مفديّه

تُراقب مهدَيها ان يقوم فتلغى إلى الحق مهديّه

تخالف: اصلها تتخالف، حذف احدى التاءين للوزن.

تناقض النص الديني

اخبرتني بأحاديثٍ مناقضة فرابني منك قولٌ غيرُ متفِقِ

إنكار القيامة

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة — وحقٌ لسكــان البسيطة ان يبكــوا
يحــطمنــا ريب الــزمــان كأننـا — زجــاج ولكن لا يعــادُ له سبــك

العقل أولاً

وينفــر عقلي مُغْضَبــاً إن تركتــه — سدىً واتبعت الشــافعيَّ ومــالكـا

زواج الضرائر

متــى تُشــرك مع امــرأةٍ سواهــا — فقــد اخــطأتَ في الــرأي التـريك
فلو يُرجــى مع الــشــركــاء خيرٌ — لمــا كان الالــه بلا شريك

تكذيب التناسخ

يقــولــون ان الجسمُ ينقــلُ روحــه — إلــى غيره حتى يهــذِّبهــا النقــل
فلا تقبــلن ما يخبــرونــك ضلةً — إذا لم يؤيد ما أتــوك به العقــل

ضلة: ضلال.

قال الــنُــصيريُّ ومــا قلتــه — فاسمــع وشجــع في الوغى ناكلك
قد كنــتَ في دهــرك تفــاحــة — وكــان تفــاحــك ذا آكــلك

إنكار الخالق

قلتــم لنــا خالــقٌ حكــيمٌ — قلنــا صدقــتــم كذا نقــول

زعمتموه بلا مكانٍ ولا زمانٍ ألا فقولوا

هذا كلامٌ له خبيء معناه ليست لنا عقول

تعذر الدليل

سمعتك مُخْبراً فنظرتُ فيما تقول فكان أمراً يستحيل

متى أسألْك في يومي دليلاً أجدْك به على غده تُحيل

مسئولية الله عن سفك الدماء

إن كان من فعل الكبائر مُجْبَراً فعقابه ظلم على ما يفعل

والله اذ خلق المعادنَ عالمٌ ان الحِداد البيض منها تُجعل

سفك الدماء بها رجال أعصموا بالخيل تُلجم بالحديد وتُنعَل

الكبائر: الجرائم الكبيرة.

الحداد البيض: السيوف. اعصموا: اعتصموا.

العقل والامام

من اهتدى بسوى المعقول أُوردَه من بات يَهديه ماءً طالما تَبَلا

خيرٌ لعمري وأهدى من إمامهمُ عكاز أعمى هدته، إذ غدا، السُبُلا

تبله: اثقله وامرضه. ومنه المتبول بالحب، والتوابل لثقلها وحدتها والتبل، كعوض، للثقيل في لهجة بغداد.

أكاذيب الكتب المقدسة وحيل أصحابها

يتلون أسفــارهم والحق يُخبـرني — بأن آخـرهـا مَيْنٌ وأولَـهـا
صَدَقْتَ يا عقـل فليَبْعُـد أخو سفهٍ — صاغ الأحـاديث إفكـاً أو تأولها
وليس حَبـرٌ ببـدْعٍ في صحـابتـه — ان سام نفـعـاً بأخبـارٍ تقّـوّلَهـا
وإنــمـا رامَ نســوانــاً تزوجـهـا — بمـا افـتـراه وأمـوالاً تمـوّلهـا
طال العناءُ بكون الشخص في أُمَمٍ — تَعـدّ فِرْية غاويهـا معـوَّلـهـا
وصاحبُ الشرع كان القدسُ قِبلتَه — صلى اليهـا زمـانـاً ثم حولهـا
لا يخـدعـنَّـكَ داعٍ قام في ملأٍ — بخُـطبـةٍ زان معنـاهـا وطـوّلها
فما العظاتُ وان راعتْ سوى حيلٍ — من ذي مقـال على ناس تحوّلها (تحيلها)

مين: كذب. بدع (كسر الباء) غريب، غير مألوف. يريد ان اكاذيب الاحبار متوقعة وليست جديدة على الناس. الفِرْية: الكذبة. صاحب الشرع يريد به محمد.

شماتة بآدم!

دعْ آدمـاً لا شفــاه الله من هَبَـلٍ — يبكي على نجله المقتـول هابيلا
ففي عقـاب الـذي أبـداه من خطأ — ظَلْنــا نمـارس من سُقمٍ عقـابيلا
دهــر يكــرُّ ويوم ما نمــرُّ به — إلاّ يزيد به الـمـعـقـول تخـبـيلا

ظلنا: ظللنا.

إما الدين وإما العقل

هَفَتِ الحنيفةُ والنصارى ما اهتدت — ويهـودُ حارث والمجـوس مضلَّله

اثنـانِ أهلُ الارض: ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخــرُ ديِّنٌ لا عقــل له

إنكار القيامة

لو قام أمـواتُ العـواصمِ وحـدَها ملأوا البـلادَ حُزونَهـا وسهـولَهـا
فخـذ الـذي قال اللبيبُ وعش به ودع الغـواة كَذوبهـا وجَهـولهـا

الحُزون: الاماكن الوعرة.
العواصم: معاقل اقامها الامويين ثم العباسيين ما بين حلب وانطاكية.

طعن في اخبار دينية

حديثٌ جاء عن هابيلَ في الـدهـر وقـابيـلا
وطـيرٌ عكـفـتْ يومـاً على الـجيش أبـابيـلا
لبـسـنـا من مدى الايام للغـني سرابيـلا

لا يكـذب النـاسُ على ربهـم ما حُرِّكَ العـرش ولا زُلـزلا
فليت من يفـري أحـاديثـه مات فصـيلاً قبـل ان يبـزُلا

في اللزومية الاخيرة يكذب رواية في مصادر السيرة تقول ان العرش اهتز لموت سعد بن معاذ زعيم الاوس في معركة الخندق. يفري: يفتري. يبزل: يصير بازل وهو البعير البالغ.

لا تستمع لاهل الكلام

استغفـر الله واتـرك ما حكى لهمُ أبـو الهـذيل ومـا قال ابن كُلاّب
فالـدين قد خس حتى صار أشرفه بازاً لبـازين أو كلبـاً لكَـلاّب

أبو الهذيل: من متكلمي المعتزلة. ابن كلاب بضم الكاف: من مؤسسي مذهب أهل

السنة .

ضلال الاديان وعمى الناس

قد ترامتْ إلى الفسادِ البرايا واستوت في الضلالةِ الاديانُ
أنا أعمى فكيف أهْدي إلى المنهجِ والناسُ كلُّهم عميان؟

البرايا : المخلوقات .

تقادم الزمن والمخلوقات وعدم تناهيهما

خالقٌ لا يُشكُّ فيه قديمٌ وزمانٌ على الانام تقادمْ
جائزٌ أن يكون آدمُ هذا قبله آدمٌ على إثْر آدم

الحج؟

أينكر التقليدَ مُستبصرٌ قبَّل ركنَ البيت ثم استلم؟

خالق الفساد

جِبِلَّةٌ بالفساد واشجةٌ ان لامها المرء لام جابلها

جبلة : الخلقة . واشجة . مشتبكة متداخلة . جابلها: خالقها .

دعوة لتجديد الفكر

لقد صَدِئتْ أفهامُ قومٍ فهل لها صِقالٌ؟ ويحتاج الحسامُ إلى الصقل

وكم غرَّت الــدنيا بنيهـا وسـاءني . مع الناس مَيْنٌ في الاحاديثِ والنقل
سأتبعُ من يدعو إلى الخير جاهداً وأرحلُ عنها ما إمامي سوى عقلي

اضمحلال الدين

أَخِلْتَ عمودَ الدين في الارض ثابتاً وفي كلِ يوم يضمحل على مَهْلِ ؟

ما الحكمة؟

وكم شاهـدتُ من عَجَبٍ وخَـطْب ومَــرُّ الــدهــر بالانـســان يُسلي
تغــيُّرُ دولــةٍ وظــهــورُ أخــرى ونــســخُ شرائــعٍ وقـيامُ رســلِ

تكذيب عقيدة الدروز

أَلَــمْ ترنــي وجــمــيع الانــام في دولــة الــكَـذِب الــذائــل
مضـى قَيْل مصـر إلـى ربـه وخــلّى الــسياسـةَ للخـائــل
وقــالــوا يعــود فقــلنــا يجــوز بقـدرة خالــقــنـا الآئــل
إذا هبَّ زيدٌ إلـى طيٍّء وقـام كليبٌ إلـى وائــل

الذائل: تلميح بالذئبية لان الذائل من صفات الذئب.
قيل: بفتح القاف، والجمع أقيال، امراء المقاطعات في اليمن القديمة.
الخائل: المختال. الآئل: من مرادفات الخالق. اشتقاق من إيل، الجذر السامي للاله.
زيد: يريد به زيد الخيل، الفارس المعروف. وكان من طي.
كليب: القتيل الذي اشعل قتله حرب البسروس بين تغلب وبكر.

تتحـدث اللزومية عن وفاة الحاكم بأمر الله الفاطمي واعتقاد الدروز بانه سيعود. والحاكم توفي عام ٤١١ أي حين كان المعري في اواخر اربعيناته.

اعتراض على ترتيب المجموعة الشمسية!

جهل المشتري وان كان في الخير ذا محلْ
أيُّ ذنب أصابه فسما فوقه زحل؟

التنبؤ بفناء مكة

سيسأل ناسٌ ما قريشٌ ومكةٌ كما قال ناسٌ ما جديسٌ وما طَسْمُ

الكذب على الانبياء

تفوَّهَ دهرُكُمْ عجباً فاصغُوا إلى ما ظل يُخْبر يا شهودُ
إذا افتكر الذين لهم عقولٌ رأوا نبأً يحقُّ له السهود
غدا أهل الشرائع في اختلاف تُقَضُّ به المضاجعُ والمهود
فقد كذبتْ على عيسى النصارى كما كذبتْ على موسى اليهود
ولم تستحدث الايام خُلقاً ولا حالت من الزمن العهود

يريد بالبيت الاخير ان المسلمين كذبوا ايضاً على محمد.

لماذا لا يتألم الله لعذاب البشر؟

لو انيَ كلبٌ لاعترتني حميةٌ لجروي ان يلقى كما لَقِي الانس

لو أني: تُقرأ بادغام الهمزة بالنون لكي يستقيم الوزن.

قلت: روى ابن عساكر في تاريخ دمشق ـ ترجمة الحسين بن علي ـ في المجلد الرابع من تهذيب عبد القادر بدران ص ٣٤٥:

انهم ـ الناس ـ سمعوا صوتاً في الليل ولا يرون شخصاً وهو يقول بعد مقتل الحسين:

عقــرت ثمــودٌ ناقــةً فاســتؤصلوا وجــرت سوانُـحهم بغير الأسْعُــدِ
فبنــو رســول الله اعــظمُ حرمــةً واجــلُّ من أم الفصيل المُقْصَــد

المقصد بضم الميم: المصاب برمية من سهم ونحوه.

قوله: «سمعوا صوتاً ولا يرون شخصاً» يعني انه من قول الجن. وهذا هو الهاتف عندهم: صوت يسمع ولا يرى صاحبه. ولا شك ان احداً نظم هذا الشعر وروج له هذه الحكاية. والبيتين ليسا من نظم شاعر بدليل حبكتهما المتخلخلة. وينبغي ان يكونا من نظم مسلم واعٍ اثقلته المفارقة بين الخبر الديني والحقيقة المشهودة.

تسخيف دعاء الاستسقاء

. . فقـولكُمُ رب اسقنا غيرُ ممطر ولكن بهـذا دانت العُـرب والعُجم
على كل شيء تهجمون بجهلكم وأعـياكُم يومــاً على رَشَــد هَجْم

التحريق بدلاً من الدفن

إذا حرّق الهنــديُّ بالنــار نفســه فلم يبق نَحْضٌ للتــراب ولا عظم
فهــل هو خاشٍ من نكير ومنكــر وضغــطة قبـر لا يقـوم لهـا نظم؟

النحض: اللحم.

؟

تبــاركتَ: انهــار البـلاد سوائـحُ بعـذبٍ، وخصت بالملوحة زمزم

توارث الجهل

أفــاد غويٌّ غَيَّه عن شيوخــه فهم درجــاتٌ في الضـلال وسُلَّمُ

وأهـــلكـــه جهـــلان: بادٍ مركـبٌ قديمـــاً، وتـــالٍ بعـــده يُتـــعـــلم

أزلية العالم

ومـولـد هذي الشمس أعياكَ حدُّه وخـبّـر لُبٌّ انـــه متـقـــادم

التنجيم

لو كان لي أمـــر يُطاوِع لم يَشِـــنْ ظهـــرَ الـــطريق يدَ الـحياة منجّمُ
أعـــمـــى بخـيلٌ أو بصـيرٌ فاجـــر نَوْء الـــضـــلال به مُرِبٌّ مُثـــجـــم
يغـــدو بزخـــرفـــه يحـاول مكسبـاً فيدير اسـطر لابـبـه ويرجِّـــمُ
وقـــفت به الـــورهـــاءُ وهي كأنهـــا عنـــد الـوقـوف على عرينٍ تهجم
سألـــتـــه عن زوجٍ لهـــا متـــغـيِّرٍ فاهتـــاج يكتب بالـــرِقـــان ويُعجم
ويقول ما اسمك واسمُ امك انني بالـــظن عمـا في الغيوبِ متـرجم
يولـــي بان الـــجـــن تطرقُ بيتَـــه ولـــه يدين فصـيحُـهـــا والاعـجم
والمـرء يكـدح في البـلاد وعِرسُه في المصـر تأكل من طعامٍ يُوجَم
افمـــا يكُـــر على معيشتـــه الفتى إلا بمـــا نبـــذت إليه الانـــجـم؟
آهٍ لاسـِـرار الـــفـــؤاد غوالـيـاً في الصـــدر أستُردونهـا وأجمجمُ

يد الحياة: طول الحياة. مطر مثجم: غزير دائم (مسجم). يرجم: يرجم بالغيب. الورهاء: المرأة الجاهلة الحمقاء. الرقان: الزعفران. يعجم: ينقّط. طعام يُوجَم: يكره. اجمجم: لا استطيع الكلام.

تكذيب حكاية الخلق

وما آدمٌ في مذهب العقلِ واحدٌ ولـكـنَّـه عنـد القياسِ أوادمُ

من المسئول؟

وجـدتُ الفتى يرمي سواه بدائـه ويشكـو إليكَ الـظلم وهـو ظَلومُ

فان كان شيطان له يستـفـزه فأيُّهـما عنـد القياس تلوم؟

تجـرّأ ولا تجعـل لحتفـك علةً باكـثـار طُعـمٍ ان ذلـك لُوم

لوم: لؤم. في هذا البيت دعوة للمجاهرة بالرأي المخالف ولو أدى إلى القتل فهو أحسن من ان يموت المرء بسبب أكلة ثقيلة.

تبرير عبادة النجوم

الشهبُ عظّمهـا المليكُ ونصّهـا للعـالـمين فواجـبٌ إعـظامُهـا

حسب المأثور الاسلامي كان الصابئة من عبدة الكواكب. واللزومية تبرر لهم ذلك.

ضد الطائفية

ضَمنتُ فؤادي للمعـاشـر كلهم وأمسكتُ لمـا عظّموا الغار أوخُمّا

الغار، غارثور الذي اختبأ فيه ابو بكر صحبة النبي في طريقهما الى يثرب عند الهجرة. خم بضم الخاء هو الغدير الذي توقف عنده النبي لينطق بولاية علي في الحديث المشهور. قصة الغار يستدل بها السنة على افضلية ابو بكر وحديث الغدير يستدل به الشيعة على افضلية علي..

مسئولية الله عن الظلم . .

رأيت سجـايا النـاس فيهـا تَظالمٌ ولا ريب في عدل الـذي خلق الـظلما؟

تكذيب خبر في القرآن

ولـسـت أقـول ان الشهب يومـاً لبـعـثِ محمـدٍ جُعلتْ رجـومـا

الخبر ورد في سورة الجن الآيتين ٨ و ٩ .

صراع الاديان

وقـال انـاسٌ ليس عيسى مقـربـاً فقـيلَ ولا موسـاكُـمُ بكـليمِ

يشير الى حكاية تكلم موسى مع الله وتسمية موسى بسببها بالكليم أو كليم الله .

من المسئول

ومـا ذنبُ الضـراغمِ حين صيغت وصُـيِّر قُوتُـهـا ممـا تُدَمِّـي

فقـد جُبلت على فَرْسٍ وضَـرسٍ كمـا جُبـل الـوقـود على التنمّي

ضياءٌ لم يَبِـنْ لعـيونٍ كُمْـهٍ وقـولٌ ضاع في آذان صُمٍّ

تنصلهُ من الاعياد الدينية

لعـمـرك ما أُسَـرُّ بيوم فطرٍ ولا أضـحـى ولا بغـدير خُمِّ

ضد العقوبات الشرعية

لا تُحْدثِ القطع في كف ولا قدمِ ولا تَعرّض مدى الدنيا لسفكِ دمِ

ولا تعرض: ولا تتعرض.

حقائق لا يباح بها

سألتِ عن الحقائق وهي سرّ ويخشاكِ المخبِّر أن تَنُمي
وعندي لو أمِنتُك علمُ أمرٍ من الجهال غيَّبه مُكَمٍّ
رأيتُ الحق لؤلؤةً توارتْ بلجٍّ من ضلال الناس جمْ

مكم: مكموم أي مستور، وهو في البيت صفة للامر في قوله: علم أمر.

الدين والجهل

ما للانام وجدتُهم من جهلهم بالدين أشباهَ النَعام أو النَعَم
فمجادلٌ وصلِ الجدال وقد درى أن الحقيقةَ فيه ليس كما زعم
عَلم الفتى النظّارُ أن بصائراً عَمِيتْ فكم يخفى اليقين وكم يُعَم
لو قال سِيد غضا بُعثت بملةٍ من عند ربي قال بعضهمُ: نعم!

النَعَم: الانعام، وهي الحيوانات النافعة للانسان. السيد: الذئب. غضا: شجر صحراوي تختبىء فيه الذئاب. ويتخذه البدو للوقود. يعم: يُعمى تعمية، حذفت الالف للقافية.

تساؤل عن مصير الروح

عملٌ كلا عملٍ ووقتٌ فائتٌ ويد إذا مَلَكتْ رمت ما تملك
وشخوصُ اقوامٍ تلوح، فأُمة قَدِمت مجدَّدةً وأخرى تهلك
أما الجسوم فللتراب مآلها وعَييتُ بالارواح أنى تسلك

انعدام اليقين

عمى العينِ يتلوه عمى الدين والهدى   فليلتيَ القصوى ثلاثُ ليالي

ما الحكمة؟

والحكم من عالِمٍ عالٍ تنزُّلُه   فما لسكان هذي الارض كالهَمَل؟
عاشوا بها واستجاشوا ثم ما حصلوا   إلا على الموت في التفصيل والجمل

عميان

وبصير الاقوام مثليَ أعمى   فهلموا في حندس نتصادم

حندس: ظلمة شديدة.

مصير الروح؟

دفنّاهُمُ في الارضِ دفن تيقنٍ   ولا علمَ بالارواح غيرُ ظُنونِ

اللايقين

وقيدِ عُدم التيقنُ في زمانٍ   حصلنا من حجاه على التظني
فقلنا للهِزبر: أأنت ليث!   فشك وقال: عني أو كأني

حجاه: عقله: الهزبر بكسر الهاء وفتح الزاي: الاسد. عني: لعلني. التظني: الظن.

أباطيل الاديان

عجبـاً للمسيح بين أُنـاسٍ   وإلـى الله والـدٍ نسبـوه
اسلمتـه إلى اليهـود النصـارى   وأقرّوا بأنـهـم صلبـوه
يُشـفـق الـحـازمُ الـلبيبُ على الـطفـل إذا ما لِداتـه ضربـوه
وإذا كان ما يقـولـون في عيسـى صحيحـاً فأين كان أبـوه؟
كيف خلّى ولـيده للاعـادي   أم يظنـون أنـهـم غلبـوه؟
وإذا ما سألـتَ أصحـابَ دينٍ   غيّروا بالـقـياس ما رتّبـوه
لا يَدينـون بالـعـقـول ولـكن   بأبـاطـيل زخـرف كذّبـوه

لداته: اقرانه ومن هم في عمره.

الطعن بحكمة الطبيعة وخالقها

يا أمـةً ما لهـا عقـولٌ   وفـقـد ألـبـابـهـا دهـاهـا
تسـلّتِ الـنـفسُ كلَّ شيءٍ   إلا نُهـاهـا ومـا نَهـاهـا
فحـدِّثـونـي بغـيرِ مينٍ   عن الـثـريا وعـن سُهـاهـا
أتـعـلم الارض وهـي أمٌّ   خف زمـان فمـا ازدهـاهـا
بأي جرمٍ وأي حكـمٍ   سُلِّط ليث على مهـاهـا
وعـذِّرت حاجـةٌ بعـسـرٍ   على عليلٍ قد اشـتـهـاهـا
وظـالـمٌ عنده كنـوزٌ   من أم دفـر ومـن لُهـاهـا
كان إذا ما دجـا ظلام   صاح بأجـمـالـه ومـاهـا

ازدهاها: استخفها. أم دفر: كناية عن الدنيا. لهاها بضم اللام: عطاياها. هاها: نداء على الابل.

الضياع الشامل

وهـيهـاتَ الـبـريَّةُ في ضلالٍ ... وقـد فطن اللبيبُ لمـا اعتـراهـا

إذا رجـع الـحصيفُ إلى حِجـاه ... تهـاون بالـمـذاهـب وازدراهـا

فخـذ منـهـا بمـا أداه لبٌّ ... ولا يغمسْـكَ جهـل في صراهـا

وَهَـتْ أديانُـهـم من كل وجـهٍ ... فهـل عقـل يُشَـد به عراهـا

تقـدمَ صاحـبُ التـوراة موسـى ... وأوقـعَ في الخسـار من اقترهـا

وقـال رجـالـه وحـيٌ أتـاه ... وقـال الـظالمـون بل افتـراهـا

أعـبـريٌّ تهـوّكَ في حديثٍ ... فبـاع المشكـلات كمـا اشتـراهـا

وغـايات بُسـطن إلـى أمـورٍ ... جراهـا الآخـرون كمـا جراهـا

أرى أمَّ الـقـرى خُصَّتْ بهجـر ... وسـارت نسـل مكـة عن قُراهـا

يوافـون الـبـنـيَّة كل عامٍ ... ليُلقـوا المخـزياتِ على قَراهـا

ومـا سَيْري إلـى أحجـار بيتٍ ... كؤوسُ الخمر تُشـرب في ذَراهـا

ولـم تزل الابـاطـح منـذ كانت ... يُدنَّس من فواجـرهـا بَراهـا

صراهـا: خليط الحليب والماء. تهوك: تحير. قراها بفتح القاف: ظهرها. البرى بفتح الباء: التراب. البنية: الكعبة.

صراع المذاهب

وأشـوى الـحقَ رامٍ مشـرقـيُ ... ولـم يُرزَقْـه آخـرُ مغـربـيُّ

فذا عمر يقول وذا عليٌّ ، كلا الرجلين في الدعوى غبيّ

اشوى: اخطأ في التهديف.

مسألة حظ..

وتُقسَمُ حُظوةٌ، حتى صخورٌ ، يُزَرنَ فيُستلمن ويُلتمسنه

كذات القُدسِ أو رُكني قريشٍ ، وأسرتهنَّ أحجار لُطسنه

يحجّ مقامَ ابراهيم وفدٌ ، وكم أمثال موقفه وُطسنه

ذات القدس: قبة الصخرة.

اللطس: الضرب الشديد. الوطس: الضرب الخفيف. والمقصود ليس درجة الضرب وإنما كونها مجرد احجار يدوسها الناس لكن الحظ جعلها مقدسة.

الكعبة ليس لها حِس

هل تزدهي كعبةُ الحجاج إذ فقدت ، حِساً بكثرةِ زوارٍ وسُدّانِ؟

سدان: سدنة وهم المتولون ادارة المعابد والمؤسسات الدينية.

إنكار القيامة/ دليل حسي

لو هبَّ سكانُ التراب من الكرى ، أعيا المحلُّ على المقيمِ الساكنِ

لغدوا وقد ملأ البسيطةَ بعضُهم ، ورأيتَ أكثرهم بغيرِ أماكنِ

المسلمون

وإن جاءك الـمـوتُ فافـرح به ... لتــخــلَصَ من عالــمٍ قد لُعــن
هُمُ ضربــوا حيدراً ساجــداً ... وحــســبــك من عمـرٍ إذ طُعـن

التدين بالتلقين والتقليد

ويَنــشــأ ناشــيُء الـفـتـيان منــا ... على ما كان عوّده أبــوه
ومــا دان الـفـتـى بحـجـاً ولكن ... يعــلمــه الــتــدينَ أقــربــوه
وطـفـل الـفـارسـي له ولاةٌ ... با فعــال الــتــمـجس درّبــوه

حجا: عقل.

تلفيق الاديان

وجــاءتــنــا شرائـعُ كلِ قومٍ ... على آثــارِ شيء رتّــبــوه
وغــيَّر بعــضُـهــم أقــوالَ بعضٍ ... وأبــطلتِ الــنُـهى ما أوجبــوه
وبــدَّل ظاهــرَ الاســلام رهطٌ ... ارادوا الــطعــن فيه وشــذبــوه
إذا أصــحــابُ دينٍ أحــكـمـــوه ... اذالــوا ما سواه وعيَّبوه
وقــد شهــد النصــارى ان عيسى ... توخّــتــه الــيهــود ليصــلبــوه
ومــا أبــهَــوا وقــد جعلوه ربــا ... لئــلا ينــقــصــوه ويُجــدبــوه
تمــج قلوبــهــم ما أودعــتــه ... لســوءٍ في الــغــرائــز أُشربــوه
ونُــبّــيء في بني يعقــوب موسى ... بشــرعٍ ما تخــلّص متــعَــبــوه
وقــد نضــت النــواظَــر كلَّ عامٍ ... وأتــرابُ الــســعــادة مُتْــرَبــوه

على حجر لهم تهوي جبال ولم يستعف ذنباً مذنبوه

النهى: العقل. اذالوه: انتقصوه.
الضمير في البيتين الاخيرين راجع الى المسلمين. والحجر هو الحجر الاسود.

إنكار الحشر

لو كان جسمكَ متروكاً بهيئتهِ بعد التلافِ طمعنا في تلافيه
كالدنّ عُطّل من راحٍ تكون به ولم يُحطَّمْ فعادت مرةً فيه
لكنه صار اجزاءً مقسمةً ثم استمر هباءً في سوافيه

الدن بفتح النون: خابية الخمر. الراح: الخمر. السوافي: الرياح التي تحمل معها الغبار.

صراع المذاهب

تدينَ مغربيٌّ بانتحالٍ وعارضَ بالتنحل مشرقيُّ
فصمتاً ان أردتم أو مقالاً فما في هذه الدنيا تقي
نقاءُ لباسِنا فينا كثيرٌ وليس لاهلها عِرضٌ نقيُّ

يريد بالمغربي الفاطميين.

الشرائع تضمحل

وجدت الشرع تُخلقه الليالي كما خَلُق الرداء الشرعبيُّ
هي العادات يجري الشيخ منها على شيم يعوّدُها الصبي

الشرعبي: ضرب من الثياب.

الافتقار الى البرهان

جَمْـجَـمَ هذا الـزمـانُ قولاً وكـلنـا يرتـجـي بيانَـه
وحـدثـتـنـا الـشيوخُ أمـراً ومـا ادّعـى مُخـبـرٌ عيانـه

المتصوفة

صوفـيّةٌ شهـدت للعقـل نسبتُهم بأنهم ضأنُ صوفٍ نُطحهـا يَقِصُ
تواجَـدَ القـومُ من نسلٍ بزعمهمُ والله يشهـد ما زادوا كما نقصـوا

الوقص: كسر الرقبة.

صوفيّةٌ ما رضوا للصـوف نسبتهم حتى ادّعـوا أنهم من طاعة صُوفوا
تبـارك الله! دهـرٌ حَشْـوُه كذب فالمـرء منـا بغير الحق موصوف

نحـن قطنيةٌ، وصـوفـيةٌ أنـتـمْ فقُـطني من الـتجـمـل قُطني
تقـطعـون البـلادَ بطنـاً وظهـراً إنـمـا سعيكـم لفـرج وبـطن

رويدَكِ يا سحـابـةُ لا تجـودي على السَّبَخـات من جهلٍ هَمَيتِ
طلبـتِ ديانـةً بين الـبـرايا لقـد اشـوت سهامك إذ رَميت
تزيّوا بالـتـصـوف عن خِداعٍ فهـل زُرت الـرجـال أو اعتميت
وقـامـوا في تواجـدهـم فداروا كأنـهـمُ ثُمـالٌ من كُمَـيْتِ
ومـا رقـصـوا حذاراً من الـهٍ ولا يـغـون إلا ما حَمَـيْت

وجـدتُ النـاس ميتاً مثلَ حيٍ بحسنِ الـذكـر أو حياً كميت

همى أمطر. أشوى: اخطأ الهدف. اعتمى: اختار وانتقى. كميت: من اسماء الخمر.
قوله: «وما يبغون إلا ما حميت». يريد به ان غايتهم الحصول على الخيرات التي تدرها السحب.

الى الشيعة

ألا تتـقـون الله رهطَ مسـلّمٍ فقـد جرتُمُ في طاعـةِ الشَهَـواتِ
ولا تتبعـوا الشيطانَ في خُطُواتـه فكـم فيكمُ من تابـعِ الخـطواتِ
عَمِـدتُم لرأي المثنـويةِ بعـدما جرت لذةُ التـوحيد في اللَهَـوات
ومن دون ما أبـديتم خُضب القنـا ومـارَ نجيعُ الخيل في الهَبَـوات
فما استحسنت هذي البهائمُ فعلكمْ من الغي في الأمـات والحَمَـواتِ
وأيسـرُ مـا حلّلتُـم نحـرُ ذارعٍ يعـمـكُـمُ بالسـكـر والنشـوات
جعلتـم علياً جُنّـةً وهـو لم يزل يعـاقبُ من خمـر على حَسَـوات
سألنـا مجـوسـاً عن حقيقـة دِينهـا فقـالت نعم لا ننكـح الاخـوات
وذلـك في أصـل التمجس جائـز ولـكـن عددنـاه من الـهـفـوات
ونـأبى فظيعـات الامـور ونبتغي سجوداً لنور الشمس في الغُدُوات
وأعـذرُ من نسوانكم في احتمالها فُضـوحَ الـرزايا آتُـن الـخـلوات
فلا تجـعلوا فيهـا الغـويَّ مسلّطا كمـا سُلِّط البـازي على القَطَوات
تهـاونتُم بالـذكـر لمـا أتـاكُمُ ولـم تحـفلوا بالصـوم والصلوات
رجـوتم إمـامـاً في القِران مضلِّلاً فلمـا مضـى قلتـم الى سنـوات
كذاك بنـو حواء: برٌّ وفـاجـر ولا بُدَّ للايام من هَنـوات

رهط مسلم: يريد به الشيعة الذين استقدموا الحسين الى العراق ثم سلموه لاعدائه. في هذه القصيدة يتهم الشيعة بتحليل المحرمات وارتكاب الموبقات. متكلين على شفاعة علي لهم يوم القيامة. وذكر المجوس وفضلهم على الشيعة لانهم تعففوا عن ارتكاب فظائع يجيزها لهم دينهم خلافاً للشيعة الذين يرتكبون ما يحرم دينهم عليهم. ويبدو انه يسجل هنا ما كان يقوله المجوس بعد الاسلام على سبيل التنصل من زواج المحارم.

ذارع: زق الخمر. والهبوات: جمع هبوة وهي الغبرة.

المثنوية في الاصل هي عبادة اثنين: النور والظلمة. وأراد بها هنا تأليه الشيعة لعلي.

قوله: أعذر من نسوانكم... يقصد به بكاء الشيعيات ولطمهن في عاشوراء.

قوله: رجوتم اماماً في القران. يريد به توقيت بعض الشيعة موعد لظهور المهدي المنتظر على اساس الحسابات الفلكية.

ملحوظة: بعد ان فرغت من الاختيار كنت استمع الى الاذاعة البريطانية صباح ٨٩/٨/٤ فاسمعها تقول ان لبنان لن يستقر وتقوم فيه دولة ما لم يتم اضعاف الشيعة. ولما ترجمت هذا الكلام لزوجتي طلبت مني حذف هذه اللزومية من المختارات لانها «تساهم في اضعاف الشيعة». ولم اوافقها على هذا الطلب لاني ارى اللزومية تساهم في تكريس ابتعاد الشيعة عن المعسكر السلفي الذي كانت قد انشقت عليه منذ القرن الاول ووصلت في انشقاقها بعد ذلك الى الغاء الشريعة من جانب فرعها الاسماعيلي وادعاء الاثني عشري بوجود مقابل (وهمي) للقرآن هو مصحف فاطمة أعلن الخميني تمسكه به في وصيته؛. وكنت قد تناولت التراث الهرطقي للشيعة في كتابات نشرت مع بداية الثورة الايرانية مستهدفاً تذكير الزعامة الشيعية التي اطاحت بالشاه ان علاقتها بمشروع الحكم الديني لا تستند الى اساس تأريخي. وانا اذكّرها الآن ان نجاحها في اسقاط الشاه وفي هزيمة الامريكان بلبنان لا يرجع الى انبعاث الروح الديني وإنما هو من نتائج التراث الكربلائي الذي هو ادخل في تاريخ الثورات الاجتماعية منه في تاريخ الاديان. (الدين مثلاً يدعو الى الخنوع والصبر على الضيم بينما كان شعار كربلاء «هيهات منا الذلة»..) وتراث الشيعة من هذه الجهة هو نفس تراث الخوارج القائم على المعارضة و المتلبس بالهرطقة في آن واحد. (هرطقة الخوارج ظهرت في بعض فروعها كما هو حال الشيعة وهي نتاج

لمعارضة السلطة السياسية التي تمسكت بالاصول السلفية ثم تسننت رسمياً منذ المتوكل) وبقوة هذا الموروث لدى الفريقين استمرت حركاتهما حتى العصر الحديث لتأخذ منحى وطنياً بقيادة الخوارج الاباضية في عمان، والشيعة الاثني عشرية في ايران والعراق، ثم في لبنان بتأثير مباشر من ايران الخميني. وكان يمكن لهذه الحركات ان تندمج في الوسط الديمقراطي العلماني ـ على الاقل في صيغة لاهوت التحرير ـ لولا قوة النزعة السلفية التي انتهت بقيادة الخوارج الى المنفى في السعودية. ولا شك انها ستلحق بهم قيادات الشيعة مع اصرارها على مشروع الحكم الديني الذي يضعها مع السعودية في خانة واحدة، ومع الوقوف بنزوعها السلفي امام القوى التي تقاتل نفس العدو الذي تقاتله حالياً.

من جهة اخرى، وبصرف النظر عن الاعتبارات السياسية فان نقد المعري للشيعة وغير الشيعة هو من حقوق المثقف الحر، القادر بوعيه التأريخي ووجدانه النقي على رصد المخازي البشرية وفضحها باعتبار الحقيقة لا باعتبار التاكتيك، المتروك للسياسيين وحدهم. وما تضمنته اللزومية صحيح كله، عدا اتهامهم بتسليم الحسين. فهم لم يسلموه وإنما سلمه ابن عمه ومبعوثه اليهم مسلم بن عقيل حين عجز عن تأطير تحركهم في الكوفة وتسبب في تشتتهم، ومن ثم اندحارهم امام الوالي الاموي.

نقد السلوک الديني

النساء في الكنيسة

هل قَبِلت من ناصحٍ امةٌ ... تغدو الى الفصح بصلبانها
كنائسٌ يجمعها وَصلةٌ ... بين غوانيها وشبانها
ما بالها عذراءَ أو ثيباً ... كوردةِ الجاني بأبّانها
راحت الى القَسّ بتقريبها ... وبيتُها أولى بقربانها
قد جَرَّبتْ من فعله سيئاً ... والطِيبُ جارٍ بجُربّانها
وربُّها تُسخط بل زوجَها ... البائسَ في طاعة رُبانها
وزارت الدير وأثوابُها ... ضامنةٌ فتنةَ رهبانها

الجربان: ضم الجيم والراء وتشديد الباء: فارسية تعني الزيق.
ثيّب: غير عذراء.

تحذير لليهود

يا آل يعقوبَ خذوا حذركم ... في الدهر من حَبْرٍ وديّانِ
يزعم نارٌ من سماءٍ هوت ... تأكلُ ذا إفكٍ وطغيان
لو كنتَ فيما قلته صادقاً ... لم تَعْدُ للشر بهميان
ولم تكن ترغب في زُيَّفٍ ... تؤخذ من عُرج وعميان

الهميان بكسر الهاء وسكون الميم حزام تحفظ فيه النقود عند السفر. زيف: نقود مزيفة.

مآل التدين

إنما صاحبُ التقى ... تاجرٌ يدفع السَلَم

أصبح الشيخ مارداً بعدما حجّ واستلم

السلم بفتحتين: البيع لأجل.

التدين بين الجهل والتجارة

رأيتُ بني الدهر في غفلةٍ وليست جهالتهم بالأَمَم
فنسكُ أناسٍ لضعف العقول ونسكُ أناسٍ لبعد الهمم

الامم، بفتحتين، اليسير الهيّن.

سوء اخلاق المتدينين

توهمتَ يا مغرور أنك ديّنٌ عليَّ يمينُ الله ما لك دين
تسير الى البيت الحرام تنسكاً ويشكوك جارٌ بائسٌ وخدين

الخدين: الخليل المقرب.

وادّعى الهذْيَ في الانام رجالٌ صح لي ان هَدْيَهم طغيان

دعوة للتسامح واستنكار اضطهاد غير المسلمين

ظلمتم دينكم فأُديلَ منكُم وأخيارُ الانام مظلَّموه
تهاونتم بمُطران النصارى وأشياع ابن مريم عظّموه
وقال لكم نبيكُمُ إذا ما كريمُ القوم جاء فاكرموه

فلا يرجع خطيبكُمْ بحقدٍ متى لاقاهُمْ فتهضموه

اديل منكم: انتُقم منكم.

تهضموه: اشتكوا من هضمه لهم.. البيت ملتبس. لعله يريد اتهام الخطيب المسلم بالتحريض على غير المسلمين.

غيظ الحكماء وخيبتهم

فُقدتْ في أيامك العلماءُ وادلهمّت عليهم الظلماءُ

وتغشّى دماءَنا الغيُّ لما عُطِّلت من وضوحها الدهماء

ويقال الكرام قولاً وما في العصر إلا الشخوص والاسماء

وأحاديثُ خبّرتها غواة وافترتها للمكسب القدماء

غلب المينُ منذ كان على الخلقِ وماتت بغيظها الحكماء

ولو أن الانام خافوا من العقبى لما جارت المياهَ الدماء

وغَضِبْنا من قول زاعم حقٍ اننا في أصولنا لؤماء

عالَمٌ حائرٌ كطير هواءٍ وهوافٍ تضمها الدأماء

الدهماء الاولى: عامة الناس. والثانية قد يريد بها الارض أو الطريق.

هوافي: ضالة حائرة. ومنها في عامية مصر هايف وعامية العراق هفيان.

الدأماء: البحر.

الدين كلباً للصيد..

.. والدين قد خَسَّ حتى صار أشرفه بازاً لبازين أو كلباً لكلّاب

دين الرهبان

الراهبُ المسجونُ فرطَ عبادةٍ ... من حبِ دنياه الكذوبُ مولَّهُ

أعرفتمُ أصحابكم بحقيقةٍ ... أم كلكم عنهم غبيٌّ أبله؟

ذُكر التأله فادّعوه تخرصاً ... ما هذه أفعال من يتأله

بهائم الاديان

وقد فتشتُ عن أصحابِ دينٍ ... لهم نسكٌ وليس لهم رياءُ

فألفيتُ البهائم لا عقولٌ ... تقيم لها الدليل ولا ضياء

واخوانُ الفطانةِ في اختيالٍ ... كأنهُمُ لقوم انبياء

فاما هؤلاء فأهل مكر ... وإما الاولون فأغبياء

فان كان التقى بَلَهاً وعياً ... فأعيار المذلة اتقياء

الاعيار: حمير الوحش ومفردها عير.

حيل الوعاظ

رويدكَ قد غُررتَ وأنت حُر ... بصاحبِ حيلةٍ يعظ النساءا

يحرّم فيكمُ الصهباءَ صبحاً ... ويشربها على عمد مساءا

يقول لكم غدوت بلا كساءٍ ... وفي لذاته رهن الكساءا

إذا فعل الفتى ما عنه يَنهى ... فمن جهتين لا جهةٍ أساءا

الفقيه والمتكلم

كأن نفـوسَ النـاس والله شاهـدٌ نفـوسُ فَراشٍ ما لهـنَّ حُلومُ
وقـالـوا فقـيه والـفـقـيه ممـوِّهٌ وحـلـفُ جدال والـكـلام كلوم
أتـوك بأصنـاف المحـال وإنمـا لهـم غرض في أن يقـال علوم

حلوم: عقول. كلوم: جراح. المحال: الكذب المستحيل.
حلف جدال: كناية عن المتكلم.

فشل الاديان

قد حُجـب الـنـورُ والـضـياءُ وإنـمـا ديـنـنـا رياءُ
وهـل يجـود الحيا أنـاسـاً منـطوياً عنـهـم الـحـياء
يا عالـمَ الـسـوء ما علمـنـا ان مصـليك اتـقـياء
لا يكـذبـنّ امـرؤ جَهـولٌ ما فيكَ لله أولـياء
ويا بلاداً مشـى عليهـا أُولـو افـتـقـارٍ واغـنـياءُ
إذا قضـى الله بالـمـخـازي فكـل أهـليكِ اشـقـياء
كم وعظ الـواعـظون منـا وقـام في الارض انـبـياء
فانـصـرفـوا والـبـلاء باقٍ ولـم يزل داؤكِ الـعـياء
حكـم جرى للمـليكِ فينـا ونـحـن في الأصـل أغبياء

الحيا: المطر.

الغرض من التدين

وتجـادلت فقهـاؤهـا من حبهـا		وتـقــرّأت لتـنـــالـهـــا قراؤهـــا

الضمير عائد الي الدنيا.

سُببـتَ بالـكـلب فأنـكــرتَــه		والـكلب خيرٌ منـــك إذ ينبـــح
صلى الفتى الجمعـةَ ثم انثنى		لذارعٍ في مِســحــه يَذبــح
يعــطي به التــاجــرَ أربـاحَـه		وتــاجـرُ الخســران لا يربـح
فليتـــنـــي عشــتُ بداويّةٍ		حربـــاؤهـــا في عوده يَشْـبـح
يصـداً بهـا الـركب وأعـلامهـا		كأنــهـــا في آلــهـــا تسـبــح
أوبت في صهــوةَ مستــوطنـــاً		أمسي مع الاغفـــار أو أُصبــح

المسح بكسر الميم: أصله ثوب من شعر، ويراد به هنا ما يتزر به الجزار وامثاله لوقاية ثيابه من الوسخ.

داوية: صحراء يصعب النفاذ منها.

يصدا: يظمأ. آلال: السراب.

صهوة: وردت في المطبوع منونة وينبغي ان تكون ممنوعة من الصرف ليستقيم وزن البيت.

الاغفار اولاد الاروية، من حيوانات الجبال. والمقصود هنا العيش في رؤوس الجبال، وهو ما تفيده كلمة صهوة التي تعطي هذا المعنى اذا نونت أما اذا منعت من الصرف فهي اسم مكان. وقد ذكرها ياقوت في معجم البلدان وقال انها بنواحي المدينة. واللزومية لا تقصدها بالذات وإنما تكني بها عن المتنبذ.

استحالة الاستقامة في السلوك الديني

هل الـدينُ إلا كاعبٌ دون وصلها حجـابٌ، ومهـرٌ معـوزٌ وحِباء؟

كاعب: الفتاة اول بلوغها. حباء: عطاء.

رجال الدين

ولـيس عنـدهُـمُ دينٌ ولا نُسُـكٌ فلا تغُـرك أيدٍ تحـمـل السُبَحـا
وكم شيوخٍ غدت بيضاً مَفـارقُهم يسبّحـون وبـاتـوا في الخنا سُبُحا
لو تعقل الارض ودت انها صَخِرت منهم فلم ير فيهـا ناظـر شبحـا

سبح جمع سبحة (المسبحة) سبح الثانية جمع سابح.

فرض الدين بالقوة

كم أمـةٍ لعبت بهـا جهـالُهـا فتنطّست من قبـل في تعذيبها
الخـوفُ يلجئها إلى تصـديقها والعقـل يحملهـا على تكذيبها
وجبلّةُ الناس الفساد فضلّ من يسمـو بحكمتـه إلى تهـذيبهـا
يا ثُلَّةً في غفـلة وأويسُـهـا الـقَـرَنـي مثـل أويسِـهـا أي ذيبـهـا

جبلة: الطبيعة.
ثلة: شلة وهي الجماعة من الناس ومن الغنم.
أويس القرني: زاهد من التابعين يشك في وجوده. والاويس مصغر أوس وهو الذئب.
ـ حتى اويس القرني وهو من الاولياء لا يختلف في حقيقته عن الذئب. والذئب ينبغي على هذه الثلة الغافلة ان تحذر منه.

رياء البشر

أرائيكَ فليغفـر لي الله زَلّتي | بذاك. ودين العـالمين رِئـاءُ

تحذير من المتدينين

فلا تأمنـوا المرء التقيَّ على التي | تسوء وان زار المساجـد أو حجا

ولا تقـبـلوا من كاذبٍ متسـوقٍ | تحيُّل في نصـر المذاهب واحتجا

سواء على النفس الخبيث ضميرها | أمكـة زارت للمنـاسـك أو وجـا

وج: اسم لمدينة الطائف.

نقد الرهبان

ويعـجبـني دأبُ الـذين ترهَّبـوا | سوى أكلهم كدَّ النفوسِ الشحائح

وأطيبُ منهم مطعمـاً في حياتـه | سعـاةُ حلالٍ بين غادٍ ورائـح

فمـا حَبَسَ النفس المسيحُ تعبـداً | ولكن مشى في الارض مشية سائح

تفضيل المجوس على المسلمين

لقـد عرضنـا على الابـرار دينكُمُ | فكـلهـم عن دنـايا فعلكم حادوا

ان المجـوس لأزكى منكمُ عمـلاً | وإنـمـا شأنـكم جَحْـد وإلحـاد

المعري لا يصلي الجمعة

يقولون هلا تشهد الجُمعَ التي رجونا بها عفواً من الله أو قربا

وهل لي خير في الحضور وإنما أزاحم من أخيارهم ابلًا جُربا

لعمري لقد شاهدت عُجماً كثيرة وعُرْباً فلا عُجْماً حمدت ولا عُرْبا

فساد أهل الاديان

ما أسلم المسلمون شرهُمُ ولا يهودُ لتوبةٍ هادوا

ولا النصارى لدينهم نصروا وكلّهم لي بذاك أشهاد

تداعوا فقالوا ناسكٌ وابن ناسكٍ وما هو إلا مارد وابن ماردِ

تحذير من المتدينين

خافي الهلك واحذري من أمةٍ لم يلبسوا في الدين ثوبَ مجاهد

أكَلوا فأفْنوا ثم غَنّوا وانتشوا في رقصهم وتمتعوا بالشاهد

مخالفة أهل الدين للدين

نبذتم الاديان من خلفكم وليس في الحكمة ان تنبذا

لا قاضيَ المصر أطعتم ولا الحبر ولا القس ولا الموبذا

ان عُرضت ملتكم بينهم قال جميع القوم لا حبذا

الغرض من التلاوة

تلاوتكم ليست لرشدٍ ولا هدى ... ولكن لكم فيها التكاثر والكِبْرُ
بعشر روايات قرأت وصاحبي ... بعشرين ما فيها ادّغام ولا نبر

عشر روايات: يريد بها القراءات العشرة للقرآن، وهي التي روعيت فيها اللهجات العربية المغايرة للهجة قريش.
في البيت الثاني يؤكد عنايتهم بالقراءة الصحيحة ولكن للغرض الذي بينه في البيت الاول.

المصلي الظالم

يا ظالماً عَقَد اليدين مصلّياً ... من دون ظُلمك يُعقد الزنّار
أتظن انك للمحاسن كاسبٌ ... وخبيٌّ أمرِك شِرّة وشَنار؟

المتدينون

فلا يغرنك من قرائنا زُمَر ... يتلون في الظُّلَم الفرقان والزُمَرا
يقامرون بما أُوتوه من حِكَم ... وصاحبُ الظلمِ مقمورٌ إذا قَمَرا
يُبدي التدينَ محتالاً ضمائرُه ... غيرُ الجميل إذا ما جسمه ضَمَرا
يشدو مزاميرَ داودٍ ويفضُلُهُ ... في النسك نافخ مزمارٍ له زمرا
يوفي على المنبر العالي خطيبهُمُ ... وإنما يعظ الآسادَ والنُمُرا
وما التقيّ بأهل إن تسميه ... بَرّاً ولو حج بيت الله واعتمرا

الفرقان: القرآن. الزمر بصمتين: مزامير داود.
مقمور: مغلوب في القمار. البر: البار.

الدنيا غرضهم

وحبُّها، وهي مذ كانت محببــةٌ، أقــام داودَ يتــلو ليلةَ الــزُّبُــرا

الـزبـر: جمع زبور وهو الكتاب. ويطلقه المسلمون على الكتاب المقدس لداود. في القرآن: وآتينا داود زبورا. والمقصود هو سفر المزامير من العهد القديم.

عهر...

كم قائــم بعــظاتــه متــفــقــهٍ في الدين يُوجَد حين يُكشفُ عاهرا

فساد الاول

(ضد الماضي الذهبي)

هل سار في الـنــاس أولٌ بتُـقـى فيتـبـعُ الـنــاس بعــده سِيَره؟
ملوكُـنــا الـصــالـحــون كلُهُـم زير نســاءٍ يهش للزِيَرة

الزيرة جمع زير: وتعم زير الخمر، وزير العود، وزير النساء.

الانبياء يريدون الدنيا ايضاً

ونــحــب الام الــخَـلوب وداود يحــب الــدنــيا ويتـلو الـزبــورا

مزامير الغواه وصلاتهم

صار الكتـابُ مزاميرَ الغـواةِ، لهم به أغــانـيُّ في حاميم والـزُمَـرِ

صلَّوا به ثم صَلُوا في مظالمهم مثل السيوف على المستأنس القِمِر

حاميم والزمر من سور القرآن.

القمر بكسر الميم: من يضعف بصره في ضوء القمر. وفي اللزومية كناية عن البريء الضعيف من انسان وحيوان.

مزاد علني

نادت على الدين في الآفاق طائفةٌ يا قومُ من يشتري ديناً بدينار؟

جنوا كبائر آثامٍ وقد زعموا إن الصغائر تجني الخلد في النار

الدين والنسك والعهر

ومن الرزيةِ عاهرٌ متوهّم في الناسكين وناسكٌ في العُهَّر

يبغي الطهارَة ناسكٌ ومحله في مومسٍ برئت من الإطهار

تسميات كاذبة

غلب السَفاهُ فكم تلقّب معشر بالمؤمنين وهم من الكفار

ومن البلية ان يُسمى صادقاً من وصفُه الأولى كذوب فاري

فاري: مفتري.

الحج

من خوف باريكِ امتطيتَ نجيبةً عادت بسيركِ مثل قوس الباري

فإذا وردتَ مِنى فغـايـاتُ الـمُنى مُلقـى جرائـم في الـحيـاة كبـار

نجيبة: صفة للناقة السريعة المتينة. الباري من يبري الشيء. منى: بكسر الميم موقع في مكة.

الدين والدعارة

مسـاجـدكـم ومـواخـيركـم سواء فبـعـداً لكـم من بشـر

فيا ليتـني في الثـرى لا أقـوم إن الله ناداكُـمُ أو حشـر

ومـا سرنـي أنني في الـحيـاة وان بان لي شرفٌ وانـتـشـر

الغاية هي الاكل

مذاهـبٌ جعلوهـا من معـايشهم من يُعمـل الفكـر فيها تُعطه الارقا

وكـلنـا قومُ سوءٍ - لا أخص به بعض الانـام ولكن أجمـع الفِـرقا

ان رمتَ من شيخ رهـطٍ في ديانته دليلَ عقـلٍ على ما قالـه خَرَقـا

إذا كشفتَ عن الـرهبـان حالهُمُ فكلهم يتـوخى التبـر والـوَرِقـا

التبر: الذهب.

الورق بكسر الراء: الفضة.

بين العبادة والطمع

سبـحْ وصـلّ وطفْ بمكـة زائـراً سبعينَ لا سبعـاً فلستَ بنـاسـك

جَهِـلَ الـديانـةَ من إذا عرضت له أطمـاعـه لم يُلْف بالمتمـاسـك

تجارة القرآن

تسوّق الـنـاس بفـرقـانـهـم   وانـتـبـلوا جهـلاً فلم يُنبلوا
لو نطق الـدهـر هجـا أهـله   كأنـه الـرومـيُّ أو دِعْـبـل
فليت حواءَ عقـيمٌ غدت   لا تلد الـنـاس ولا تحـبـل

الرومي: ابن الرومي الشاعر. ذكره مع دعبل (الخزاعي) لاشتهارهما بالهجاء.
دعبل بكسر الدال والباء.
انتبلوا جهلاً: حملوا الجهل وكان عدتهم.

عن مرتزق بالدين

طلبَ الخسـائسَ وارتقى في منبـرٍ   يصفُ الحسـاب لأُمـةٍ ليهـولَها
ويكـون غيرَ مصـدقٍ بقـيامـةٍ   أمسى يمثـل في النفـوس ذهـولها

رجال الدين

تق الله واحـذر أن يغـرَّك ناسـكٌ   بمـا هو فيه من تغـيّر حالـه
فمـا أنـفسُ الاقـوام إلا توابـعٌ   لقـائـل زِورٍ مفـرطٍ في مُحالـه
فهـذا الـذي في صومـه وصـلاتـه   كذاك الـذي في حِله وارتحـالـه
فكـذّبْ زعـيمـاً قال انـيَ ديّن   فمـا دينُـه إلا ضعيف انتحـالـه

زعيم: صفة مشبهة من الفعل يزعم.

تجارة الكذب القديمة

وارتقب من مؤذن القوم فتكاً فالنصارى يشكون فعل الابيل

ولحبرِ اليهود في درسه التوراةَ فنٌّ، والهمٌّ في التدبيل

ربّلته اسفارُها وحمته طولَ اسفاره من التربيل

كَذِب لايزالُ يطعم خبزاً نُصَّ عن آدم وعن قابيل

يمتريه جذلانُ مُهتبلُ الغرة يبدي حزناً على هابيل

الابيل: الراهب. التدبيل: الاكل الكثير. ربلته: اسمنته. التربيل: أكل الربل وهو شجر بري. يريد انه استغنى بالتوراة عن اكل الشجر البري. جذلان: فرحان. مهتبل الغرة: انتهازي.

الاسفار الاولى في البيت الثالث هي الكتب والثانية هي الرحلات.

نقد الخرافة

تكذيب خرافة حول الغراب

يدعو الغرابَ أناسٌ حاتماً سفهاً لانه بغراقٍ عندهم حتما

هذا التكذّب، ما للجونِ معرفةٌ ولا يبالي أنال المدح أم شُتما

الجون: الاسود، والاشارة الى الغراب.

وخرافة دينية

وسمى ان أراق الماءَ جِبسٌ يراقب جِنّةً ان لا يسمي

الجنة بكسر الجيم: الجن. . من المعتقدات الدينية والشعبية اراقة الماء لطرد الجن. والجبس بكسر الجيم هو الثقيل البليد الجافي. وليست هذه من صفات الاوهاميين ولعله

أراد ان يقول: جاهل أو سخيف فلم يسعفه الوزن.

مطالبة السلطة بمنع التنجيم

أمـا لأمير هذا المصر عقل — يُقيم عن الطريق ذوي النجوم
فكم قطعوا السبيلَ على ضعيفٍ — ولم يُعفوا النساء من الهجوم
هُم ناسٌ ولو رُجموا استحقوا — بأنهمُ شياطينُ الرجوم
إذا افتكر اللبيبُ رأى أموراً — تردُّ الضاحكاتِ الى الوجوم

العراف والمرأة

وحذَّرها المنجّمُ فهو ذئبٌ — تشّوقُه الضوائن أن يراها
فان هي لم تجبه الى قبيحٍ — تحلّبها المنافعَ وامتراها
يقول لها زخارفَ مفْتريَاتٍ — فراها الاولون أو افتراها

الضوائن: الغنم. فراها وافتراها بمعنى واحد.
امتراها: اخذ منها الميرة، كناية عن استغلاله لها.

القمر وسهيل

مَن فتىً يعرف الهلالَ — غلاماً قد احتلم؟
وسهيلاً مع المعاشر — في كفه زُلَم؟
خبطَ القومُ في الضلالِ — فهلْ تكشَفُ الظُلَم؟
في بلادٍ مَضلَّةٍ — ليس في أرضها عَلَم

احتلم: بلغ سن الرشد.

زلم، كعمر، واحد الازلام، من سهام المراهنات.

في البيتين الاول والثاني يسخر بخرافات شعبية حول الهلال ونجم سهيل.

.. العطاس

تشـاءم بالعـواطس أهـلُ جهـلٍ وأهـونْ إن خفـتـن وان عطسنـه

العواطس: قد يريد بها حيوانات يتشاءم بها العرب قديماً. أو الانوف البشرية. والعطسة في الخرافات الشعبية إذا كانت واحدة دليل شؤم واذا تلتها اخرى انقلب الى يُمن.

تكذيب معجزات

زعم النـاس ان قوماً من الابـرار عولـوا بالـجـو بالـطيراد

ومشـوا فوق صفحـة المـاءِ.. هذا الافـكُ هيهـات ما جرى العصـران

ما مشـى فوقَ صفـحـةِ الـمـاءِ لا السعـدانِ فيمـا مضى ولا العُمَـرانِ

عولوا: مبني للمجهول من علا يعلو.

السعدان: لعله يريد سعد بن معاذ وسعد بن ابي وقاص من الصحابة.

العمران: ابو بكر وعمر.

النساء والجن

ما صح عنـدي أن ذاتَ خلاخـلٍ تُقـفى من الجن الغـواةِ بتـابـع

تُقفى: تتبع.

يتحدث عن ممارسة النساء للسحر تحقيقاً لرغائبهن أو رغائب الاخريات.

التنجيم

ينجّمون وما يدرون لو سُئلوا عن البعوضة أنى منهم تقفُ

انى: اين.

عن التعاويذ

يرقى المعزِّم ولداناً ليُورثَهم نفعاً، ولا نفعَ إلا بُسْلة الراقي

يرقى: يعمل الرقية (بضم الراء) أي التعويذة. والبسلة بضم الباء: اجرة من يعملها.

المعزم: من يقوم بالتعزيم وهو الرقية نفسها.

تكذيب خرافة عن السود

ما اسودّ حامٌ لذنبٍ كان أحدثه لكن غريزةُ خلقٍ خطها المِلك

الملك: الله. وحكاية اسوداد حام من الاسرائيليات.

وتكذيب خرافة عن الارض

ان لم يكن في سماءٍ فوقنا بشر فليس في الارض أو ما تحتها ملَك

في الخرافات الشعبية الدينية ان الجن يسكنون في العالم الاسفل تحت الارض.

نقض خرافة تأريخية

وقد ادعى من ليس يثبُتُ قوله عِظمَ الجسوم وبسطةَ الاعمار

ما كابرٌ إلا كآخر غابرٍ والحق يُعلَم وجهه بأمار

أمار بفتح الهمزة: امارة أي علامة.

لا تصدق العرافين

لا تُصْغينَّ إلى حازٍ لتسمعه ... فما يطيقُ لما اخفيت إبرازا
أراد إحرازَ قوتٍ كيف أمكنه ... فظل يكتب للنسوان أحرازا

أحراز: جمع حرز وهو التعويذة. والحازي هو العراف.

دعوة لامتحان القصاص

ألا يكشفُ القُصاصَ والٍ، فان همُ ... أتوا بيقين فليقصوا لينفعوا
وان خَرَصوا ميناً بغير تحرجٍ ... فأوجبُ شيء ان يُهانوا ويُصفعوا
ومن جاء منهم واثقاً بشفاعةٍ ... فكم شافعٍ في هيِّن لا يُشفَّع
سعوا لفساد الدين في كل مسجد ... فما بالهم لم يستضاموا ويدفعوا

القصاص: فئة من الاخباريين الشعبيين كانت تقص الاخبار الدينية في المساجد وتغلب على حكاياتها الخرافات، وساهمت كثيراً في شحن عقول الناس بها.
الخرص: التخمين والكلام رجماً بالغيب. المين: الكذب.

خرافة حول النجوم

ولا توهمتُ انثى الانجم امرأةً ... ولا ظننتُ سهيلاً كان عشارا

عشار: جابي ضرائب العشر (موظف الجمرك والمكوس). وكانت العرب تقول ان سهيل كان في الاصل عشاراً باليمن. وانثى الانجم يقصد بها الزهرة وتقول الأسمار الجاهلية انها في الاصل امرأة.

رد على فلكيات ارسطو

وإن صح ان الـنيّرات مُحسـة ... فمـاذا نكرتم من ودادٍ ومن صهرِ؟

لعــل سهـيلاً وهو فحل كواكـبٍ ... تزوج بنتـاً للسِمـاك على مهـر

يقــولـون تأتي فوقنـا مثـلَ ما أتى ... بنو الارض في حال السِرارِ أو الجهَر

فيا ليت شعري هل تُراع من الردى ... وتـركـع نسكـاً بالعِشـاء وبالظهر؟

وتكــذب، ان المين في آل آدم، ... غرائـز جاءت بالنفـاق وبـالعهـر

النجوم حسب فلكيات ارسطو كائنات حية متحركة بالارادة.

حيل المنجمين

سألتْ منجّمهـا عن الـطفل الذي ... في المهـد: كم هو عائشٌ من دهره؟

فأجـابهـا مئـةً، ليأخـذ درهمـاً ... وأتى الحِمـامُ وليدهَـا في شهـره

الحمام بكسر الحاء: الموت.

ضد التطير والتيمن

لا تفـرحن بفـألٍ ان سمعت به ... ولا تَطَيّر إذا ما ناعـبٌ نعبـا

إذا تفكـرتَ فكـراً لا يمـازجُـه ... فسادُ عقلٍ صحيحٍ هان ما صَعُبا

تطير اصلها تتطير حذف احدى التاءين للوزن.

إنكار الجن

فاخشَ المليكَ ولا تُوجدْ على رَهَبٍ ... ان أنت بالجن في الظلماء خُشّيتا
فإنــمــا تلك اخــبــارٌ ملفــقــةٌ ... لخِدعة الغافلِ الحشْويِّ حوشيتا

الحشوي : المتدين الجاهل.

خرافات المؤرخين

آليتُ ما الحبـر المــدادُ بكـاذبٍ ... بل تكــذبُ العلمــاءُ والاحبــارُ
زعمـوا رجـالاً كالنخيل جسـومُهم ... ومــعــاشــرٌ أُمــاتــهـم أشبــار

الامات : الامهات.

وخرافات فلكية

قد صدّق الناسُ ما الالبابُ تُبطله ... حتى لظنـوا عجـوزاً تحلبُ القمرا
أنــاقــةٌ هو أم شاةٌ فيمــنــحــهــا ... عُسّــاً تُغيثُ به الاضياف أو غُمرًا؟
يخالف الطبعَ معقولٌ خصصتَ به ... فـاقبـل إذا ما نهـاك العقل أو أمرا

العُس بالضم : قدح كبير.
الغمر، كعمر، قدح صغير.

الناس والمنجمين

لقــد بكــرت في خفهـا وإزارهـا ... لتســألَ بالامـر الضـريرَ المنجمـا

وما عنده علم فيخبرَها به ... ولا هو من أهل الحجا فيرجما
يقول غداً أو بعده وقعُ ديمةٍ ... يكون غياثاً ان تجودَ وتُسجما
ويوهمُ جهالَ المحلةِ أنه ... يظلُّ لأسرار الغيوب مترجما
ولو سألوه بالذي فوق صدره ... لجاء بمينٍ أو أرمّ وجمجما
كأن سحاباً عمهم بضلالةٍ ... فليسَ الى يوم القيامة مُنْجما
إذا قال أهل اللب حان انسفارُه ... تداركه غيمٌ سواه فاثجما

الخف: الحذاء.

الحجا: العقل. يرجم: يخمن.

ديمة: بكسر الدال مطرة دائمة. تسجم: تهطل.

أرم بتشديد الميم: سكت. جمجم: لم يفصح.

منجم: اسم فاعل من انجم بمعنى اقلع.

اثجم: امطر.

نقد الطبيعة

مفارقة

تُكرّمُ أوصالُ الفتى بعد موته ... وهنَّ إذا طال الزمان هباء

قسوة الحياة

خسستِ يا أُمنا الدنيا فاف لنا ... بنو الخسيسة أو باش أخساء
يموج بحرك والأهواء غالبةٌ ... لراكبيه فهل للسُفْن إرساءُ؟
إذا تعطفتِ يوماً كنتِ قاسيةً ... وان نظرتِ بعين فهي شوساء
إنسٌ على الارض تدمي هامها إحن ... منها إذا دميت للوحش أنساء

شوساء: متكبرة مغتاظة، ومنها الاشاوس للشجعان. إحن: احقاد. أنساء: جمع نسا وهو

عرق النسا حسب طه حسين (شرح لزوم ما لا يلزم ١/٨٣ اللزومية السادسة) وقد يكون المراد إنساء بمعنى تأجيل أو جمع نسيء بنفس المعنى. وأياً كان فغرض البيت ان ما يقاسيه البشر أشد اذا قيس بالحيوان.

الجسوم الضخام؟

زيادةُ الجسم عنّت جسمَ حاملِه إلى التراب وزادت حافراً تَعَبا

استحالة السلم في الطبيعة

والقول كالخُلق مِن سيء ومن حسنٍ والناسُ كالدهر من نور وظلماء
يقال ان زماناً يستقيدُ لهم حتى يُبدَّل من بؤسٍ بنعماء
ويوجد الصقر في الدرماء معتقداً رأيَ امرىءِ القيس في عمر بن درماء
ولست أحسب هذا كائناً أبداً فابغِ الورود لنفسٍ ذات أظماء

يستقيد: ينقاد. واستقادة الزمان للناس والمخلوقات ان يتراجع عن وحشيته فيسود السلام في الطبيعة.

الدرماء: الارنب. وعمرو بن الدرماء آوى امرىء القيس لما استجار به من المنذر بن ماء السماء.

يتحدث عن الامل بسيادة السلام في الطبيعة بحيث تنعقد بين الصقر والارنب نفس المودة التي انعقدت بين امرىء القيس ومجيره ابن الدرماء.

قوت الارض

على الموت يجتازُ المعاشرُ كلهم مقيمٌ بأهليه ومن يتغرب
وما الارض إلا مثلُنا الرزقَ تبتغي فتأكلُ من هذا الانام وتشرب

الارض تبتغي الرزق مثلنا ورزقها من اجسادنا.

لؤم الارض

والارض غذّتنا بألطافها ثم تغذّتنا فهل انصفت؟

الفساد من الطبيعة

حوتنا شرورٌ لا صلاحَ لمثلها فان شذَّ منا صالحٌ فهو نادر
وما فَسَدت اخلاقنا باختيارنا ولكن لأمرٍ سبّبته المقادر
وفي الاصلِ غشٌّ والفروعُ توابعٌ وكيف وفاءُ النجل والابُ غادر؟
إذا اعتلّت الافعال جاءت عليلةً كحالاتها اسماؤها والمصادر
فقل للغراب الجون إن كان سامعاً أأنت على تغيير لونك قادر؟

الجون: الاسود.

تساوي الكائنات الحية في الشر

نهاكَ ناهيكَ عن بيع على غَرَرٍ وأنت كلُّك فيما بان لي غَرَرُ
والشرُّ في الانسَ مبثوث وغيرهُمُ والنفع مذ كان ممزوجٌ به الضرر
تشاكلوا في سجياتٍ مذمّمة وأشْبَهتْ لبنوات الغابة الهِررُ

بيع الغرر، بفتحتين: بيع المخاطرة مثل بَيع السَمك في الماء والثمر في شجره قبل ان ينضج. وهو من البيوع المحرمة.

صراع العقل مع الطبع

والـلـبُّ حاربَ تركيبـاً يجـاهـده ... فالعقلُ والطبعُ حتى الموت خصمان

. . . .

مصدر العدوان هو الطبيعة

ولـولا حاجـةٌ في الـذئب تدعـو ... لصيد الـوحش ما اقتُنص الغـزالُ

ومـا لذؤالـةَ الـمسكين صبـرٌ ... فيصـرفَـه عن الحَمَـل الهـزالُ

ذؤالة: من اسماء الذيب. يريد انه لا يسعه تجمل الهزال رحمة بالحمل.

. . . . .

العدوان في الطبيعة وفقر الانسان

ليذمُـمْ والـداً وَلَـدٌ ويعتب ... عليه فبئسَ عُمـري ما سعـى له

أتـدري والـحياة لهـا صروفٌ ... بمـا يلقـاه جُروك يا ثُعـالـة؟

فمـن ضارٍ يمـزق منـه شلواً ... ويعـطي فضلَ اكـرعـه جَعـالـه

ومـن صقـر يقـول له رويداً ... ومـن شَرَكٍ يصـيح به تعـالـه

ومـا في الارض من أحـد غنيٌّ ... ولـكـن كلنـا فقـراء عالـه

ثعالة: الثعلب.

جعالة: مكافأة أو أجرة. الفضل هنا: ما زاد عن الحاجة (الفضلة).

الشرك: بفتحتين هو المصيدة التي توضع لصيد الحيوانات.

سؤال

أيكـون رفـعٌ للشـرور فينتـهي ... غاوٍ ويقـنـع بالـنبـات الضيغم؟

الضيغم: الاسد.
تحلم هذه اللزومية بتعديل نظام الطبيعة.

سريان العدوان في الاشياء

وألغي في كل شيء ليس يَعدَمُه   باغيه حتى من الاعناب تُعتصر

ـ لان عصير العنب يتحول الى خمر.

القدر في التاريخ

كانت عجائبُ والمقدار صيَّرها   إلى ابن حربٍ ولاقى الحتف عمار

ابن حرب: معاوية، عمار: ابن ياسر. . .

الجبر لا الاختيار في الطبيعة

أرى شواهدَ جبرٍ لا أحققه   كأن كلاً إلى ما ساء مجرور
وعالَمٌ فيه أضداد مقابَلةٌ   غنىً وفقرٌ ومكروبٌ ومقرور

المقرور: من قرت عينه، أي السعيد.

ما باختياريَ ميلادي ولا هرمي   ولا حياتيَ فهل لي، بعدُ، تخيير؟

مفارقات الطبيعة

لعل مفاصلَ البنّاء تُضحي   طِلاءً للسفينة والجدار

المخلوقات السجينة

فلكٌ يدورُ على معـاشـر جمـةٍ ‏ ‏ ‏ وكـأنـه سجـنٌ عليهـم مُطبـق
في كل حين يستهـلّ من الاذى ‏ ‏ ‏ مطر يخص أمـاكـنـاً ويطبّـق

الوباء الشامل

ما خص مصـراً وبـأً وحـدهـا ‏ ‏ ‏ بل كائـنٌ في كل أرض وبـأ
أنـبـأنـا الـلبّ بلُقـيا الـردى ‏ ‏ ‏ فالـغـوثُ من صحـةِ ذاك النبأ
هل فارسٌ والـرومُ والـتـركُ أو ‏ ‏ ‏ ربـيعـةٌ أو مُضَـرٌ أو سبـأ
ناجـيةٌ في عز أمـلاكـهـا ‏ ‏ ‏ ان يُظهـر الـدهر لها ما خبأ؟
إن سار أو حلّ الـفـتـى لم يزل ‏ ‏ ‏ يلحـظه الـمـقـدار بالـمـرتـبـأ

وبأ: وباء.

مرتبأ: ربيئة، موقع ناشز للمراقبة. والعراقيون يقولون عن الكثير التطلع: عينه تِربي.

حول القمع

بين حكم الخوف وحكم العقل

كم أمـةٍ لعـبـت بهـا جُهـالهـا ‏ ‏ ‏ فتنـطست من قبـل في تعـذيبها
الخـوفُ يلجئُهـا إلى تصـديقها ‏ ‏ ‏ والعقـل يحملهـا على تكـذيبهـا

تنطست: تفننت ومنه الطبيب النطاسي.

التقيّة والكتمان

لا تخبرنَّ بكنه دينك معشراً شُطُراً وان تفعل فأنت مغرَّر
واصمت فان الصمت يكفي أهلَه والنطقَ يُظهر كامناً ويُقرّر

شطر: شطار.

المعري في وطنه/ تطلع إلى الهجرة

ألِفْنا بلاد الشام إلفَ ولادةٍ نلاقي بها سودَ الخطوب وحُمْرها
فطوراً نداري من سُبيعةَ ليثها وحيناً نصادي من رُبيعة نمرها
وددتُ بأني في عَمايةَ فاردٌ تعاشرني الأروى فاكره قَمْرها
أفرّ من الطَغوى إلى كل قفرةٍ أوانسُ لطغياها وآلف قُمرها
فأني أرى الآفاق دانت لظالمٍ يغرّ بغاياها ويشرب خمرها
ولو كانت الدنيا من الانس لم تكن سوى مومس أفنت بما شاء عمرها
تَدين لمجدودٍ وان بات غيره يهزّ لها بيض الحروب وسُمرَها

سبيعة وربيعة بالتصغير، اسمان رمز بهما للمتعاقبين على الحكم. نصادي: نداري ونجامل. عماية: اسم جبل. الاروى: من حيوانات الجبال. الطغيا: ابن البقرة. القمر بضم القاف: حمير الوحش. المجدود: المحظوظ. يغر البغايا: يصب الشراب بيده في افواههن.

حكم الخوف

الله ينقل من شاء رتبةً بعد رتبة

أبدى العتاهيُّ نسكاً وتاب من ذكر عتبة
والخوف ألزم سفيان أن يغرّق كتبه

العتاهي: ابو العتاهية كان يعشق عتبة جارية المهدي ولما يئس منها اتجه إلى الزهد.
سفيان (الثوري) فقيه معارض من القرن الثاني. مات مختبئاً وأوصى بغسل كتبه بالماء لمحوها.

حاجز القمع

الفتى قد رأى اليقينَ ولكن يؤثر العيشَ فهو كالمختول

يؤثر: يفضل.
المختول: الفريسة التي يختل لها الصياد ليصطادها.

ما لي رأيتُ دعاةَ الغي ناطقةً والرشدُ يصمتُ خوفَ القتل داعوه؟

إذا قلت المُحال رفعت صوتي وان قلت اليقين اطلت همسي

المحال: الكذب والباطل المستحيل.

قوة القمع

على الذم بتنا مُجمعين وحالنا من الرعب حالُ المجمعين على الشكر

دعوة للحوار الديمقراطي

ترج بلطف القول رد مخالف إليك فكم طرف يسكّن بالنقر

الطرف بكسر الطاء: الحصان الجيد الاصيل.

الكذب مجهور والحق مستور

فمـا للمـين يُنـطَق بالـتنـادي ومـا للحق يُهمس في السِـرار؟

لا تثق بأحد

نطالبُ الـدهـر بالاحـرار وهـو لنا مُبـينٌ عذرين: افـلاسٍ وتفليس
فاكتم حديثَـكَ لا يشعرْ به أحـدٌ من رهط جِبريلَ أو من رهط إبليس

أسرار الصدر

آه لأسـرار الـفـؤاد غوالـياً في الصـدر أُستُر دونهـا وأُجمجم

القتل على الشبهة

قد يُقـتـل الـحـرُّ ومـا دِينـه في طاعـة الله بمـكـلوم

مكلوم: مجروح.

الاضطرار إلى الكذب

تعـالـى الله فهـو بنـا خبـيرٌ قد اضـطرت إلى الكـذب العقول
نقـول على المجاز وقـد علمنـا بان الأمـر ليس كمـا نقـول

التصديق بالسيف

أتـوكـم بأقبـالـهـم والـحسـام فشـدّ بـه زاعـمٌ ما زعـم

تلوا باطــلاً وجــلوا صارمــاً وقــالــوا صدقــنـــا فقــلنـــا نعــم
أفــيقــوا فان أحـــاديثَــهـــم ضِعــاف الـقــواعــد والـمــدّغم
زخـــارف ما ثبـتــت في الـعقــول عمّـــى عليكــم بهــن الــمُـعَـمّ

المعم: المعمى، حذف الياء للقافية.

حدثني المـأسوف عليه هاشم الطعان ان العلامة الموصلي داود الجلبي، وهو من ابناء مدينته الموصل، زار ايطاليا في اوائل الثلاثينات فالتقى بمستشرق ايطالي، ذكره لي هاشم ونسيته، فسأله المستشرق:

أنت من القوم الذين يقول شاعرهم:

تلوا باطــلاً وجــلوا صارمــاً وقــالــوا صدقــنـــا فقــلنـــا نعــم

فقال الجلبي: نعم.

فقال له المستشرق: يكفيكم فخراً..

يعبر المستشرق الايطالي عن اهتزازه تجاه نص ثقافي يحكي عن قمع الثقافة بطريقة تعم المجتمعات والعصور الماضية والراهنة، في تحسس نادر لدى المستشرقين الذين لم يتمتعوا بنفس العمق الثقافي لزملائهم من المثقفين الغربيين.

نقد السياسة

ضلال سياسي

ما أجهـلَ الأممَ الـذين عرفتُهم ولعـلَّ سالفَهم أضـلُّ وأتبـر
يدعـون في جُمُعـاتهم بسفـاهةٍ لأميرهـم فيكـاد يبكـي المنبـر

الالقاب الكاذبة

وكـذاكَ يدعـى طاهـراً من كلُّه نَجسٌ ويُفقـد في الانـام الـطاهـر

عبث الحكام

ملكـوا فما سلكوا سبيلَ الرشد بل ملأوا الـديار ضوارباً ومـزاهـرا

الضوارب والمزاهر آلات موسيقية.

الاسماعيلية والقرامطة

ما للمـذاهـب قد أمسـت مغيِّرة لهـا انتسـابٌ إلى القَدّاح أو هَجَر
قالـوا البـريّة فوضى لا حساب لها وإنمـا هي مثـلُ النبتِ والشجـر

فالجاهلية خيرٌ من اباحتهم سجيةُ الحارث الحراب أو حُجُرِ
فما أفادوا سوى احلال نسوتهم معرّضاتٍ لأهل الباطل الفُجُرِ
وإنّ أحسن من تعظيمهم رجلاً ، صِفْراً من الحِكَمِ ، التعظيمُ للحجر

القداح: من مؤسسي الاسماعيلية.
الحارث الحراب وحُجر من سادات كندة وفرسانها في الجاهلية.
في البيت الرابع يشير إلى اتهام الباطنيين بالاباحية. وفي البيت الأخير إلى اتباعهم الاعمى للائمة.

طريقهم واحد

يسلك محمودٌ وأمثالُه طريق خاقانٍ وكُنداجِ

خاقان: من ملوك الترك قبل الاسلام. كنداج: لم اقف عليه.
محمود: هو الغزنوي، من ملوك الاسلام.

ضد الحرب

يا مُشرع الرمح في تثبيت مملكةٍ خيرٌ من المارن الخطّي سباح
يزيد ليلك إظلاماً إلى ظُلَمٍ فما له آخر الإيام إصباح

السبح: يستعار لمر النجوم وجري الخيل وسرعة الذهاب في العمل. وغير واضح غرضه منه.
المارن: الرمح اللين. الخطي: الرمح المصنوع في خط هجر باليمامة.

علاقة الخادع بالمخدوع

رُئس الناسُ بالدهاءِ فما ينفك جيلٌ ينقادُ طوعَ دهاته

بعده عن الحكام

وأقصـــاني من الـرؤسـاء كوني وكــونُـهــم لخــالـقـنــا عبيدا

إنفراد الطغاة بالبشر

عـائت ذئـابٌ فلم يزجـر معَّـرتهـا مستضعفـون لفقـدان السنـانير

السنانير: كناية عن القادة. . . غياب الزعامة التي تقود الضعفاء للرد على الذئاب الحاكمة.

تجاوز الحكام على عقد الحكم

مُلَّ المقـامُ فكم أُعـاشـرُ أمـةً أمـرت بغيرِ صلاحهـا أمـراؤهـا

ظلمـوا الـرعيّة واستجـازوا كيدهـا فَعَـدوْا مصـالحهـا وهم أجـراؤهـا

دعوة لمقاطعة السلطة

توحـد فان الله ربُّـك واحـدُ ولا ترغبنْ في عِشْـرة الـرؤسـاء

عجز الحكام في زمانه

يا ملوك الـبـلاد فزتـم بنَسء الـعـمـر والـجـورُ شأنُـكـم في النَّـسـاء

ما لكـم لا ترون طُرقَ الـمعـالي قد يزور الـهيجـاءَ زيرُ نسـاء؟

النسء: التأجيل. وكذلك النساء بفتح السين. زير نساء: في الاصل لقب المهلهل بن ربيعة. يقول:

حتى لو جذبتكم النساء وتولعتم بهن فهذا ليس مبرراً لاحجامكم عن الفعل فقد كان المهلهل زير نساء وفي نفس الوقت فارساً خاض الغمرات وصارع الاقران وصرعهم. .

أحوال الشام

إذا دنـوتِ لشـامٍ أو مررتِ به فنـكّبيه وراء الـظهـر أو حيدي
قد غيَّر الـدهـرُ منـه بعـدَ مبتهَجٍ وألْـحـد السيف فيه بعـد توحيد

الامراء والوزراء

هل الامـراء إلا في خسـارٍ أو الـوزراء إلا أهـلُ وزر؟

القرامطة

ألـمـا تعـجـبي من غير سُخْـرِ لقـدْحِ الـدهـر في جبـل وصخـر
ومخـرِ الغـادر الهَجَـري أرضـاً لهـتـك أوانسٍ كبنـات مَخْـر
ومـا كان الـتجـاربُ من رجـال سوى ملك يرام وحـب فخـر
كفـاك الـلبُ رحـلةَ جاهـلي تُزيرك أيلة وبـلاد نخـر

بنات مخر: غيوم بيضاء ربيعة.

أيلة: ميناء ايلات الفلسطيني. بلاد نخر: لم اقف عليها.

يتحدث عن غزوات قرامطة الاحساء واعتداءاتهم على من حولهم من مخالفيهم. وفي البيت الاخير يدعو للعودة الى السلوك الجاهلي.

دعوة لنزع السلاح

.. والرأي ان تدعوا الصوارمَ كلها بقـرى المشـارف والـرماحَ بسمهر

قرى المشارف يريد بها مشارف الشام وكانت تصنع فيها السيوف المعروفة بالمشرفية. وسمهر في الاصل اسم رجل من صناع الرماح. وهنا جعله .اسم بلد.

تقرير موجز عن أوضاع البلدان . .

أما الحجاز فما يُرجى المقامُ به ... لانه بالحرار الخمس مُحتَجزُ
والشام فيه وَقود الحرب مشتعلٌ ... يَشُبُّه القومُ شدت متهم الحجُزُ
وبالعراق وميض يستهل دماً ... وراعد بلقاء الشر يرتجز

الحرار جمع حرة: حجارة سوداء تكثر في اماكن معينة من الحجاز وعددها خمس حرات مذكورة في الجغرافيا القديمة.
الحجز جمع حجاز وهو الحزام.

السياسة العقلية

وإذا الرئاسةُ لم تُعَن بسياسةٍ ... عقليةٍ خطِئ الصوابَ السائسُ

حقوق دافعي الضرائب

وأرى ملوكاً لا تحوطُ رعيةً ... فعلام تؤخذ جزية ومكوس؟

تحوط: ترعى.

الحكام بين الجهل والخسة

يسوسون الانام بغير عقل ... فينفذُ أمرهم ويقالُ ساسه
فأُفٍّ من الحياة وأفٍّ منهم ... ومن زمنٍ رئاسته خساسه

جوع النساء وتخمة الخيل

وجدتُ الناسَ عَمّهُمُ سقوطٌ ... وكلُّ الخيل يدركها سِقاط

غدت لِلقـاطـهـا نســوانُ قومٍ وأفـراس الامـير لهـا لُقـاط

أمـا يُعـطي ذوي الحـاجـات حقاً وفـوق شَواتـه الـسيف السِقـاط

السقاط: العثرة. الشواة بفتح الشين: جلدة الرأس. قوله: غدت للقاطها.. يريد به بحث الجائعات عن الطعام فيما يسقط منه على الصعيد من ثمار أو فضلات. السيف السقاط: هو ما يقد القتيل من أعلى الى اسفل.

يدعو الى اخذ حقوق الفقراء من الامراء بقوة السيف.

اتفاق الدين والدولة على الظلم

لعمركَ ما في عالم الارضِ زاهدٌ يقينـاً ولا الـرهبـان أهل الصوامعِ

أرى أمـراءَ النـاس يُمسون شرهم إذا خطفـوا خطفَ البـزاة اللوامـع

وفـي كلِّ مصـرٍ حاكـمٌ فمـوفَّـق وطـاغ يحابى في أخسّ المطامع

يجـوز فينفي الملكَ عن مستحقه فتُسكبُ أسـرابُ العيون الـدوامع

ومـن حولـه قوم كأن وجـوهـهـم صفـاً لم يُليِّن بالغيوث الهـوامـع

عدول لهـم ظلم الـضعيف سجية يُسمَّـون أعـرابَ القـرى والجوامع

الصفا: الصخر. الهوامع: الهواطل.

عدول: في الاصل موظفين قضائيين يتولون تزكية الشهود. وكانت وظيفتهم أساسية في القضاء. استعمل الاصطلاح في اللزومية بمعنى أوسع يعم الاكليروس المسلم كما يتبين من البيتين الاخيرين.

غرضه من الشطر الاخير غير بيّن. لا علاقة بين العدول والاعراب والجوامع.

بلطجة سياسية

ظلمٌ مستضعفٍ وأخـذُ مكـوسٍ وحـياةٌ في عالـمِ منـكـوس

جلَّ ربُّ الانـــام زيدٌ كعـــمــروٍ   وأخــوَ الـبــرّ ليس بالمــوكــوس

ضد الحرب

فان تتـركوا الموتَ الطبيعيَّ يأتكم   ولم تستعينـوا لا حساماً ولا خِرصا
وكان لكم حرصٌ على العيش بيِّن   فما لكم حمتم على ضده حرصا؟

الخرص بكسر الخاء: سنان الرمح. ويطلق ايضاً على الرمح اجمعه.

شيوع الغش والخيانة

قد عَمَّـنـــا الـــغش وأزرى بنـــا   في زمـنٍ أعـــوز فيه الـخصـــوص
ان نُصـــح الـســـلطان في أمـــره   رأى ذوي النصح بعين الشُصوص
وكـــل من فوق الـــثـرى خائـــن   حتى عدول المصر مثل اللصوص

الشصوص: الازورار. ومنه الشص (أو هو من الشص) لانعقافه.

مع الحرب الدفاعية ضد الحرب الهجومية

ومـــا سَلُّ الـمـهـنّـــد للتـــوقي   كســـلّ الـمـشــرفـية للتـشفي
وليس الخمسُ ضاربـــة بسيفٍ   نظيرَ الـــخـمس ضاربـــة بدف
أبـــاغـــي حظه بقـنـــا وخـيلٍ   كبـــاغـــيه بمـــنـــوال وحَـــفّ

الحف، بفتح الحاء: مشط الحائك. والمنوال: هو النول.
تفضيل كسب العيش بالحياكة على كسبه بالسيف. والحياكة هنا كناية عن عموم المهن.

الحرب

وطُلّ قتيل فلم يُدّكَر | وغُلَّ أسيرٌ فما أُطلقا
وكم تركتْ آهلاً وحده | وكم غادرت مثرياً مملقا
يسائلُ في الحي عن ماله | وما القول في طائر حلّقا
ولم يك دهرهُم شاعراً | ولكنه لم يزل مُغْلقا
إذا كان هذا فعال الزمان | فان به كامناً أولقا
فليت السماكين لم يَطلُعا | وليت المنيرين لم يُخلقا

طُل القتيل: ذهب دمه هدَراً. يُدكر: يُذكر.

مملق: فقير. مُفلق: شاعر كبير. أولق: السريع في طيش من الدواب.

السماكين: نجمين. والمنيرين: الشمس والقمر.

القضاء

يقولون في مصر العدول وإنما | حقيقة ما قالوا العدول عن الحق
ولست بمختار لقومي كونَهم | قضاة ولا وضع الشهادة في رَق

الرق، بفتح الراء: جلد غزال كان يقوم مقام الورق قبل إن يتوصل المسلمين الى صنعه والبيت الاخير متعلق باشتغال اسرته في القضاء.

انحلال عام

كل البلاد ذميمٌ لا مقامَ به | وان حللتَ ديار الوبل والرهَم
إن الحجاز عن الخيرات محتجز | وما تهامة إلا معدن التهم
والشام شؤم وليس اليمنُ في يَمَنٍ | ويثرب الآن تثريبٌ على الفَهِم

الوبل: المطر الغزير. الرهم جمع رهمة بكسر الراء: المطر القليل ولكن الدائم.

انتقاد المنصور لقتله ابا مسلم

لو بعث المنصور نادى أيا   مدينة التسليم لا تسلمي

قد سكن القفرَ بنو هاشم   وانتقل الملكُ إلى الديلم

لو كنت أدري ان عُقباهُم   لذاك لم أقتل أبا مسلم

قد خدَم الدولةَ مستنصحاً   فألبَسته شِية العِظْلِم

العظلم، بكسر العين: صبغة حمراء. الشية هنا كناية عن اللون.

الحرب الظالمة

ومن بديع الجورِ ما بيننا   حربُك من ألقى إليك السَلَم

الاستغناء عن الدولة

ان أكلتمْ فضلاً وانفقتمُ فضلاً فلا يدخلنَّ والٍ عليكم

لا تُولوا أموركم أيديَ الناس إذا رُدتِ الامورُ إليكم

شمول الظلم والغش

بكل أرضٍ أميرُ سوءٍ   يضربُ للناسِ شرَّ سكةْ

قد كثر الغش واستعانت   به الاشدّاء والأركّة

ولم يجد سائلٌ عليماً   يُزيل بالمُوضِحات شكّه

الاصل في السلطة

إذا ما تبيّنّا الامور تكشفت لنا وأميرُ القومِ للقومِ خادمُ

تعاقب الطغيان

ان جارت الامراء جاء مؤمَّر أعتى وأجورُ يستضيم ويكْلِم
يتشبه الطاغي بطاغٍ مثله وأخو السعادة بينهم من يَسلم

يكلم: يجرح.

النهي عن الغزو والاسترقاق

أراك زنيماً ان تعرضت ليلةً لأُدْم رِماحٍ أو لغزلانِ أزنما
غنائمُ قومٍ سوف ينهبها الردى فلا تدنُ منها واجعل النسك مغنما

رماح وأزنم: عشيرتان من بني تميم. كنى بهما عن أي جماعة تتعرض لغزو.
والادم بضم الالف: جمع اديم وهو الجلد، كناية عن الامتعة. الغزلان: كناية عن النساء.

حرمان الكرام من السلطة

يدولُ الزمانُ لغير الكرام وتُضحي ممالكُ قومٍ طُعَم

طعم: جمع طعمة.

العراق والشام

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً ونحن بعدهُم في الارض قُطّان

ان الـعــراقَ وان الشــامَ مذ زمنٍ   صفــران ما بهمــا للملك سلطان
ساس الانــامَ شياطـين مســلَّطةٌ   في كل مصرٍ من الـوالين شيطان
من ليس يحفل خمصَ الناس كلِّهمُ   ان بات يشـرب خمـراً وهو مبطان
متى يقــوم إمــامٌ يسـتـقـيدُ لنــا   فتعــرفَ العــدل اجبــالٌ وغيطان

خمص: جياع. مبطان: متخوم. يستقيد: ينقاد.
غيطان جمع غائط: للمنخفض من القيعان.

عبيد الملذات

أتعجبُ من ملوكِ الارض أمســوا   للذاتِ الـنـفـوسِ عبـيدَ قنِ
فان دانـيتَهم لـم تعــدُ ظلمــاً   ومـنّــاً فى الامــور بغـير من

لم تعد: لم تتعدَ. المن الاخيرة قد يريد بها ما يعرف بالمن والسلوى لمادة صمغية تنزل من الجو وتعمل منها بعض الاغذية من الحلوى. وردت في اللزومية كناية عن العطاء.

حاجة الملوك الى التأديب

يُعــزَّر الـمَـلْك توقيراً، وحـق له   على الـمـآثــم تأديبُ وتـعــزيزُ

يعزر الاولى: يوقر. والتعزيز الثانية: التأديب. واصل الكلمة واحد وهو النصر، ومنه اسم ملك صيدا الكنعاني شمن عزر أي المنصور بالاله شمن. استعمل القرآن هذه المفردة في معنى النصر والتوقير واستعملت في الفقه للتأديب بقرينة ما يؤدي التأديب من تحسن سيرة المشمول به كأنهم حين أدبوه أعانوه على اصلاح نفسه.

تجبر الملوك

يســود النــاس: زيدٌ بعـد عمـروٍ كذاك تقــلُّبُ الــدُولات دُولــه
ومــن شر الــبـرية ربّ مُلكٍ يريد رعــيةً ان يســجــدوا له

الدولة بضم الدال ما تتداوله فئة دون اخرى ويكون عرضة للزوال ومنه اشتق اسم الدولة في الاسلام.

نقد الناس والمجتمع

التجار وقطاع الطرق

في البـدو خُرّابٌ اذوادٍ مسـوَّمـة   وفي الجـوامـع والاسـواق خُرّابُ
فهـؤلاء تسـمّـوا بالـعـدول أو   التجـار واسم اولاك القـوم أعراب

خراب: جمع خارب، لسارق الابل.
الاذواد: جمع ذود، قطيع الابل. مسوّمة: عليها علامات.

تفضيل الحجر على البشر

يحـسـنُ مرأى لبـنـى آدمٍ   وكـلُّهـم في الذوق لا يعـذُب
ما فيهـم بَرٌّ ولا ناسـكٌ   إلا إلـى نفـعٍ له يجـذب
أفـضـلُ من أفـضـلهـم صخـرةٌ   لا تظلم الـنـاسَ ولا تكـذب

كلنا سواء

من ليَ ان لا أُقـيمَ في بلدٍ   أُذكـر فيه بغـير ما يجـب
يُظنُّ بي الـيُسْـرُ والـديانـةُ والـعـلم وبـيـنـي وبـيـنـهـا حُجُـب

كل شهـوري عليَّ واحـدةٌ		لا صَفَـرٌ يتـقـى ولا رجـب
اقـررتُ بالـجهـل وادّعى فَهَمي		قوم فأمري وأمـرهـم عجـب
والـحـق أنـي وأنـهـم هَذَر		لسـت نجـيبـاً ولا همُ نُجُـب

التجار ايضاً

يا تاجرَ المصرِ ما انصفت سائمةً		كذبتهـا في حديث منـك منسـوق
ان تشكُ قطع طريق في الفلاة فكم		قطعت من قبل طرق الناس في السوق

سائمة: مشترية تساومه على الثمن.

جناية الآباء

تواصَـلَ حبـل النسـل ما بين آدمٍ		وبـيـنـي ولـم يوصـل بلاميَ باء
تـشـاءبَ عمـروٌ إذ تشـاءب خالـدٌ		بعــدوى، فمــا اعـدتنيَ الثؤبـاء
وزهّـدني في الخلق معـرفتي بهـم		وعـلمـي بان الـعــالـمين هبـاء
على الـوُلْـد يجني والـدٌ ولو أنهم		ولاةٌ على أمــصــارهـم خطبـاء
وزادَكَ بعـداً من بنـيك وزادهـم		عليك حُقـوداً أنــهـم نجـبـاء
يرون أبـاً ألـقـاهـم في مؤرَّبٍ		من الـعـقـد ضلت حله الأُربـاء

مؤرب: محكم. يشير الى عقدة الحياة المستعصية على العقلاء أو مصاعبها التي يتعذر حلها.

الانصاف في الذم

بني الدهر مهلاً ان ذممتُ فِعالكم فاني بنفسي لا محالةَ أبدأ
متى يتقضى الوقت والله قادر فنسكن في هذا التراب ونهدأ
تجاور هذا الجسمُ والروحُ برهةً فما بَرِحت تأذى بذاك وتصدأ

لو لم يخلقوا لكان أفضل!

فأُفٍ لعصريهم نهارٍ وحندسٍ وجنسيْ رجالٍ منهم ونساءِ
وليت وليداً مات ساعةَ وضعهِ ولم يرتضع من أُمه النُفَساء
يقول لها من قبل نطق لسانه تُفيدين بي أن تُنكبي وتسائي

اعترافات . .

أوصيت نفسي وعن ودٍ نصحتُ لها فما أجابت إلى نصحي وايصائي
والرمل يشبه في أعداده خطأي فما أهِم له يوماً باحصاء

ثوبيَ محتاجٌ إلى غاسلٍ وليت قلبي مثلُه في النقاء

كلهم سواء

وجدتُ الناسَ في هَرْج ومَرْجِ غواةً بين معتزلٍ ومرجي
فشأن ملوكهم عزف ونزف وأصحابُ الامور جباةُ خرج
وهمّ زعيمهم إنهابُ مالٍ حرامِ النهب أو إحلال فرج

مرجى : مرجىء نسبة الى المرجئة، فرقة ظهرت في الاوان الاموي عارضت الخوض فيما

نشب بين الصحابة من صراعات وقالت بارجائها الى يوم القيامة ليحكم فيها الله. ومن آرائها ان الايمان مقدم على العمل.

نقد.. ونقد ذاتي

ان مازت الناسَ اخلاقٌ يعاش بها　　فانهم عند سوء الطبع أسواء

أو كان كلُّ بني حواءَ يُشبهني　　فبئس ما ولدت في الخلق حواء

بُعدي من الناس برء من سَقامهُمُ　　وقربهم للحجى والدين أدواء

اسواء: متساوين.

الحجى: العقل.

الانسان لئيم بالطبع

وغَضِبْنا من قولِ زاعم حقٍ　　اننا في أصولنا لؤماء

فَهُمُ الناسِ كالجهولِ وما يظفَرُ إلا بالحسرة الفُهماء

الاعوجاج هو الاصل

وفي طباعكَ زيغٌ، والهلال على　　سموّه حِلف تقويس وتعويج

اشرف الناس!

وأشرف من ترى في الارض قدراً　　يعيش الدهرَ عبد فمٍ وفرج

الدهر: أي طول الدهر.

الاجماع على الجهل

عَدِمْتُكِ يا دنيا فأهلك أجمعوا على الجهل: طاغٍ مسلمٌ ومُعاهد

لقد ضل هذا الخلق: ما كان فيهم ولا كائنٌ حتى القيامة زاهد

المعاهد: الذمي.

أفاعيلنا العجيبة

وأحلفُ ما الانسان إلا مذمم أخو الفقر منا والمليكُ المحجب

أيعقلُ نجمُ الليلِ أو بدر تِمّه فيصبح من أفعالنا يتعجب؟

ذئبية البشر

لمْ يقدرُ الله تهذيباً لعالمنا فلا تروِمنّ للاقوام تهذيبا

ولا تصدق بما البرهانُ يُبطله فتستفيدَ من التصديق تكذيبا

يغدو على خِلّه الانسانَ يظلمه كالذيبَ يأكل عند الغرة الذيبا

الغرة: الغفلة.

هل كان آدم عاقلاً؟

كأنّ حواء التي زوجُها آدمُ لم تَلْقَحْ بشخص أريب

قد كثرت في الارض جهالنا والعاقل الحازم فينا غريب

الاصل الوسخ

جسميَ انجاسٌ فما سرني   اني بمسك القول ضُمّختُ
من وسخٍ صاغ الفتى ربُّه   فلا يقولنَّ توسختُ

كلنا أبو لهب

وكلُّنا في مساعيه أبو لهبٍ   وعِرسُهم لم يقع في جيدها مسد
وهكذا كان أهل الارض كلهم   فلا يظن جهول انهم فسدوا

في البيت الاول اشارة الى قول القرآن عن زوجة ابو لهب: في جيدها حبل من مسد.

الامير والتقي

قالوا فلان جيدٌ لصديقه   لا يكذبوا ما في البرية جيّد
فأميرُهم نال الامارةَ بالخنا   وتقيّهم بصلاته يتصيّد

سهولة حياة الحيوان
وتكاليف حياة الانسان

أرى حيوان الارض غيرَ أنيسها   إذا اقتات لم يفرح بظلم ولا جدا
أتعلم أسدُ الغِيل بعد افتراسها   تحاول دُراً أو تحاول عسجدا؟
وما اتخذ الابرادَ سِرحانُ قفرةٍ   ولا شب ناراً أين غار وأنجدا
وأضعفُ من تلقاه من ابن آدمٍ   إذا ما شتى يبغي وقوداً وبَرْجدا

وأنصفُهم : ما هابت الوحش سُبّةً ولا وقعت من خشية الله سجدا

جدا: عطاء. الغيل: الغابة. العسجد: الذهب.
الابراد: جمع برد صنف من الثياب. سرحان: ذئب. انجد: ارتفع.
برجد بفتح الباء: قماش غليظ..
.. الحيوانات خلصانة من اثقال الديانة.

انحطاط الحاكم والمحكوم

ومـا أعجبتني لابن آدمَ شيمـةٌ على كل حال من مسودٍ وسائدِ

الاصل غير طاهر

يا ليتَ آدم كان طلَّق أمهـم أو كان حرّمـها عليه ظِهـار
ولـدتهـم في غير طهـر عاركـاً فلذاك تفـقـد فيهـم الاطـهـار

الظهار: هو قول الرجل لزوجته عند الشجار أو الغضب: انت علي كظهر أمي. وتحرم عليه عندئذ حتى يدفع كفارة.
عارك: حائض. معنى اللزومية ان آدم ضاجع حواء وهي حائض فجاء اولادهما غير اطهار...

حيوانات البر آنس

والوحش في الفلوات أجمل عِشْرة للمـرء من أهـليه في الامـصـار

الامصار: المدن.

الخير هو الاستثناء

شذَّ التقيُّ فمـا يقـاسُ على أبي ذرٍ وشـيمـتـه رجـالُ غفـار

أنا وهم سواء

إذا سألـوا عن مذهبي فهـو بيّنٌ وهـل أنـا إلا مثـلَ غيري أبله؟
خُلقتُ من الـدنيا وعشت كأهلهـا أجـدّ كمـا جدوا وألهـو كمـا لَهـوا

مضار النسل

خيرُ النســاءِ اللواتي لا يلدن لكم فان ولـدن فخير النسـل ما نفعـا
وأكثـر النسـل يشقى الـوالـدان به فليتـه كان عن آبـائـه دُفـعـا
أضـاع داريك من دنـيا وآخـرة لا الحيَّ أغنى ولا في هالك شفعا
وكم سليلٍ رجـاه للجـمـال أبٌ فكـان خزياً بأعلى هضبة رُفعـا

الظلم طبع

وعـقـلك يا أخـا الـسـبـعين واهٍ كأنـك في ملاعبـك ابن سبـع
ظلمـتَ وكـلّنـا جانٍ ظَلومٌ وطبعـك في الخيانـة مثـل طبعي
يسـرّك ان رُبـع سواك خالٍ إذا مُكّـنـتَ من أهـل وربْـع
ولـولا ذاك ما حُمّـلتْ لرمـيٍ معـابـل صائـد وقـسـيُّ نبـع

«ربع» الاولى في البيت الثـالث تعني المنـطقـة أو الحـارة. وربع الثانية تعني المعشر والجماعة. المعابل: السهام العريضة. والنبع: الشجر الصلب تتخذ منه القسي والسهام.

مخازي الناس

وفـرّقــتـهـم على علاّتـهــا مِللٌ   وعـــنـد كل فريق انـهـم ثَقِفـوا
ولــو درت بمـخـــازيهـم بيوتـهـم   هوت عليهم ولم تُنظرهم السُقُف

ثقفوا: صاروا حاذقين مهذبين وهو أصل اصطلاح ثقافة.
تنظرهم إنظاراً: تؤجلهم.

تنديد بأهل المعرة

ما لُمـت في أفعـــالــه صالـحـــاً   بل خلتُــه أحـــسـنَ مني ضمـير
يا قومُ لو كنــتُ أمــيراً لكـم   ذمـمـتُـم في الـغـيب ذاك الامـير
وإنـــمـــا سائـســكــم دائـــبٌ   يرعـى المـطايا ويســوق الحمير
وردتـــم الآجــنَ من دينـكـــم   ومـــا ظَفِــرتُـم بالـصـريح النمير
فعـرّفــونــي بفــتــىً منـكُــمُ   لا يمـتــري الـنـــاس ولـكن يَمير

صالح: يقصد ابن مرداس الذي حاصر المعرة ثم انسحب عنها بشفاعته.
الآجن: الآسن، الفاسد.
يمتري: يأخذ الميرة، يمير: يعطيها.
في البيت الثاني دليل حاسم على انه لم يحكم المعرة خلافاً لما توهمه ناصر خسرو.

الاساءة هي الاصل

والمـرء ما عاش مبسـوطٌ إســاءتُـه   يشقى به القوم ان هانوا وان فرعوا

فرعوا: علوا وارتقوا.

لا تصلوا علي

سأفعـل خيراً ما استطعت فلا تُقَم — عليّ صلاةٌ يوم أصبـح هالكـا
فمـا فيكـمُ من خيّرٍ يُدَّعـى به — يفـرج عني بالمضيق المسـالكا

ليس فيكم خيّر يساعدني بصلاته على عبور الصراط. . .

انقلاب المقاييس والجيل القادم أرزل

وصـاحبُ نكرٍ بات يُعـذرَ بيننـا — وفـاعـلُ معـروف يلام ويُعـذل
وقِـدْمـاً وجدنا مُبطل القوم يعتدي — فيُنصـر والغـادي مع الحق يُخذل
فان يك رَذْلاً عصـرنـا وأنـامُـه — فمـا بعـد هذا العصـر شر وأرذل

الانام: المخلوقات وتخصص بالبشر. أصلها من Animo اللاتينية وتعني النفس.

اليأس من الاصلاح

ناديت حتى بدا في المنطق الصَحَلُ — تخـالفَ الناسُ والاغراضُ والنِحَلُ
رجـوا أمـامـاً بحقٍ أن يقـوم لهم — هيهـات لا بل حلول ثم مرتحـل
ولـن يزالـوا بشـرٍّ في زمـانـهـم — مادام فوقـهـمُ المـريخُ أو زحـل

الصحل بفتحتين: بحة الصوت.

النحل جمع نحلة بكسر النون وهي الملة.

حاجة الارض للطوفان. .

فَسْـلٌ أبـو عالـمـنـا آدمٌ — ونـحـن من والـدنـا أفسـل

لو تعلم النحل بمشتارها لم ترها في جبل تَعْسل
والخير محبوب ولكنه يعجز عنه الحي أو يكسل
والارض للطوفان مشتاقة لعلها من درنٍ تُغسل
قد كثر الشر على ظهرها واتُهم المُرسِل والمُرسَل
وأمقرت أفعال سكانها فهم ذئاب في الغضا عُسَّل

مشتار النحل: الذي يجمع العسل منها. درن: وسخ.
أمقرت: صارت مرة. الذئاب العُسَّل: السريعة الجري.
الغضا: شجر بري تعيش فيه الذئاب. وكان العرب يتخذون منه وقوداً جيداً.

لصوصية الورثة

مال الدفين أتى الوراث فاقتسموا ولم يراعوه في ثلث له قَسما
لا اطعموا منه مسكيناً ولا بذلوا عُرفاً ولا كفّروا في حِنثه قسما
أوصى فلم يقبلوا منه وعاهدهم فقابلوا بخلاف كل ما رسما

الثلث: هو ما يسمح للمورث ان يوصي به خارج الحصص المقررة شرعاً للورثة. الحنث بكسر الحاء: نكث القسم. العرف: المعروف.

ضغط الغرائز على الانسان

أجِدَّك لن ترى الانسان إلا قليلَ الرشد محتملاً ملاما
وتحمله الغريزة وهو شيخ على ما كان يفعله غلاما

عدوان البشر وخفة عقولهم

أخفّتْ حلوم الناس أم كان من مضى ... من القوم جُهالاً خِفاف حلومِ ؟
فلا تأسفنّ الشاة إن أدنيَ ابنها ... لشفرة عاتٍ للرّجال ظلوم
فلو حَمَلُ الخضراء أصبح بينهم ... لآض ذبيحاً أو نجا بكلوم
أناس متى تهرب إلى القبر منهم ... فأنت بعلم الله غير ملوم

حمل الخضراء: يريد به الحمل الذي سمي به احد الابراج الاثني عشر في الفلك القديم.
كلوم: جروح.
الحلوم: العقول.

عيوبه وعيوب الناس

أجامل الناس ولو أنني ... كشفتُ ما في السر أخزاني
أسِيتُ من نقصي ولكنّ ما ... يظهر من غيري عزاني

اسيت: حزنت.

وحشية الناس وعدم ارتقائهم

بعضكمُ يقتل بعضاً كأن ... جوزيتُمُ عن غنمٍ تعبطون
ظن ارتقاءً بكمُ جاهلٌ ... وكلكمْ في ضَبَبٍ تهبطون
ضبطتم المال ولكن ما ... يجمح بالانسان لا تضبطون
لم تقتنوا مجداً وأصبحتُم ... قنَّ فروجٍ لكم أو بطون

يعبط هنا بمعنى يذبح.
ضبب: منخفض.

حماية الانسان للغنم؟

لو حاورتك الضأنُ قال حصيفها ... الذئبُ يَظلم وابنُ آدم أظلمُ
اطردت عنا فارساً ذا رُجلةٍ ... ساقته حاجته وليلُ مظلم
ويزيده عذراً لدينا أنه ... سَدْران ليس بعالمٍ ما تعلم
تهوى سلامتَنا وترعى سرحَنا ... وحراب ضارٍ من حرابك أسلم

رجلة بضم الراء: القدرة على المشي. سدران: سادر، غافل غير واعٍ. يهزأ من حماية الانسان للغنم من الذئاب.

اخلاق القرود

تشبَّه بعضٌ ببعضٍ فما ... تزال الشمائلُ قردية

من اين تأتيكم النجابة؟

بني الارض ما تحت التراب موفَّقٌ ... لرشدٍ ولا فوق التراب سوى فَسْل
أكان أبوكم آدمٌ في الذي أتى ... نجيباً فترجون النجابة في النسل؟

اكتشاف!

ظننت أنيَ وحدي مخطىء فإذا ... أفعال كل بني الدنيا كأفعالي

حتمية الظلم

ولم يأت في الدنيا القديمة منصفٌ ... ولا هو آت، بل تظالمنا جزم

الخير الموهوم

توهمتَ خيراً في الزمان وأهله وكان خيالاً، لا يصح التوهم

فما النور نوّارٌ ولا الفجر جدولٌ ولا الشمس دينارٌ ولا البدر درهم

أخلاق الطيور وأخلاق البشر

أعيرتَ غيرك داءً عراه وخالقُك الواهبُ المُجزل

وقد عاش ما شاء هذا الغراب فما قالت الطير يا أقزل؟

أقزل: أعرج.

الجهل الشامل

هذي الحياة مسافةٌ فاصبر لها كيما تَبينَ وأنت غيرُ مَلومِ

في عالمٍ أخذ الاله عقولهم فغدوا جميعهُمُ بلا معلوم

تبين: من البين وهو الفراق.

تطلع نحو الجاهلية

عش بخيلاً كأهل عصرك هذا وتبالَهْ فان دهرك أبلَهْ

قومُ سوءٍ فالشبل منهم يغولُ الليثَ والليثُ يأكل شبلَه

ان تُرد أن تخصَّ حراً من الناس بخيرٍ فخصَّ نفسك قبله

أوردوك الاذى لتغرق فيه وأروك الخنا لتعرفَ سُبْله

هل ترى ناعباً كعنترة العبْسي يبكي على منازل عبله

أو خُفـافٍ يرثـي رجـال سُلَيم　　أو سُحيم يحـدو مع الركب إبله؟

خفاف بضم الخاء: ابن ندبة بضم النون شاعر جاهلي. سحيم: عبد بني الحسحاس شاعر مخضرم جاهلي اسلامي.

أعينوا من أنتم مثله

إذا مر أعمى فارحمـوه، وأيقنـوا　　وان لم تُكَـفَّـوا ان كلكُـمُ أعـمى

مبدأ خالف تعرف

وخالفَ ناسٌ في السجايا ليُشهروا　　كمـا جُعل التصريع ختم القصائد

التصريع: تكرار القافية في الشطرين ويكون عادة في المطلع. وجعله في ختام القصيدة مخالفة يفسرها بالرغبة في اشهار القصيدة أو الشاعر.

الى الادباء

بنـي الآداب غرّتـكـم قديمـاً　　زخـارفُ مثـلُ زمزمةِ الـذبـابِ
ومـا شعـراؤكـم إلا ذئـابٌ　　تَلصَّصُ في المـدائـح والسِباب
أضـرُّ لمـن تودُّ من الاعـادي　　وأسـرق للمقـال من الـزبـاب
أقـارضـكـم ثنـاءً غيرَ حقٍ　　كأنـا منـه في مجـرى سِياب
أأذهـبُ فيكـمُ أيامَ شيبـي　　كمـا أذهـبـت أيام الـشبـاب؟
معـاذ الله قد ودعـتُ جهـلي　　فحـسبـي من تميمٍ والـربـاب
ومـا سُمُّ الـحُـبـاب لديَّ إلا　　كنـظم قيل في آل الـحـبـاب

شُغــولٌ ينــقـضـين بغـير حمــدٍ ولا يرجــعــن إلا بالــتــبــاب
ذرونـي يفـقــد الهــذيانَ لفــظي وأُغــلقُ للحِــمــام عليَّ بابــي

الزباب: جمع زبابة جرذ كبير يضرب العرب به المثل في السرقة.
الحباب بضم الحاء: الحية. وآل الحباب عشيرة. يقارن سم الحية بشعر المدح.
شغول: جمع شغل. التباب: الهلاك. زمزمة الذباب: طنينه. الحمام: الموت.

شرارهم

فِرَقــاً شعــرتُ بأنــهــا لا تقــتـني خيراً وان شرارَهــا شعــراؤهــا

ومصدر التضليل والكذب

ومــا أَدبَ الاقــوامَ في كل بلدةٍ إلــى الــمـين إلا معــشـر أدبــاء

المين: الكذب. ادب: في الاصل دعا الى مأدبة. ومراده الدعوة عموماً.

قصيدة المدح

لا خيرَ في جَزْل الــعــطاءاتــى رجــلاً بأن كلامَــه جزلُ
يرجــو فيمــدح غيرَ مرتــقــبٍ ربــاً وكــلٌ كلامــه إزْلُ
خيرٌ لعــمــري من جمــائــله الــكــوم الــجــلادِ، جمــائــلٌ جُزْل
شَهَــرتْ سيوفَ الــقــول طائــفــةٌ كُذْب، وأفــضــل منــهــم العُــزْل،

إزل بكسر الهمزة: كذب. جمائل: جمال. كوم: ضخمة السنام. جزل: مقروحة.
يريد ان الابل المريضة افضل من الابل القوية التي استلمها هذا المرتزق من ممدوحه.

النحويون

تبــاهــوا بأمــرٍ صيّروه مكــاسبــاً فعــاد عليهم بالخسيس من الامــر
ولم يصنعـوا شيئـاً ولكن تنـازعـوا أبــاطيلَ تُضحي مثلَ هامدةِ الجمر

.. واللغويون

ما ثعلبُ، وابن يحي مبتغاي به، وان تفــاصــح إلا ثعلبُ ضَبَحــا

يريد به اللغوي المعروف ثعلب. الضبح : صوت الثعلب.

من شوارد اللزوميات ونوادرها

الى الانسان

كم غال طاهيكَ من عفراءَ مُرضعةٍ ... وذاتِ لونين صارت قوتَ مكسال
وقد ضننتَ بشاةٍ وهي فاردة ... على أزلٍّ فقيدِ القوت عسّال
بخلت ان يتغذى طفله دمها ... وأنت شارب لَذ الطعم سلسال

مكسال: امرأة مدللة. ازل عسال: يريد به الذيب. ضن: بخل.

سلم مع الظباء

وما الظبيات مني خائفات ... وردْنَ على الاصائل أو ربضنه
فلا تأخذ ودائعَ ذاتِ ريش ... فما لك أيها الانسان بضنه

ودائع: يريد بها البيض.

تحذير للثعلب

ثُعالةُ حاذر من أمير وسُوقةٍ ... فمن لفظ صيد جاء لفظ الصيادنِ
ولا تتخذ من آل حواءَ صاحباً ... وغيرَهُمُ ان شئت فاصحب وخادن

فان كان في دنياك للشـر معـدن		فانهـمُ في ذاك أزكى المعـادن
ولا تقرب الناظور في الارض خلته		هِدانـاً فتَلقى فاتكـاً لم يهـادِن
وكم أيّمـوا من ضيغمٍ أُمَّ اشبُـلٍ		وكـم أثكـلوا من أم شاد وشـادن

الصيادن: الصيادلة وهنا يراد بهم الحذاق في أي شيء. شادن: غزال. الناظور: الناطور. ايموا: قتلوا الزوج فصارت الزوجة ايم أي أرملة. أثكلوا الانثى: قتلوا ولدها فهي ثاكل.

لا أُشْـرَك الجديَ في دَرٍّ يعيش به		ولا أروع بنـات الـوحش والضـان

الجدي: ابن السخلة.

الرحمة بالبرغوث

تسـريحُ كفيَ برغـوثـاً ظفـرتُ به		ابـرّ من درهـم تعـطيه محتـاجـا
لا فرقَ بين الاسـكّ الجَون أُطلقُه		وجَـون كنـدة أمسى يعقـد التـاجا
كلاهـمـا يتـوقـى والـحياة له		حبيبـة ويروم الـعيش مهتـاجـا

الاسك: الصغير الآذان أو المصلومها. يريد به البرغوث.
جون كنـدة: لقب ثور بن عَفير من آبـائهم ذوي النفـوذ. اللزومية تساوي في الحقوق والمشاعر بين زعيم كندة هذا وبين البرغوث...

الامومة الواحدة في البشر والحيوان

وسـيان أمُ بّرة وحـمـامـة		غذت ولـداً في مهـده وغذت بُجّا
فلا تَبـكُـرنْ يومـاً بكـفـك مدية		لتُـهلك فرخـاً في مواطنـه دجـا

البج بضـم الباء: فرخ الحمام. دج: مشى، فعل مختص بالطيور (قارن مع اسم الدجاج).

انتقاد للحمامة

لقد أكثرت في يومها أم ناهض　　　من السجع حتى مُل منطقُها الهذرُ
وقد عُذرت في نوحها وغنائها　　　فلما أطالت فيهما بَطَل العذر

ناهض: اسم لفرخ الحمام.

تطمين للحيوانات

أرى حيوانَ الارض يَرهبُ حتفَه　　　ويُفزعه رعد ويُطمعه برق
فيا طائرُ أئمنّي ويا ظبي لا تخف　　　شذاي فما بيني وبينكما فرق

الشذى هنا بمعنى الحدة والقوة. [لتحديث هذا البيت يمكن احلال اذاي محل شذاي].

تحريض الغراب على البشر

جر يا غراب وأفسد، لن ترى أحداً　　　إلا مسيئاً، وأي الخلق لم يجرُ
فخذ من الزرع ما يكفيك عن عُرُض　　　وحاول الرزقَ في العالي من الشجر
وما ألومك بل أوليك معذرةً　　　إذا خطفتَ ذُبال القوم في الحُجَر
فآل حواءَ راعوا الأسد مُخْدِرةً　　　ولم يغادوا بسلم ربة الوُجُر
ومن أتاهم بظلم فهو عندهُمُ　　　كجالب التمر مغتراً إلى هجر
هم المعاشرُ ضاموا كل من صحبوا　　　من جنسهم وأباحوا كل محتجر
لو كنتَ حافظ أثمار لهم يَنَعتْ　　　ثم اقتربت لما أخلوك من حَجَر

الذبال: الفتيلة.

مخدرة: وهي في خدرها. الوجر جمع وجار، مأوى الحيوانات الاقل ضراوة كالضبع.

محتجر: من الحجر وهو المنع والحظر ويراد به المصان الممنوع.

في البيت الرابع يقول ان مصدر العدوان هم البشر لا الضواري. وفي الخامس أن الحيوان اذا اعتدى على الانسان لا يأتي بجديد مادام الانسان قد ألف العدوان وتجوهر فيه فهو اذ يؤذي الانسان يكون كمن يجلب التمر الى مدينة هجر المعروفة بانتاجها الوفير للتمور. وفي اللزومية تضمين للمثل القائل: كجالب التمر الى هجر. يضرب لمن يأتي بأمر أو قول معروف شائع.

زواج الفتاة من الشايب

إذا خطبَ الـزهـراءَ شيخٌ له غنى	ونـاشيءُ عُدْمٍ ، آثـرت من تعـانق
وقـل غَنـاءً عن فتـاةٍ، وزوجُهـا	أخـو هرم، أحجـالهـا والمخـانق

ناشيء عدم: شاب فقير. آثرت: فضلت.

الاحجال والمخانق: من حلى المرأة. وهذه لا تغني الفتاة وزوجها هرم.

بدا شيبـه مثـل النهـار ولم يكن	يشـابـه فجـراً أو نجـوم ظلام
يحـدثهـا ما لا تريد استمـاعـه	ولـم يبـق عنـد الـشيخ غير كلام
تقـول له في الـنفس غيرَ مُبينـةٍ	خذ المهـر مني وانصـرف بسـلام

تأييده المهر الغالي

مهـر الـفتـاة إذا غلا صونٌ لهـا	من ان يبـتَّ عشيرُهـا تطليقَهـا
هوي الفـراق وخـاف من إغـرامـه	فأدام في أسـبـابـه تعـليقـهـا
ولـربـمـا ورثـتـه أو سبـقـت به	أقـدارَ ميتـتـهـا فكـان طليقَهـا

تفضيل الزواج من العاقر

إذا رمتَ يوماً وصلةً بقرينةٍ　　فخيرُ نساء العالمين عقيمها

خير النساءِ اللواتي لا يلدن لكم　　فان وَلَدْنَ فخير النسل ما نفعا

ـ حول تعدد الزوجات (زواج الضرائر) راجع باب نقد الدين.

دعوة للمشاركة

كيف لا يُشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النَعْماء؟

التفاوت الطبقي

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته　　فقيرٌ معرّى أو أميرٌ مدوَّجُ

وقد يرزق المجدود أقوات أمّةٍ　　ويُحرَمُ قوتاً واحدٌ وهو أحوج

الدواج: كساء غليظ للشتاء. والمدوج لابسه. المجدود: المحظوظ.

الى الشحاذ

قطعتَ البلادَ فمن صاعدٍ　　بغيث النوال ومن هابط

تمدُّ عصاك إلى النابحات　　فيَعجبن من جأشك الرابط

وتغبطُ كلًا على ما حواه　　وما لك في العيش من غابط

وقفتَ على كل بابٍ رأيتَ　　حتى نهاك أبو ضابط

أبو ضابط: كناية عن الموت.

الى الاغنياء

والـفقـر أحمـدُ من مالٍ تبـذّره ان افـتقـارَك مأمـون بـه السَرَف
يعـرى الفقير وبـالـدينـار كسـوتـه وفـي صِوانـك ما إعـداده خرف

السرف: الاسراف.
الصوان: خزانة الملابس.

مع الفقراء ضد الملوك

فمن مبلغٌ عني المـآلـكَ معشـراً علياً ومـحمـوداً وخـانـاً وآلكـا
فمـا اتـمـنى أنـني كأجـلكـم ولكن أضاهي المقترين الصعالكا

مآلك جمع مألكة: رسالة.
في الشطر الثاني اسماء لملوك وامراء.

شيوعية المال

لو كان لي أو لغـيري قيدُ أُنْـمُـلَةٍ فوق التـراب لكـان الامـر مشتركا

انملة بضم الالف والميم: طرف الاصبع. قيد: مقدار.

المال عند من لا يحتاج اليه

قد يحـوز الـخـب الـشـحيح جبـا المـاء ولا يستحق نضـحَ لَهـاتـه

جبا الماء: حوضه.

دعوة لتوزيع المال

ففــرق مالــك الــجــم وخــل الارض تســبــيلاً

التسبيل: اشاعة الاموال. والمسبَّل المشاع.

ضد الحرب

فان تَرْشُدوا لا تخضِبوا السيف من دم ولا تُلزمـوا الأميال سبـر الجـرائـح

الاميال جمع ميل وهو المسبار ونحوه. وهنا كناية عن الرماح.

ولا تشيمنْ حسـامـاً كي تُريقَ دماً كفـاكَ سيفٌ لهذا الدهر ما حُمِدا

شام الحسام: شهره.

المساواة على اختلاف الاديان

وسـاوِ لديك أتـرابَ النصـارى وعِـينـاً من يهـودَ ومـسـلـمـاتِ

ومـن جاورتَ من حُنُـفٍ وسـربٍ صوابـىء فليبـنَّ مكـرَّمـات

فان الـنـاس كلُّهـمِ سواءٌ وان ذكت الحـروب مُضـرَّمـات

الاتراب والعين بكسر العين: يريد بها النساء. والحُنُف: المسلمات والصوابىء: الصابئيات.

وعلى اختلاف الاقوام

لا يفـخـرنَّ الـهـاشـمـيُّ على امـرىءٍ من آل بربـر

فالـحـقُّ يحـلف ما علي عنـده إلا كقـنـبـر

قنبر: خادم علي بن أبي طالب.

تقاتل على السلطة

فلا تشهـرن سيفـاً لتطلب دولـةً فأفـضـل ما نلت اليسير المـروَّج

حرية الاديان

تروم شفـاءَ ما الاقـوامُ فيه؟ رويدكَ ان داء الـقـوم أعـيا

وألـقـت هذه الايام علمـاً إليكَ فلم تصـادف منـك وعـيا

ودينُـك ما عليَّ الـحـكـم فيه فابـغـي للذي أخـفـيتَ بغـيا

إذا الانـسـان كفَّ الشـرَّ عني فسـقـياً في الـحـياة له ورَعـيا

ويدرس ان أراد كتـابَ موسـى ويُضـمـر ان أحـب ولاء شعـيا

شعيا: نبي يهودي. اسمه في العهد القديم اشعياء.

قبول الاختلاف

ان خالفـوكَ ولم يجـرر خلافُهُمُ شراً، فلا بأس: ان الناس أخياف

اخياف: اخوان لام واحدة وآباء مختلفين. ويكونون في العادة اقل وئاماً من الاخوة الاشقاء أو الاخوة لإب.

البشر أقرباء

وما نأتِ القرابةُ من أناسٍ — أبوهم يافثٌ وأبوك سام

يافث، حسب التوراة، احد ابناء نوح، أي أخو سام. وهو ابو يأجوج ومأجوج (الصين) والروم والصقالبة والترك حسب علم الانساب اليهمسلامي.

تكافل الناس وتعاونهم

والناس بالناس من حَضْرٍ وباديةٍ — بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خدم

وكل عضو لامر ما يمارسه — لا مشيَ للكف بل تمشي بك القدم

الرد على الشر بالشر

ولا تك جازياً بالخير شراً — وان انا خنت في سببٍ فخنّي

إنصاف الموتى

لا تظلموا الموتى وان طال المدى — اني أخاف عليكم ان تلتقوا

حول تبادل الهدايا

إذا كنت تُهدي لي واجزيك مثلَه — فان الهدايا بيننا تعبُ الرسلِ

فلا أنا مغبونٌ ولا أنت في الذي — بعثنا: كلانا غير ملتمس الرسْل

فدونك شغل ليس هذا لعله — يعود بنفعٍ / لا كشغلك بالنسل

أبــوك جنـــى شراً عليك وإنــمـــا هو الضب إذ يسدي العقوق ألى الحسل

الرسل بكسر الراء: الرفق. ومنه قولهم على رسلك أو جاء على رسله.
الحسل بكسر الحاء: ابن الضب.
يقول: لا تشتغل بالهدايا مع شرط التبادل وابحث عن شغل آخر على ان لا يكون الزواج والنسل.

عيادة المرضى

إذا عُدتَ في مرضٍ مُكـثـراً فخـفـف وخَـفْ ان تُمـل العليلا
وان كان ذا فاقـةٍ مقـتـراً فأسـلفْ وان كان نيلاً قليلا

أملّه: سبب له الملل.

قبول المجاملة

ولا تبـدوا عداوتـكـم لقـوم أتوكم في الـحـياة مجـامـلينـا

ناكري الجميل

بعض الـرجال كقبر الميت تمنحه أعـز شيء ولا يعـطيك تعـويضـا

من أصول المجالسة

لا يَفـقـدنْ خيرَكـم مُجـالـسُكم ولا تكـونـوا كأنـكـم سَبَـخ
ولا كقـومٍ حديثُ يومـهُـمُ ما أكـلوا أمـسـهم ومـا طبخـوا

الترحيب بالطفيلي

ان كنت صاحبَ اخــوانٍ ومـائـدةٍ فاحبُ الــطفيليَّ تأهيلاً وتــرحيـا
لا تلقــينْــه بتـعـبـيس لتــوحشـــه فالـزادُ يفنى ولا يُبقى الاصـاحيـا

مسألة كرامة

من السعد في دنياكَ ان يهلِك الفتى بهيجاءَ يغشى أهلُها الطعنَ والضربا
فان قبـيحــاً بالـمســود ضجعــة على فَرْشه يشكو إلى النفر الكربا

المسود: الزعيم..

المصدر الصحيح للرزق

فُرَّ من هذه الــبـرِيّة في الارض فمـــا غير شرهــا لك حاصـــل
واطــلب الـــرزق بالــمــرور من الــشـجــراء لا من أسـنّــةٍ ومـنــاصـــل

المرور: جمع مر وهو المعول. الشجراء: كناية عن النباتات. مناصل: سيوف.

الحث على أكل الزيت

يكـفـيك أدْمـاً سليط ما اريق له دم ولا مسّ روحاً، إذ جرى، ألم
له فضــائــل منهــا فقــد كلفتــه وانــه بســنــاه تنجلي الــظُلَم

ادم بضم الالف: أدام. فقد كلفته: رخصه.

العمل بدل الشحاذة

لا تقـومـنَّ في الـمـسـاجـدِ ترجـو بهـا الـزُلَـف
مُعْـمـلاً بسطَ راحـتـيكَ إلـى نائـلٍ يُلَف
ورُم الـرزق في الـبـلاد فان رُمْـتَـه ازدلـف

الزلف: جمع زلفى وهي التقرب والتوسل لاخذ المعونة من الناس. ازدلف: اقترب.

حث على السعي

.. فالرزق يهتف يا إنس اعملوا وكُلُوا يا أيهـا الـظبي رد يا طائـر التقطِ

عدم تنويع الاطعمة

يكـفـيك طُعـم جنسـه واحـد اطـعـمـةً ضرت بتـجـنيسـهـا

طعم بضم الطاء: طعام.

قارن مع كتاب التاو:

الخمسة ألوان تعمي العين.

الخمسة طعوم تفسد الذوق.

الخمسة أصوات تُصم الاذن.

سعة العلوم وقصر العمر

أمـا الـمـراد فجمٌّ لا يحيط به شرح ولكن عمـر المرء مختصـر

الاستعلاء على الحوادث

إذا صح فكر المرء فيما ينوبه ... من الدهر لم يَشْغَل بحادثةٍ فكرا

كفاح الانسان ضد طبيعته

والمرء في حال التيقظ هاجعٌ ... يرنو إلى الدنيا بمقلةِ حالم

وأخو الحجى ابداً يجاهد طبعَه ... فتراه وهو محارب كمسالم

الحجا: العقل. مجاهدة الطبع وسيلة المثقف الكوني لاعادة خلقه.

معيشته

لباسي البُرْسُ فلا أخضرٌ ... ولا خَلوقيٌّ ولا أدكن

وقوتي الشيءُ أبى مثلَه ... فصيحُ هذا الخلق والالكن

البرس: ثياب صفراء. خلوقي: معطر بالخلوق، من العطور القديمة. ادكن: داكن.

تكاليف السمو

والشر يجلبه العلاء وكم شكا ... نبأً عليٌّ ما شكاه قنبر

هل نصدق؟

دعيتُ أبا العلاء وذاك مينٌ ... ولكنَّ الصحيح أبو النزول

غربة المثقف الحقيقي

هي غربتـان: فغـربـة من عاقـلٍ ثـم اغـتـرابٌ من محـكِّـم عقـله

غربة العاقل بمجرد كونه عاقل. وغربته الثانية إذا استعمل عقله.

لا محدودية الفكر

الفكر حبلٌ متى يُمْسَك على طرفٍ منـه يُنَط بالثـريا ذلـك الـطرف

والعقـل كالبحر ما غيضت غواربه شيئـاً ومنـه بنـو الايام تغتـرف

الغوارب: جمع غرب وهو الدلو.

الشمس التي لا تغيب

وانـك ان تستعمـل العقل لا يزل مبيتُـكَ في ليلٍ بعقلكِ مشمسِ

ثبات الكل مقابل الجزء

ومـا عالمي ان عشتُ فيه بزائـدٍ ولا هو ان أُلـقـيتُ منـه بنـاقص

فيه تلميح بثبات كمية المادة في العالم.

التهويم في افق الحقائق

ويعتـري النفسَ إنكـارٌ ومعـرفـةٌ وكـلُّ معـنـىً له نفـيٌ وإيجـاب

سجونه الثلاثة

أراني في الثـلاثـة من سجـوني   فلا تسـأل عن الـخـبرِ الـنـبـيثِ
لفـقـدي ناظـري ولـزوم بيتـي   وكـونِ النفس في الجسد الخبيث

الخير النبيث: الواضح المنتشر.

نصوص مارقة ليست في اللزوميات

نقد المتصوفة

أرى جيلَ التصوفِ شرَّ جيلٍ فقل لهُمُ وأهونْ بالحلول
أقال الله حين عبدتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

هذا النقد اعمق من الذي في اللزوميات بخصوص التصوف وقد أورد البيتين يا قوت في معجم الادباء (١٣٥/٣) عن ابن الهَبّاريّة رواية عن أبو زكريا التبريزي. ثم نسبها في (١١ / ٢٧١) الى شداد بن ابراهيم (ابو النجيب الجزري، بفتحتين نسبة الى الجزيرة الفراتية) المتوفى عام ٤٠١ هـ، وفي صيغة مختلفة يغلب عليها التفكك:

أيا جيلَ التصوف شرَّ جيلٍ لقد جئتم بأمر مستحيل
أفي القرآن قال لكم الهي كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

ويمكن توثيق الرواية لان ابن الهبارية اخذها مباشرة من تلميذ للمعري، فضلاً عن تماسك البيتين وعمق المضمون النقدي فيهما. وانا ارجح انها تحرفت على ألسنة الناس فرويت بهذه الصيغة المفككة، واللغة الدينية الساذجة، منسوبة الى شاعر مغمور.

تناقض الفعل الالهي مع الشرع

صرفُ الـزمـانِ مفـرِّقُ الإلـفين   فاحـكـم الـهـي بين ذاك وبـينـي
أنهيتَ عن قتـل النفـوس تعمـداً   وبـعـثـتَ أنـتَ لقـبضهـا ملكين
وزعـمـتَ ان لهـا معـاداً ثانـياً   ما كان أغنـاهـا عـن الحـالين

إنبـاه الرواة (١/ ٧٤)، المنتظم (١٨٨/٨) ونقلها عن غرس النعمة. وهو معاصر صغير لابو العلاء (توفي والده قبل ابو العلاء بسنة واحدة) ويفترض انه عرفه عن كثب واطلع على شعـره لانـه نشأ في اسرة منتجي ثقافة وورث اهتمامات ابيه فكتب في نفس مجاله. ويجعلنا ذلك نميل الى توثيق نسبة الابيات تأرخياً. اما فنياً فهي قريبة من اسلوبه في اللزوميات وان لم تكن منظومة على طريقة لزوم ما لا يلزم. وقد بدئت بمطلع لا علاقة له بمضمون البيتين اللاحقين وهذا هو اسلوبه في اللزوميات التي تضمنت آراءه في الدين كما بينا في القسـم الاول. وطريقة تفكيره، فضلاً عن هذا، واضحة فيها. عبارة «لقبضها» وردت في رواية اخرى «لاهلها» وفي ثالثة «لقتلها» وأرجح الاولى.

تكذيب الانبياء

فلا تحسبْ مقـال الـرسـل حقـاً   ولـكـن قـول زور سَطروه
وكـان الـنـاس في عيش رغـيد   فجـاءوا بالـمـحـال فكـدروه

ابن الجوزي في المنتظم (١٨٦/٨) القفطي (١/ ٧٩) ياقوت (١٧٣/٣) ونقلهـا عن غرس النعمـة. وهي على نمط لزوم ما لا يلزم والبيت الثاني محبوك

باسلوبه الشعري. ويتضمن فكرة معقدة لها اصل في القرآن. وهي الآية ٢١٣/ بقـرة: «كـان النـاس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. وما اختلف فيه إلا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات، بغياً بينهم. . ».

التفاسير تقول ان المراد بالآية ان الناس كانوا كفاراً كلهم متفقين على الكفر فبعث الله الانبياء فآمن بعض وبقي بعض على كفرهم فحدث الاختلاف. (في القرآن نصوص تعتبر الاختلاف محتوم، ١١٨ هود، مثلاً، وهناك حديث يقول: اختـلاف امتي رحمة). والبيت المذكور يقول ان الناس كانوا سعداء قبل ظهور الانبياء. وأحسبه يريد انهم كانوا منسجمين لا تمزقهم الاختلافات أو انهم كانوا في سلام فجاءت الاديان فاوقعت بينهم الشقاق. وقد مر بنا ان المعري يجعل الاديان سبب الحروب والتناحر. والبيت جليّ الدلالة على هذا المعنى، أما الآية فهي من المتشـابه الذي يقبل اكثر من تأويل. إلا ان ظاهرها يعطي دليل على مصادرات المعري وغيره ممن اتهموا الانبياء بتمزيق وحدة البشر.

ضلالات الاديان

عجبـتُ لكســرى وأشياعــه ... وغســل الــوجـوه ببـول البقـر

وقــول الــيهــود الــهٌ يحــبّ ... رسيسَ الــدمــاء وريح القُتُــر

وقــول النصــارى الــه يضـام ... ويُظلم حياً ولا ينــتــصــر

وقــوم أتـوا من أقـاصي البـلاد ... لرمـي الـجِمــار ولثم الحجــر

فيا عجـبــاً من ضلالاتــهــم ... أيعمى عن الحق كل البشــر؟

اوردها ابو الفداء في (المختصر من اخبار البشر ١/ ٨١). وقد كتبت على

طريقة المعري في مهاجمة الاديان جميعها، وهو اتجاه لا نجده إلا عند الرازي دون بقية زنادقة الاسلام الذين ركزوا هجومهم على العقائد الاسلامية. والرازي لم يكن شاعر وكتب بيتين في آخر ايامه ليسا من نَفَس هذه الابيات. وأنا لذلك لا استبعد انها من شعر ابو العلاء.

الحيف في تقسيم الارزاق وتبرير الكفر بسببه

إذا كان لا يحظى برزقك عاقلٌ ... وترزقُ مجنوناً وترزق أحمقا

فلا ذنبَ يا رب السماءِ على امرئٍ ... رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

انباه الرواة (١/٧٥)، وياقوت في ترجمته من الجزء الثالث. وأشك في نسبتها اليه لانها لا تشبه اسلوبه. وقد يكونان لابن الراوندي الذي نسب اليه في رسالة الغفران بيتين في معنى مقارب.

البشر اولاد غير شرعيين

إذا ما ذكرنا آدماً وفِعالَه ... وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا

علمنا بان الناس من نسل فاجرٍ ... وأن جميعَ الخلق من عنصر الزنا

نكت الهميان للصفدي ص ١٠٦.

أرجح نسبتها اليه لتماثلها مع اسلوبه في النظم وطريقة تفكيره. الحكاية التي يوظفها لاثبات لاشرعية الولادة البشرية هي من الاسرائيليات وقد ورد فيها ان آدم زوج بناته من ابنائه لكي يتناسل البشر اذ لم يكن في وقته بشر غيرهم.

إنكار المعاد

خبر المقابر في القبور، ومن لهم   بمبشرٍ يأتي بصدق المحشر
هيهات يرجى ميتٌ في قبره   لو صح ذاك لكان عين المتجر
خسرت تجارتهم فهل من ميتٍ   يرجو التجارة في ضريح المحفر

القفطي (٧٦/١) واسلوبها قريب من اسلوب المعري.

اخيراً أورد الجندي الابيات المشهورة:

في اللاذقية ضجة   ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق   وذا بمأذنة يصيح
كلٌّ يعظم دينه   يا ليت شعري ما الصحيح

وانكر نسبتها اليه لتهلهل حبكتها. وهي في الحقيقة ادنى درجة من سائر شعره، الذي قد يجد فيه المرء ما هو متكلف أو محكوم بالوزن أو القافية وقلما يجد نسجاً بسيطاً. وفي تقديري ان الابيات من نظم شخص آخر ثم تداولها الناس على انها للمعري نظراً لتلاؤمها مع افكاره.

* * *

انبه في الختام ان هذه الاشعار التي نسبت اليه وليست في احد ديوانيه الباقيين (سقط الزند) و(لزوم ما لا يلزم) قد تكون اخذت من ديوانه الثالث الضائع (استغفر واستغفري) وكان كما بينا في المقدمة على غرار اللزوميات في المضامين دون الاشكال لانه لم يلتزم فيه قافيتين. والاشعار المذكورة من هذا الطراز عدا البيتين الرائيين.

فهرس

صدر عن مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

١ ـ وثائق الاحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان العربية ١٩٦٤ ـ ١٩٨٤ .
٢ ـ حميات في الغرب . . . . سليم خياطة
٣ ـ من تاريخ التعذيب في الاسلام . . . . هادي العلوي
٤ ـ المادية والفكر الديني المعاصر (نظرة نقدية) . . . . فالح عبد الجبار
٥ ـ الحزب الشيوعي والمسألة الزراعية في العراق . . . . نصير سعيد الكاظمي
٦ ـ الشيوعية والمسألة القومية العربية
في فلسطين، ١٩١٩ ـ ١٩٤٨ . . . . ماهر الشريف
٧ ـ الماركسية والفن الحديث . . . . ف. د. كلنغدر، ترجمة: مصطفى عبود
٨ ـ حول الدور القيادي للماركسية
في السياسة الثقافية . . . . جورجي اتزل، ترجمة: مصطفى عبود
٩ ـ مصائر الرأسمالية
في الشرق . . . . نوادري. م. سيمونيا، ترجمة: فاضل جتكر
١٠ ـ الوعي والابداع . مجموعة من المؤلفين السوفييت، ترجمة: رضا الظاهر
١١ ـ الاقتصاد السياسي غير الماركسي المعاصر ـ الجزء
الاول . . . . مجموعة كتاب سوفييت، ترجمة: عصام الخفاجي
١٢ ـ الكومنترن والشرق (الستراتيجي
والتكتيكات) . . . . ريزنيكوف، ترجمة: نصير سعيد الكاظمي
١٣ ـ الاغتيال السياسي في الاسلام . . . . هادي العلوي
١٤ ـ المستطرف الجديد . . . . هادي العلوي
١٥ ـ برودون، ماركس، بيكاسو . . ماكس رافائيل، ترجمة: د. مجيد الراضي
١٦ ـ الشيوعيون وقضايا النضال الوطني الراهن . . . . د. ماهر الشريف
١٧ ـ الطبقة العاملة في مصر المعاصرة . . . . بكلانوف، ترجمة: احمد حسان
١٨ ـ الاقتصاد السياسي غير الماركسي المعاصر ـ الجزء
الثاني . . . . مجموعة كتاب سوفييت، ترجمة: عصام الخفاجي

صدر عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي

١٩ ـ التأريخ الاقتصادي لعصر الامبريالية

ـ جزءان، . . . . ف. بوليانسكي، ترجمة: عبد الاله النعيمي

٢٠ ـ الحركة العمالية التوسية ١٩٢٠ ـ ١٩٥٧ . . . . عبد الحميد الارقش

٢١ ـ نقد علم الاجتماع البرجوازي . . . . ترجمة: رجاء احمد

٢٢ ـ نتائج عملية الانتاج المباشرة (الجزء المجهول من رأس

المال) . . . . كارل ماركس، ترجمة وتقديم: فالح عبد الجبار

٢٣ ـ جدلية العلاقة بين مبدأ التطور ومبادىء وحدة العالم

والتشارط المتبادل والتعاكس العام . . . . د نمير العاني

٢٤ ـ وحدة النشاط الايديولوجي والتنظيمي للحزب الشيوعي . د. حميد بخش

٢٥ ـ نقد نظريات الاقتصاد العالمي

(جزءان) . . . . توماس سنتش، ترجمة: عبد الاله النعيمي

٢٦ ـ منطق ماركس . . . . . ف. يندريش زلني، ترجمة: ثامر الصفار

٢٧ ـ الامبريالية والاقتصاد العالمي . نيكولاي بوخارين، ترجمة: رجاء احمد

٢٨ ـ وجهات في النظر . . . . جون برجر، ترجمة: فواز طرابلسي

٢٩ ـ تناقضات ومآزق، دراسات في الاقتصاد

الاشتراكي والمجتمع . . . . يانوش كورناي، ترجمة: عبد الاله النعيمي

٣٠ ـ الثقافة الروحية والتفكير الجديد . . . مجموعة من المؤلفين السوفييت، ترجمة:
رضا الظاهر

٣١ ـ قراءات في ازمة اوربا الشرقية . . . . سنتش، راكيتسكي، لوكاش

٣٢ ـ فرضيات حول الاشتراكية . . . . فالح عبد الجبار

هذا الكتاب

شاعر بشرط الحساسية الشعرية، ومفكر بشرط التعمق والاحاطة. ومثقف كوني يعتزل الناس دون ان ينقطع عنهم لأنه يقف بهواجسه الانسانية الكثيفة خارج مطالب الحياة اليومية وهموم الجسد. وفي اعتداده بسلطته الثقافية فهو يقف نداً للحاكم ورجل الدين وصديقاً للمخلوقات الضعيفة من بشر وحيوانات ومناهضاً للعدوان من أي مصدر جاء.. وبقوة وعيه الشمولي لم يوفر أحداً من نقده: المؤسسات الحاكمة على اختلافها، الاديان كلها، المجتمع البشري بأجناسه الشتى، ونظام الطبيعة الذي يتهمه باللاعقلانية واللاعدل.

وفي هذا الكتاب خلاصة تتجسد فيها تلك الامثولة الاستثنائية استمدها المؤلف من اللزوميات واستخلصها بمنهج اصطفاء معاصر جرى فيه على نهج ادونيس في عمله الكبير «ديوان الشعر العربي».. مع ان هذه المنتخبات لا تضم الشعر بما هو شعر وإنما الشعر بما هو فلسفة. ولو انه يبقى شعراً بحساسيته الفنية العالية.

ارفقت النصوص التي تناهز الالف بيت بدراسة معمقة للظاهرة المتفردة التي عبرت عنها اللزوميات من خلال ارتباطها بسيرورة تطور المجتمع الاسلامي الذي كان قد ناهز في عهد اللزوميات دروة صعوده ومن ثم بداية انتكاسه. وقد عرضت الدراسة لشتى مناحي هذه الظاهرة بمنهج علمي صارم ينطلق من المادية التاريخية في أفقها الواسع الذي ينفتح على مختلف عناصر الحقيقة في المناهج الاخرى.

كتاب للمعرفة الهادفة والثقافة المعتزة بسلطتها.

هادي العلوي

713
13
5mu